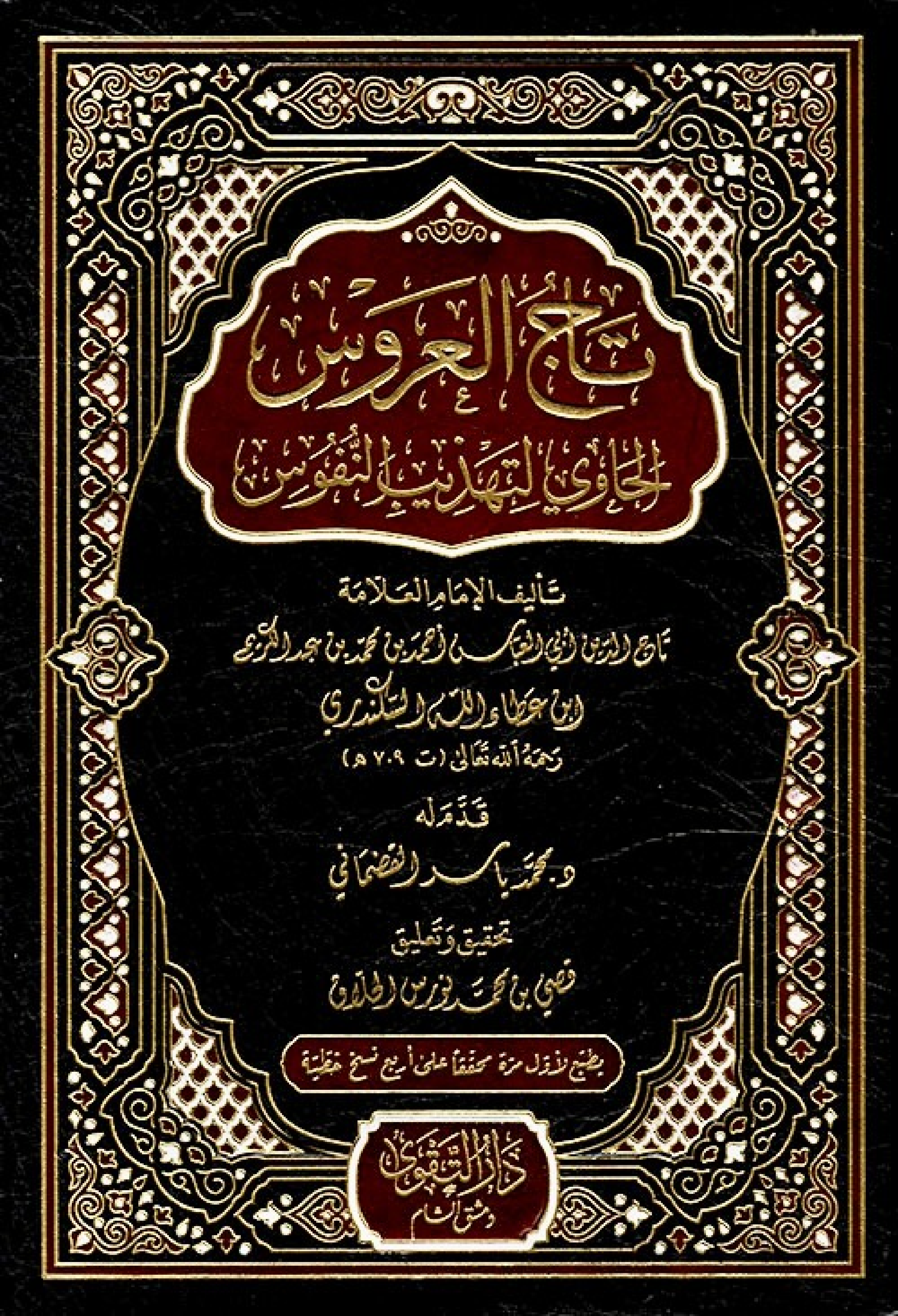

تاج العروس
الحاوي لتهذيب النفوس
تأليف الإمام العلامة
تاج الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الكريم
ابن عطاء الله السكندري
رحمه الله تعالى (ت ٧٠٩ هـ)
قدم له
د. محمد باسل القضماني
تحقيق وتعليق
قصي بن محمد نورس الحلاق
يطبع لأول مرة محققاً على أربع نسخ خطية
دار التقوى
دمشق الشام

تاج العروس

الحاوي لتهذيب النفوس

تأليف الإمام العلامة

تاج الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الكريم

ابن عطاء الله السكندري

رحمه الله تعالى (ت ٧٠٩ هـ)

قدم له

د. محمد ياسر القضماني

تحقيق وتعليق

قصي بن محمد نورس الحلاق

يطبع لأول مرة محققاً على أربع نسخ خطية

دار التقوى



الكتاب : تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس

المؤلف : تاج الدين ابن عطاء الله السكندري

الطبعة الثانية : ١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م

الرقم الدولي : ISBN : 978-9933-610-22-7





سورية - دمشق - حلبوني
هاتف : ٢٢١٥٤٦٤ ١١ ٩٦٣+ / ص . ب : ٣٠٧٢١
جوال : ٩٣٣٢٠٦٠٠٧ ٩٦٣+ / ٩٤١٩٤٤٣٨٧ ٩٦٣+
daraltaqwa.pu@gmail.com



ليس العجبُ ممّن قرأ هذا الكتاب وصار مهذَّبًا كاملًا

إنَّما العجبُ ممّن قرأه ولم يصِر مهذَّبًا كاملًا

فإليكم منّي هَذه الهديّة :

كتابُ التّاجِ تاجٌ للعروسِ حوى حِكمًا وتهذيبَ النفوسِ

ينيرُ الدّربَ للسُّلاكِ فيه لطيفُ الحجمِ يغني عن طروسِ

(٢١) رمضان (١٤٣٩هـ)
الموافق لـ (٦/٦/٢٠١٨م)

قصي محمد نورس الحلاق
الشام المباركة



تَقْدِيم

فضيلة الشيخ محمد ياسر القضماني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي اختصَّ مَن شاءَ بالعناياتِ والرِّعايات ، وصلَّى اللهُ وسلَّم على سيِّدِ المخصوصينَ بأرفعِ الكرامات ، وأسنىٰ تلكَ العطيَّات ، وعلىٰ آلِهِ وصحابتِهِ ومَن تبعَهم وعنَّا معَهم إلىٰ يومِ الميقات .

أمَّا بعدُ :

فهذا الكتابُ الذي بينَ يديكَ علىٰ وجازةِ صفحاتِه إلا أنَّه انطوَتْ فيه عِظَاتٌ بالغات ، وحِكَمٌ رائقات ، ووصايا غاليات ، وإرشاداتٌ سنيَّات ؛ قلَّ أن تجتمعَ بكتابٍ في وجازته .

وابنُ عطاءِ الله السَّكندري ـ رحمةُ الله عليه ـ إمامٌ عظيم ، وعارفٌ شهيرٌ من أعلامِ القوم الذين تربَّى الناسُ ـ ولا يزالون ـ علىٰ كُتُبه وآثارِه السُّلوكية ، وهذا الكتابُ من أشهرِ كُتُبه وأنفعِها .

ولا تنفكُّ حاجةُ الناسِ عن أن يرجعوا لكتبِ السلوك ؛ ليُنوِّروا بها بصائرَهم ، ويُزكُّوا بها نفوسَهم .

ولا أنسىٰ قبلَ سنواتٍ حينما زُرْتُ (حضرَموت) ودخلتُ جنّة دار المصطفىٰ بتريم تلكَ المجالسَ العطرة ، وعَبَق نسيمِ الرُّوحات وقلَّ أن تخلوَ (روحةٌ) منها من قراءةٍ في شيءٍ من كُتُبِ هذا الإمامِ أو غيرِه من أكابرِ أهلِ الله تعالى .

ومرَّةً طلبتُ من أستاذِنا وشيخِنا العلامةِ الدَّاعي إلى الله تعالىٰ سيِّدي الحبيب **عمرَ بنِ حفيظ ابن الشيخ أبي بكر سالم** ـ أمتعَنا الله بحياته ـ **أن يدلَّني علىٰ كتابٍ نافعٍ أقرؤُه** ، فقالَ لي : قرأتَ كتابَ « **تاج العروس** » لابنِ عطاءِ الله ؟ فقلتُ : **ما قرأتُه** .

فقالَ ـ أمتعَنا الله به ـ : **اقرَأه** . فبادرتُ على الفورِ لاقتنائه ، **وكانَتْ مِن أمتعِ السَّاعات** .

وقال لي مرَّة سيِّدي ـ نفعَنا الله به ـ : كُتُبُ الإمامِ **الغزاليِّ** والإمامِ عبدِ الله بنِ علوي **الحداد** ، والإمامِ **ابنِ عطاءِ الله** ، والإمامِ **الشَّعراني** . . **تُسْرِعُ في تنويرِ القلب** !!

وبقيتُ سنواتٍ ولا أزالُ بينَ آثارِ هؤلاءِ الكبارِ أنهلُ منها ، **وأتعشَّقُ التأمُّلَ في كَلِمِهم** الذي كأنَّه ضربٌ من التنزيل !!

وكم فرحتُ حينما أخبرني أخي المباركُ الأستاذُ المحقِّق : **قصي بن محمد نورس الحلاق** ـ حفظه الله تعالىٰ ـ بأنَّه اعتنىٰ بإخراجِ نسخةٍ من كتابنا « تاج العروس » **محقَّقة علىٰ أربعِ نسخٍ خطيَّةٍ لأولِ مرة** ، وعرضَ عليَّ أن أجعلَ مقدمةً له ، **فألفيتُ عملَه متميِّزاً** ، وسيظهرُ للقارئِ ذلكَ في كلِّ صفحةٍ من صفحاتِ خدمتِه لهذا النص .

التعليقاتُ الرائعةُ كثيرةٌ ، وبخاصَّةٍ في آخرِ الكتابِ **عندَ التعليقِ على المناجاةِ** التي ختمَ بها ابنُ عطاءِ الله كتابَه ، كما صنعَ بكتابه العُجابِ « الحِكَم » .

وسيجدُ القارئُ **الإحالاتِ والنُّقولَ من عشراتِ الكُتب** القديمة والحديثة ، وبعضُها مهمٌّ لم يَرَهُ أكثرُ الناسِ من مثلِ نقلِهِ من شرحِ الحكمِ للإمام **أبي محمد عليِّ بن عبد الله بن أحمد باراس** الحضرميِّ الشافعي ،

المتوفىٰ سنة (١٠٩٤ هـ) المسمَّى : « **شفاء السَّقم وفتح خزائن الكلم في معاني الحِكَم** » الصادر عن دار الحاوي ، الطبعة الأولىٰ (٢٠١٦ م) .

باركَ الله في هذا التحقيق ، وجزى الله خيراً كلَّ مَن يكونُ سبباً لنشره ، وأخصُّ بالذِّكرِ أخانا المبارك الأستاذ **أبا أحمد لؤي الأحمر** في داره العامرة (دار التقوى) .

وحقاً : **أولياءُ الله عرائس** !! صدقَ ابنُ عطاءِ الله في قوله ، وصدقَ الشيخُ الكبيرُ عبدُ القادرِ الجيلاني بقوله : (**الأولياءُ عرائسُ الله**) .

فهذا تاجُهم وهذا ما سيُزيِّن كلَّ مَن يريدُ التأسِّي بهم ، **فتعالَوا لنَحُلَّ في رياضهم** ، ونرتعَ في نعيمِ أُنسهم .

اللهمَّ ؛ اجعلْ ما نفهمُه وما نَعيه من أحوالِهم وأعمالِهم وأقوالِهم حجةً لنا لا علينا .

والحمد لله أولاً وآخراً ظاهراً وباطناً

دمشق الشام يوم الأحد :
٣ من جمادى الآخرة ١٤٣٩هـ
الموافق لـ ١٨/ ٢/ ٢٠١٨ م

راجي الجود الرباني
محمد ياسر القضماني

بين يدي الكتاب

تاجُ العروسِ الحاوي لتهذيبِ النفوس : عنوانُ الكتابِ يَشي بمضمونه . . كالمسكِ يشي بحامله ، ولكل اسم من مسماه نصيب ، **هذا الكُتيِّبُ** واعظٌ صامت ، وطبيبٌ عارفٌ بعِلَلِ النَّفس وما يَعتريها .

ولمَّا فرغَ بُزُرْجُمِهْرَ من كتابِ « أمثاله » ونسَّق كلَّ بابٍ على حيالِهِ . . قالَ : (**ليسَ العجبُ** ممَّن حفظَ هذهِ الأمثالَ فصارَ عالماً ؛ **إنَّما العجبُ** ممَّن حفظَها ولم يَصر عالماً) .

وأنا أقول ـ مقتبساً من كلامِ العلامةِ الطرطوشيِّ رحمه الله تعالىٰ ـ : (ليسَ العجبُ ممَّن قرأ هذا الكتاب وصارَ مهذَّباً كاملاً . . إنَّما العجبُ ممَّن قرأهُ ولم يَصِرْ مهذَّباً كاملاً)[1] .

وإذا كان مرضُ القلبِ أخطرَ مرضٍ عندَ الأطباء ؛ لأنَّ به حياةَ الإنسان . . **فكذلك مرضُ القلبِ النُّوراني** الذي هو مكمنُ الأسرار ؛ **فبه حياة الأرواح** ، ولذَّة المناجاة للكريم الفتاح ، قال إبراهيم بن أدهم : (والله ؛ إنَّا لفي لذةٍ لو علمها الملوكُ . . **لجالدونا عليها بالسيوف**) .

وقال أحد الصالحين : (مساكين أهل الدنيا ؛ **خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها**) قالوا : وما هو ؟ قال : (**معرفة الله**) .

---

(١) قاله العلامة الطرطوشي رحمه الله تعالىٰ في كتابه « سراج الملوك » ، واقتبسنا كلامه هنا .

ولقد أهمل الكثير منَّا قلبه **حتَّىٰ فقدنا الخشوعَ في صلاتنا** ، والدَّمعة في دُعائنا ، **والتَّذكُّر في مواعظنا** ، وإنَّ في الجسدِ مضغةً إذا صلَحتْ . . **صلحَ الجسدُ كلُّه** ، وإذا فسدَتْ . . فسدَ الجسدُ كلُّه ؛ **ألا وهيَ القلب** .

لما ذُقنا لذَّة النَّظر بالعينِ . . **أسرعنا إلىٰ مُداواتها** ، ولما لم نعرف لذَّة المناجاة بالليل . . **أهملنا قلوبَنا وأرواحَنا** ، فتعالَوا نسرعِ الخُطىٰ إلىٰ أطباءِ القلوب .

هل تعرَّفْتَ إلىٰ عياداتِهم ؛ أو زُرتَ أحداً منهم ؟ كعيادةِ الإمامِ **الحسنِ البصري** ، والحارثِ **المُحاسبي** ، والجُنيد ، **والغزالي وابنِ عطاء اللهِ** السَّكندري وغيرهم ، رحمهمُ الله أجمعين .

قال طبيبُ أطباءِ القلوب ، سيدُنا محمدٌ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم الحبيبُ المحبوب : « **الكيِّسُ** مَن دانَ نفسَه ، وعملَ لِمَا بعدَ الموت ، **والعاجزُ** مَن أتبعَ نفسَه هواها ، وتمنَّىٰ على اللهِ الأماني » .

وقال الحسنُ البصريُّ رحمهُ اللهُ تعالى : (**لا تلقَىٰ المؤمنَ إلاَّ يُحاسِب نفسَه** : ما أردتُ بكلمتي ؟ ما أردتُ بأكلتي ؟ ما أردتُ بشربتي ؟ **والفاجرُ** : يَمضي قُدماً لا يحاسبُ نفسَه) .

وقال وهبُ بنُ مُنبه رحمه الله تعالىٰ : (**مكتوبٌ في حكمة آلِ داوود** : حقٌّ على العاقلِ ألا يغفلَ عن أربعِ ساعاتٍ : **ساعةٍ** يُناجي فيها ربَّه ، **وساعةٍ** يُحاسب فيها نفسَه ، **وساعةٍ** يَخلو بها مع إخوانه الَّذينَ يُخبرونه بعيوبه ، **وساعةٍ** يُخلِّي فيها بينَ نفسِه وبينَ لذَّاتها فيما يحلُّ ويجمل ؛ **فإنَّ هذه السَّاعةَ عونٌ علىٰ تلك السَّاعاتِ** ، وإجمامٌ للقلوب) .

وقال سيدنا عمرُ رضيَ اللهُ عنه : (**حاسِبوا أنفسَكم** قبلَ أن تحاسبوا ،

وزِنُوا أعمالَكم قبلَ أنْ تُوزَنَ عليكم ؛ فإنَّه أهونُ عليكم في الحسابِ أن تُحاسِبوا أنفسكم اليوم ، **وتزيَّنوا للعرض الأكبر**) .

الناقدُ بصيرٌ ، والعقبةُ كؤود ، والتعاملُ بالحسناتِ والسيئات ، **وإنَّ أخونَ الناس** مَن خانَ نفسَه وأوردَها المهالك .

ومِن عبادِ الله : مَنْ إذا رُؤوا . . ذُكِر الله ، **ومنهم** : من إذا خطَّ بيَراعَته . . دلَّكَ على الله ؛ **مِن هؤلاءِ العلماء أطباء القلوب** : الإمام ابن عطاء الله السَّكندري رحمه الله تعالى .

وخيرُ شاهدٍ علىٰ ذلك كُتبه التي أبقاها بعده ، **ومنها** : هذا السِّفرُ اللطيفُ المبارك .

وما مِن كاتبٍ إلاَّ سيَبلىٰ ... ويَبقى الدهرَ ما كتبَتْ يداهُ

فلا تكتُبْ بكفِّك غير شيءٍ ... يسرُّك في القيامةِ أن تراهُ

إنه طبيبُ النفوس ، يضعُ بَنانه على الدَّاء ويَصفُ الدَّواء ، ونحنُ اليوم بأمسِّ الحاجة لأنْ يخلوَ كلٌّ منَّا بنفسه ، ويطَّلع علىٰ أمراضها قبلَ فواتِ الأوان .

والنفسُ كالطفلِ إن تُهملْهُ شبَّ على ... حُبِّ الرَّضاعِ وإن تفطمْهُ ينفطمِ

ولقد وفَّق الله المؤلِّف بكلماتٍ تَدخلُ القلوبَ دونَ استئذان ؛ فما خرجَ من القلب . . **دخلَ القلب** ، وما خرجَ مِن اللِّسان . . **لا يُجاوز الآذان** .

وقد افتتحَ المؤلفُ رحمه الله تعالىٰ كتابَه بذكر التوبةِ إلى الله سبحانه ؛ **ليعترفَ العبدُ بتقصيره** ، فإذا عرف المريضُ داءهُ . . **أسرعَ لاستعمالِ الدواء** .

ومَنْ وقعَ في الذَّنبِ . . وقعَ معه ظلمة ؛ **فمثالُ المعصيةِ** : كالنار ، والظُّلمةُ دُخانها ، والقلبُ كالإناء الَّذي أُوقدَ تحتَه عشرين سنةً ؛ **ألا تراه يسودُّ** ؟!

ولا يدخلُ عليك الإهمالُ ـ كما قال المؤلف ـ **إلا بإهمالكَ عن مُتابعةِ النبيِّ** صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم ، **ولا تحصلُ لكَ الرِّفعةُ عندَ الله** إلاَّ بمتابعتك للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم ، ثمَّ يَرتقي بنا درجةً فيقول : **ما عرفَ إحسانَه** مَنْ آثرَ عصيانَه ، **وما عرفَ قَدْره** مَن لم يراقِبْهُ ، **وما ربحَ** مَنِ اشتغلَ بغيره .

ثمَّ ذكرَ آثارَ المعصيةِ ، وأنه لو لم يكنْ في المعصيةِ إلا تبدُّل الاسمِ . . **لكانَ كافياً** ؛ **كم هو الفرقُ** بينَ الطَّائعِ والعاصي ، والمقبلِ والمدبر ، والمحبِّ والمحبوب ؟!

للدنيا أبناءٌ وللآخرةِ أبناء ، فكُنْ من أبناء الآخرة ، وأصْحُ من غفلتِك ، وانظر في سفرتِك وهل أعددتَ حقيبتك ؛ **فعمَّا قريبٍ أنت مفارق** ؟!

راقبْ أنفاسَكَ ؛ فالأنفاسُ جواهر ، فلا تُنفقها في غيرِ طاعة الله ؛ فهذا رأسُ مالك ، **وألذُّ شيءٍ في هذه الدُّنيا** : مناجاةُ الحقِّ سبحانه ، وكثيرٌ من الناسِ خرجَ من الدنيا وما ذاقَ ألذَّ شيءٍ فيها .

خلقَك سبحانه للعبادة ، وضمنَ لك الرِّزق ، **فاشتغلْتَ بما ضمِنَه لك** ، وتركتَ ما طلبه منك ، **والصَّلاةُ** صِلةُ العبدِ بمولاه ، وكلُّ صلاةٍ لم تنهَكَ عنِ الفحشاء والمنكر . . لا تُسمَّىٰ صلاة ، **قم فصلِّ فإنك لم تُصلِّ** !!

وأُسُّ هذه الأدواءِ جميعِها : هو أكلُ الحرام ؛ **فالمتنجسُ القَدَمِ**

لا يصلحُ للمحاضرةِ . . فكيف بمتنجسِ الفم ؟! ولا يُخجلُك شيءٌ يومَ القيامة كدرهمٍ أنفقتهُ في حرامٍ . . فكيف إن كان من حرامٍ ؟!

ما أكثرَ احتراسك علىٰ بدنك ، وما أرخصَ دينك عليك !!

ومن أرادَ النِّهاياتِ . . فعليه بتصحيح البدايات ، والقلبُ موضعُ نظرِ الربِّ سبحانه ، ففرِّغ قلبك من الأغيار . . يملأه لك بالمعارفِ والأسرار ؛ لأنه ربَّما وردَتْ عليك الأنوار ، فوجدتِ القلبَ محشوّاً بصورِ الآثار ، فارتحلتْ من حيثُ نزلَتْ .

هذه نفثاتٌ من روضةِ هذا الكُتيِّبِ اللَّطيف ، ثم ختمَ المؤلف كتابه بالمناجاة ، ومنها : إلهي ؛ ما ألطفَكَ بي مع جهلي ، وما أرحمَكَ بي مع قبيح فِعلي !! وما أقربَك منِّي وما أبعدَني عنك ، وما أرأفَك بي . . فما الَّذي يحجبُني عنك ؟!

إلهي ؛ كلَّما أخرسني لؤمي . . أنطقني كرمُك ، وكلَّما أيأستني أوصافي . . أطمعتني مِنَّتك .

فإليكم هذه الدرة النفيسة ، تزهو بحلَّةٍ قشيبة ، تميسُ علىٰ أترابها ، وتتباهىٰ أمام خُطَّابها ، ترفلُ بثوب التحقيق ، بعد أن قُوبلت بأربع نسخٍ خطية ومطبوع عتيق ، نُهديها لمحبيها ، فمن أراد تهذيب النفوس . . فعليه بتاج العروس ، ولله الحمد والمنَّة أولاً وآخراً .

مَن عرف مَا يطلب هَان عليه مَا يبذل

ترجمة
الإمام العلامة
تاج الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الكريم
ابن عطاء الله السكندري

رحمه الله تعالى[1]

(ت ٧٠٩ هـ)

هو الإمامُ العلامة ، واعظُ عصره ، وفريدُ دهره ، **تاجُ الدِّين** أبو الفضل وأبو العبَّاس **أحمد بن محمد** بن عبد الكريم بن عبد الله **بن عطاء الله** ، **الجذامي** نسباً ، **المالكي** مذهباً ، **الإسكندري** داراً ، **القرافي** : مزاراً ، **الصُّوفي** حقيقة ، **الشَّاذلي** طريقة .

فالإمام ابن عطاء الله **جذاميُّ** النَّسب ، **إسكندريُّ** المولد ، **مصريُّ** الموطن ، **عربيُّ** الأصل والمحتِد ، وهو يُمثِّل التَّصوف المصري في القرن السَّابع الهجري .

---

(١) **مصادر ترجمة المؤلف** : « الدرر الكامنة » للحافظ ابن حجر العسقلاني (١/ ٢٩١) ، و« طبقات الشافعية الكبرى » للإمام تاج الدين السبكي (٩/ ٢٣- ٢٤) ، و« الوافي بالوفَيات » للعلامة المؤرخ الصفدي (٨/ ٥٧) ، و« الديباج المذهب » للعلامة ابن فرحون (١/ ٢٤٢) ، و« شذرات الذهب » للإمام ابن العماد (٨/ ٣٦) ، و« البدر الطالع » للشوكاني (١/ ١٠٧) ، و« الأعلام » للزركلي (١/ ٢٢١) ، و« معجم المؤلفين » لكحالة (١/ ٢٧٥) ، وأفرد العلامة أبو الوفا التفتازاني كتاباً درس فيه حياة الإمام تاج الدين ابن عطاء الله السكندري وتصوفه .

نشأته وشيوخه

نشأ ابن عطاء الله في مدينة الإسكندرية ، وتعلَّم علوم العربية والشَّرعية ، وأخذ عن علماء عصره ، حتَّىٰ غدا جامعاً لأنواع العلوم ؛ من تفسيرٍ وحديثٍ ، ونحوٍ وأصولٍ ، وفقهٍ وغيرِ ذلك .

وقال الشَّيخُ العارفُ بالله ابنُ الأهدل رحمه الله : (كان فقيهاً عالماً ينكر على الصُّوفية ، ثم جذبته العناية ، فصحب شيخَ الشُّيوخ أبا العبَّاس المرسي ، وفُتِح عليه علىٰ يديه ، وما جرىٰ له معه مذكورٌ في كتابه « لطائف المنن ») .

وأخذ علوم العربية عن إمام عصره محيي الدِّين المازوني الَّذي كان هو وابن النَّحاس في مرتبةٍ واحدةٍ ؛ فقد لُقِّب كلٌّ منهما بشيخ الدِّيار المصرية .

وأخذ أيضاً عن الشَّيخ شهاب الدِّين الأبرقوهي ، وهو مسندُ الدِّيار المصرية في زمانه ، المتوفَّىٰ سنة (٧٠١ هـ) رحمه الله تعالى .

وأخذ أيضاً عن الحافظ شرفِ الدِّين أبي عبدِ الله عبدِ المؤمنِ بنِ خلفٍ الدِّمياطيِّ ، شيخ المحدِّثين ، المتوفَّىٰ سنة (٧٠٥ هـ) رحمه الله تعالى .

وأخذ علمَ الجدل والمنطق والأصول عن إمام هذه العلوم شيخه شمس الدِّين الأصبهانيِّ رحمه الله تعالى .

وأما شيخ فتحه . . فهو إمامُ عصره وعلامةُ زمانه العارف بالله أحمد بن عمر ، المشهور بأبي العبَّاس المرسيِّ ، الإمام المالكيِّ الصَّالح الفاضل ، صحبه ابنُ عطاء الله اثني عشر عاماً ، وهو من المقرَّبين لديه ، ومن

خواصِّ أصحابه ، وهو خليفة الشيخ أبي الحسن الشاذلي صاحب الطريقة الشَّاذلية ، رحمهما الله تعالى .

أخذ عنه علم التَّصوف ، وكان خليفته من بعده ، وأفرد لشيخه كتاباً سمَّاه « لطائف المِنن في مناقب الشيخ أبي العبَّاس وشيخه أبي الحسن » رحمهم الله جميعاً [١] ، وتوفِّي الشيخُ أبو العبَّاس المرسي سنة (٦٨٦هـ) رحمه الله تعالى .

وعظه وتدريسه

لقد كتب اللهُ له القَبول في علمه ووعظه ، وهذا ما شهد له به أهلُ العلم الَّذين عليهم المعوَّل ؛ قال الحافظ ابن حجر العسقلانيُّ رحمه الله تعالىٰ في « الدُّرر الكامنة » نقلاً عن الحافظ الذَّهبيِّ : (كانت له جلالةٌ عجيبةٌ ، ووقعٌ في النُّفوس ، ومشاركةٌ في الفضائل ، ورأيتُ الشَّيخَ تاجَ الدِّين الفارقيَّ لمَّا رجعَ من مصر معظِّماً لوعظه وإشارته ، وكان يتكلَّم بالجامع الأزهر فوقَ كرسيٍّ بكلامٍ يروِّح النُّفوس ، ومَزَجَ كلامَ القومِ بآثار السَّلف وفنونِ العلم ، فكثر أتباعه ، وكانت عليه سيما الخير) .

ويقال : (إن ثلاثةً قصدوا مجلسه ؛ فقال أحدُهم : لو سلمْتُ من

---

(١) قال في مقدمته (ص ٢٣ـ ٢٤) ناقلاً عن أصحاب الشيخ أبي الحسن الشاذلي رحمه الله تعالىٰ بعد أن ذكر أنه لم يضع كتاباً يضم كلامه ، فقالوا له : (يا سيدي ؛ لِمَ لا تضع الكتب في الدلالة على الله تعالىٰ وعلوم القوم ؟ فقال رضي الله عنه : كتبي أصحابي ، كذلك شيخنا أبو العباس رضي الله عنه لم يضع في هذا الشأن كتاباً ، والسبب في ذلك : أن علوم هذه الطائفة علوم التحقيق ، وهي لا تتحملها عقول الخلق ، ولقد سمعت شيخنا أبا العباس رضي الله عنه يقول : جميع ما في كتب القوم عبرات دموع من سواحل من بحر التحقيق) .

العائلة . . لتجردتُ ، **وقال الآخرُ** : أنا أُصلّي وأصوم ولا أجد من الصَّلاح ذرَّة !! **فقال الثَّالث** : إن صلاتي ما تُرضيني فكيف تُرضي ربي ؟! فلما حضروا مجلسه . . قال في أثناء كلامه : ومن النَّاس من يقول . . .) **فأعاد كلامهم بعينه** .

طلابه

أخذ عنه الجم الغفير ، ومن أشهر من أخذ عنه الشَّيخ **تقي الدِّين السُّبكي** ، والد التاج السبكي صاحب « الطبقات » وشيخ الإسلام ، قال الحافظ الذهبي : قرأت علىٰ سارة بنت السُّبكي ، عن أبيها سماعاً قال : (سمعتُ أبا الفضل بن عطاء يقول . . .) فذكر شيئاً من كلامه ؛ فهذه شهادةٌ من **الحافظ الذَّهبي** ، ونقلها **الحافظُ ابن حجر** ، ونعمَتِ الشَّهادة هي .

وكانت له عباراتٌ رائقةٌ لها وقعٌ في القلوب ؛ ولذلك اجتمع عليه العلماء والعوامُّ **ليسمعوا وعظه وحِكَمه** ، ولا سيَّما أنَّ الدَّرس **كان في الجامع الأزهر** .

وممَّن أخذ عنه أيضاً : الإمام العلامة **داوود بن عمر** ، المشهور **بابن باخلا** ، وهو الذي خلَفَ ابن عطاء الله في الوعظ والطَّريقة من بعده ، وقد وصف مجلسَ شيخِه بقوله : (**يجمع الميعادُ الواحد بينَ المواعظِ والحِكَمِ والرَّقائق** في طريق الأبرار وطريق المقرَّبين ؛ دلالة بالعلم والنور ، وتربية بالأحوال والأقوال . . . **فكم من تائبٍ تاب** ، وتغيَّرت أحواله السَّيئة وأفلح وأناب !! **وكم من غافلٍ تيقَّظ** ، وجاهلٍ تبصَّر !! **وكم من قلبٍ قاسٍ مظلم لانَ وتنوَّر** !!) .

وممَّن أخذ عنه أيضاً : الشَّيخ أبو الحسن **علي القرافي** ، والشَّيخ الأصولي أبو العبَّاس **أحمد بن الميلق السَّكندري** ، وغيرهم كثير ، رحمهم الله تعالى .

مؤلفاته

ومن طالع كتبه . . عرف فضله ، **والكتاب شاهدُ صدقٍ لمؤلفه** ، ولقد كتب الله القَبول لهذا الإمامِ ولكُتبه ، فسارت بها الرُّكبان ؛ وذلك دلالةٌ علىٰ إخلاص مؤلِّفها ، **ومن هذه المؤلفات علىٰ سبيل الإشارة لا الحصر** :

- الحِكَم العطائيَّة ، **وهيَ من أنفع مؤلَّفاته** ، وقد اهتمَّ بها العلماء قديماً وحديثاً ، فشرحوها ، وألَّفوا كتباً عليها ، وحفِظوها وحفَّظوها .
- التَّنوير في إسقاط التَّدبير .
- لطائف المنن ، وتقدَّم الكلام عليه .
- تاج العروس الحاوي لتهذيب النُّفوس ؛ **وهو هذا الكتاب الذي شرَّفني الله بخدمته**[1] .
- القول المجرد في الاسم المفرد .
- تُحفة الخلاّن في شرح نصيحة الإخوان .
- رسالةٌ في الدَّعوىٰ إلى التَّقوىٰ وتنفيذ الفروض الدِّينية .

---

(١) ذكر العلامة ابن عجيبة رحمه الله تعالىٰ في مقدمة كتابه « إيقاظ الهمم في شرح الحكم » (ص ٩) عند ذكره لمؤلفات الإمام ابن عطاء رحمه الله تعالى : أن كتاب « **تاج العروس** » مؤلَّفٌ من كتابي : « التنوير في إسقاط التدبير » ، و« لطائف المنن » ، **وهذه فائدة نفيسة** .

ـ الطَّريق الجادة في نيل السَّعادة .

ـ مختصر تهذيب المدونة في الفقه المالكي .

ـ أصول مقدِّمات الوصول .

ـ عنوان التَّوفيق في آداب الطَّريق ؛ وهو شرح قصيدة العارف بالله أبي مدين رحمه الله تعالى ، والَّتي مطلعها :

ما لذَّةُ العيشِ إلا صحبةُ الفُقرا ... همُ السَّلاطين والسَّادات والأُمَرا

وله رسالةٌ في السُّلوك ، ومواعظ وشعر حسن .

يا عينُ إنْ بَعُدَ الحبيبُ ودارُهُ ... ونـأَتْ مـرابعُـهُ وشـطَّ مـزارُهُ

فلقَدْ ظفِرْتِ مِنَ الحبيبِ بطائلٍ ... إن لـم تَـرَيْـهِ فهـذِهِ آثـارُهُ

وفاته

بعد هذا العطاء الزَّاخر لبَّى المترجَم له نداءَ مولاه ، **فوافته المنيَّة** في مدينة القاهرة بالمدرسة المنصورية ، في الثَّالثَ عشرَ من شهر جمادى الآخرة ، سنة (٧٠٩ هـ) .

وكانت له جنازةٌ مشهودةٌ ، ودُفن بالقرافة بقرب بني وفا ، وبجواره قبر الإمام كمال الدِّين **بن الهمام** ، وقبر الإمام محمد **بن سيِّد النَّاس** ، وقبر العارف بالله **ابن أبي جمرة** رحمهم الله تعالىٰ أجمعين ، **وجعلنا وإيَّاهم** من أهل جنَّة النَّعيم ، بشفاعة سيِّد المرسلين ، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلىٰ آله وصحبه أجمعين ، ومَن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين .

* * *

وصف النسخ الخطيّة المعتمدة

اعتمدتُ في إخراج هذا الكتاب النافع المبارك **علىٰ أربع نسخٍ خطيّة ونسخةٍ مطبوعة عتيقة** :

النسخة الأولىٰ : وهي نسخةٌ مصوَّرةٌ **من المكتبة الأزهرية** العامرة ، ذات الرقم (عام ٢٨٦٤٧ـ خاص ١٥٠٧) ، وهي نسخةٌ كاملةٌ ، مقابلةٌ ومصحَّحةٌ ، **وخطُّها** : نسخي مستعجل .

تتألَّف هذه النُّسخة من (٢٨) ورقة ، وعددُ أسطرِ الورقة (٢٣) سطراً ، وعددُ كلمات السَّطر الواحد (١٠) كلماتٍ تقريباً .

كُتِبَ علىٰ ورقة العنوان وقفٌ هذا نصُّه : (وقَفَ هذا الكتابَ لله تعالىٰ كلٌّ من محمد عبد العظيم السَّقا ، وأخيه محمد إمام السَّقا ، علىٰ روح والدهما المرحوم العلامة المغفور له ، شيخ أهل عصره الشَّيخ : **إبراهيم السَّقا** ، ينتفع به العلماء وطلبة العلم بالجامع الأزهر ، **وجعل مقرَّه** تحت يد محمد إمام السَّقا مدة حياته ، **ثم من بعده** يكون تحت يد محمد عبد العظيم السَّقا كذلك ، **ثم من بعدهما** يكون تحت يد أولادهما الذُّكور دون الإناث ؛ الأرشد منهم فالأرشد ، **ثم من بعدهم** يكون مقرُّه في كتبخانة الأزهر الشريف ؛ للانتفاع به كذلك ، أبد الآبدين ودهر الداهرين ، **وشرَطَا أنه لا يُغيَّر** إلا لأمين يحفظ التغييرة ، وقفاً صحيحاً ، لا يباع ولا يرهن ولا يوهب ؛ فمن بدَّله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم ، تحريراً في يوم الاثنين ، غرة محرم

الحرام ، سنة ألف وثلاث مئة وسبعة وثلاثين هجرية) رحمهم الله وجزاهم عن المسلمين خيراً .

وجاء في خاتمتها : (تم الكتاب « تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس » لمولانا الأستاذ العارف المحقِّق المسلِّك المرشد : **التاج ابن عطاء الله السكندري** ، أفاض الله تعالىٰ عليه شآبيب رحمته ، وأعاد علينا وعلى المسلمين من بركاته ومدده في الدُّنيا والآخرة ، ونفحنا من نفحاته ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وأصحابه ، كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون ، والحمد لله رب العالمين .

وكان الفراغ من كتابتها : يوم الاثنين المبارك ، ثلاثة وعشرين من شهر ذي الحجة الحرام ، ختام سنة « ١١٩٥ » ألف ومئة وخمسة وتسعين من الهجرة النبوية ، علىٰ صاحبها أفضل الصَّلاة وأزكى السَّلام ، علىٰ يد العبد الفقير ، المعترف بالذَّنب والتَّقصير ، الرَّاجي عفو ربه القدير : **إبراهيم بن الشيخ داوود** العو النكلاوي المالكي ، غفر الله تعالىٰ له ولوالديه ، ومشايخه وإخوانه المسلمين ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وعلىٰ آله وصحبه وسلم) .

فاتخذتُ هذه النسخة أصلاً ، ورمزتُ لها بـ (أ) .

* * *

النسخة الثانية : وهي نسخةٌ مصورةٌ **من المكتبة الأزهرية** أيضاً ، وهي ذات الرقم (عام ٤٨٤٤٨ـ خاص ١٤١٠) ، وهي نسخةٌ كاملةٌ ومقابلة ، **وخطُّها** : نسخيٌّ جميل ، وهي مكتوبةٌ بلونين .

تتألَّف هذه النُّسخة من (٣١) ورقة ، وعددُ أسطرِ الورقةِ الواحدةِ (٢٣) سطراً ، وعددُ كلماتِ السَّطر الواحد (٩) كلماتٍ تقريباً .

كُتِبَ علىٰ ورقة العنوان وقفٌ هذا نصُّه : (وقَفَ هذا الكتابَ الحاجُّ محمد ربيع بن الحاج علي ربيع ، والحاج حسين ربيع بن الحاج علي ربيع وقفاً شرعياً ، لا يُباع ولا يُوهب ، ولا يُرهن علىٰ من ينتفع به ، فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه) .

وجاء في خاتمتها : (والله الموفِّق وبه أستعين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلَّى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً إلىٰ يوم الدِّين) .

ورمزتُ لهذه النُّسخة بـ (ب) .

* * *

النسخة الثالثة : وهي نسخةٌ مصورةٌ من المكتبة الأزهرية كذلك ، ورقمها (عام ٢١١٤٤ـ خاص ١٥٠٥) ، وهي نسخةٌ كاملةٌ ، وخطُّها : نسخيٌّ معتاد .

تتألَّف هذه النُّسخة من (٣٤) ورقة ، وعددُ سطور الورقة (٢٣) سطراً ، وعددُ كلماتِ السَّطر الواحد (٩) كلماتٍ تقريباً .

وجاء في خاتمتها : (وصلَّى الله علىٰ سيِّدنا محمدٍ الصَّادق الأمين ، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين ، صلاةً وسلاماً دائمَينِ بدوام ملك الله إلىٰ يوم الدِّين ، وسلَّم تسليماً كثيراً ، والحمد لله ربِّ العالمين) وأورد فيها فائدةً ، وهي مذكورةٌ في آخر الكتاب .

ورمزتُ لهذه النُّسخة بـ (ج) .

* * *

النسخة الرَّابعة : وهيَ نسخةٌ مصورةٌ **من مكتبة الأسد** بدمشق الشَّام ، وهي نسخةٌ كاملةٌ ، **وخطُّها** : جميلٌ وواضحٌ مقروء .

تتألَّف هذه النُّسخة من (٥٢) ورقة ، وعددُ أسطر الورقة (١٧) سطراً ، وعددُ كلماتِ السَّطر الواحد (٨) كلماتٍ .

كُتِبَ على الورقة الأولىٰ منها : (وقفٌ لله تعالى) ، **وعلى الورقة الأخيرة** : (وصلَّى الله علىٰ سيِّدنا وسندنا محمدٍ ، الصَّادق الوعدِ الأمين ، وعلىٰ آله وأصحابه ، وذُرِّيته وعشيرته ، وأزواجِه أجمعين ، صلاةً وسلاماً دائمينِ مُتلازمينِ بدوام ملك الله إلىٰ يوم الدِّين ، وسلَّم تسليماً كثيراً .

وقد وقع الفراغ من تحرير هذه الرِّسالة الشَّريفة ، علىٰ يد أفقر عباد الله الوهَّاب ، الفقير الحقير : **محمد سهراب** ، الدفتري سابقاً ، بدمشق الشَّام ، في رابع عشر شهر رجب ، في يوم الاثنين المبارك ، وقت الضحى ، نرجو من الإخوان كل من نظر إليه وقرأها [أن] لا ينسونا من الدُّعاء والذِّكر الجميل ، **والتاريخ** : في سنة خمس وأربعين وألف ، وحسبنا الله ونعم الوكيل) .

ورمزنا لهذه النسخة بـ (د) .

* * *

النسخة الخامسة : وهي نسخة مطبوعة عتيقة ، احتفظت بها مكتبة برنستون لأهميتها ، وهي طبعة نادرة ، من منشورات المطبعة العامرة ، في مدينة القاهرة الناضرة .

تتألَّف هذه النُّسخة من (٤٧) صفحة ، وعددُ أسطرِ الورقةِ الواحدةِ

(٢٥) سطراً ، وعددُ كلماتِ السَّطر الواحد (١٠) كلماتٍ تقريباً .

صدرت هذه الطبعة بعناية الشيخ أحمد رمضان ، وتصحيح العلامة علي صقر ، في شهر شعبان سنة (١٣٠٤هـ) .

اعتمدتُ هذه النسخة للاستئناس ، وأعدتُ المقابلة عليها ، واستفدتُ منها كثيراً ، ورمزتُ لها بـ (ط) .

* * *

منهج العمل في تحقيق الكتاب

تمَّ إخراج هذا السِّفر المبارك باتِّباع الخطوات الآتية :

ـ **نسختُ الكتابَ** من الأصل ، **وقابلتُه على النسخ الخطية الأربع** ، ثمَّ أكرمَني اللهُ بالنسخةِ المطبوعةِ العتيقةِ ، فأعدتُ المقابلةَ عليها ، وأثبتُّ بعضَ فروقِ النسخِ ممَّا له فائدة .

ـ **حصرُ الآياتِ القرآنية** بينَ قوسينِ مزهرينِ ﴿ ﴾ ، وجعلُها برسم المصحفِ الشَّريف من رواية حفصٍ عن عاصم رحمهما الله تعالى .

ـ **عزوتُ الأحاديثَ والآثارَ والأخبارَ** إلى المصادر المتيسِّرة بين يديَّ .

ـ وضعتُ بعضَ التعليقاتِ لإيضاح مشكلٍ أو سردِ دليل ، أو تأييدِ فكرةٍ أو زيادةِ بيانٍ ، أو إيرادِ قصةٍ أو ذِكرِ فائدةٍ **ممَّا يُعينُ القارىءَ والمدرِّسَ في بيانِ شيءٍ من المقصودِ** من هذا السِّفْرِ النافع .

ـ **تمَّ إضافة عناوين للفقرات والأفكار** ، وجعلُها بينَ معقوفين [ ] تيسيراً على المطالع والمدرِّس ، ومن أجل صنع محتوى الكتاب .

ـ **تزيينُ النصِّ بعلامات الترقيم** ؛ تيسيراً لفهمِ النص ، وقد اعتمدتُ وضعَ نقطتينِ لجواب الشرط والخبرِ البعيد هكذا (. .) وهي مما استفدتُه من دار المنهاج التي أكرمني الله بالعمل **في لجنتها العلمية** ، ولله الحمد والمنَّة .

ـ **ذكرتُ ترجمةً موجزةً للمؤلف** رحمه الله تعالىٰ أوَّل الكتاب .

ـ صنعتُ فهرساً للكتاب ، وكلمةً موجزةً أوَّله لتسليط الضوء على الكتاب .

وفي الختام : هذا جهدُ المقلِّ ، **أسألُ الله** أن تشملَه عينُ القَبول والرِّضا ، وأن يخرُجَ الكتاب كما أراده مؤلفه ، **وأن يجعلَه في ميزان الحسنات** ، وأن يُحسِنَ ختامنا ووالدينا وأشياخنا وذرِّياتنا والمسلمين ، ويحشرَنا تحتَ لواء سيد المرسلين ، صلَّى اللهُ وسلَّم عليْهِ وعلىٰ آله وصحبه والتابعين .

ولا يفوتني أن أتقدَّمَ بالشكر إلىٰ سيدي العلامة **محمد ياسر القضماني** ؛ لتكرمه بكتابة تقديمٍ لهذا السِّفر النافع ، وإلىٰ صديقي الفاضل الشريف **أنس الشرفاوي** الذي قدَّم لي إحدىٰ نسخِ الكتاب الخطية ، وأتقدم بالشكر أيضاً إلى السيد **لؤي الأحمر** علىٰ تعاونه وما قدَّمه للكتاب من حيث الطباعة والنشر ، وأشكر كل من ساهم معي في هذا العمل ؛ ولا سيما **زوجتي وأولادي** ؛ فقد قاموا بمقابلة الكتاب معي على النسخ الخطية مرات .

وَالحمدُ للهِ الذي بنعمتهِ تتمُّ الصَّالحات

وَكَتَبَهُ
قصي بن محمد نورس الحلاق

الشام المباركة
٢٨ من جمادى الآخرة ١٤٣٨ هـ
الموافق لـ ٢٧ / ٣ / ٢٠١٧ م



تأليف الإمام العلامة

تاج الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الكريم

ابن عطاء الله السكندري

رحمه الله تعالى

(ت ٧٠٩ هـ)

تحقيق وتعليق

قصي بن محمد نورس الحلاق

دار التقوى

[مقدّمة الكتاب]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين[١]

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين ، **وصلَّى اللهُ علىٰ سيِّدنا محمدٍ** وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ أجمعين[٢] .

قالَ الشَّيخُ الإمامُ ، العالمُ العاملُ ، الجامعُ بينَ عِلْمَي الشَّريعةِ والحقيقةِ **تاجُ الدِّينِ أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ عطاءِ اللهِ السَّكندريُّ** رحمَهُ اللهُ تعالى ، وأفاضَ علينا وعلى المسلمينَ مِنْ بركاتِ علومه ، آمين[٣] :

أيُّها العبدُ ؛ اطْلُبِ التَّوبةَ مِنَ اللهِ تعالىٰ في كلِّ وقتٍ ؛ **فإنَّ اللهَ تعالىٰ قَدْ نَدَبَكَ إليها** ، فقالَ تعالى : ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٤] [النور : ٣١] .

---

(١) في النسخة (ج) : (بسم الله الرحمن الرحيم ، **اللهم** ؛ لا سهلَ إلا ما جعلته سهلاً ، قال . . .) .

(٢) الحمدلة والصلاة علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم زيادة من (ط) ، وزاد أيضاً : (هذا كتاب « **تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس** » تأليف الشيخ الإمام الجامع بين علمي الشريعة . . .) .

(٣) هذه الديباجة موجودة في النسخ الأربع والنسخة المطبوعة أيضاً لكن مع اختلاف يسير ؛ ولعلها زيادة من بعض تلامذة المؤلِّف رحمه الله تعالى .

(٤) **ندبك إليها** ؛ أي : حثَّك وطلب منك ودعاك لفعلها ، **والتوبة** : الرجوع عن كلِّ مذمومٍ شرعاً إلىٰ ما هو محمود ، والاعتراف بالذنب والتقصير ، وطلب السَّتر من المولىٰ القدير ، فطلب سبحانه التوبة من الجميع ؛ **لحاجتهم إليها** ، ولوقوع الذنب والتقصير والغفلة منهم ، أخرج ابن عساكر في « تاريخ دمشق » ←

وقالَ تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٢] .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « **إنِّي لأَستغفرُ اللهَ في اليومِ سبعينَ مرَّةً** »[1] .

[محاسبة النفس]

فإنْ أردتَ التوبةَ . . **فينبغي لكَ** ألا تخلوَ مِنَ التَّفَكُّرِ طولَ عُمرِكَ ، فتفكَّرْ فيما صنعتَ في نهارِكَ ؛ فإنْ وجدْتَ طاعةً . . **فاشكرِ اللهَ تعالىٰ عليها** ، وإنْ وجدتَ معصيةً . . **فوبِّخْ نفسَكَ علىٰ ذلك** ، واسْتغفِرِ اللهَ وتُبْ إليه ؛ فإنَّهُ لا مجلسَ معَ اللهِ أنفعُ لكَ مِنْ مجلسٍ تُوَبِّخُ فيهِ نفسَكَ[2] .

(١٧/ ٤٣١) عن ذي النون المصري رحمه الله تعالىٰ قال : (**توبة العوامِّ** من الذُّنوب ، **وتوبة الخواصِّ** من الغفلة) .

(١) أخرج نحوه البخاري (٦٣٠٧) ، وابن حبان (٩٢٥) وغيرهما عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وزاد في (ط) أول الحديث : « إني ليغان علىٰ قلبي ، وإني . . . » وهي عند الإمام مسلم (٢٧٠٢) وفيه الاستغفار مئة مرة ، ونقل العلامة القسطلاني رحمه الله تعالىٰ في « المواهب اللدنية » (٢/ ٣٢٣) : (وذكر الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في كتابه « لطائف المنن » [ص٨٦ ـ ٨٧] : أن الشيخ أبا الحسن الشاذلي قال : رأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم في النوم ، فسألتُه عن هذا الحديث : « إنه لَيُغان علىٰ قلبي » فقال لي : « يا مبارك ؛ **ذلك غينُ الأنوار** ، لا غين الأغيار ») ، **واستغفاره صلى الله عليه وسلم** : إما تشريعٌ لأمته ، أو من ذنوبهم ؛ فهو كالشفاعة لهم ، وإما لاشتغاله بالأمور المباحة : من أكلٍ أو شربٍ أو نوم ، أو لأنه صلى الله عليه وسلم دائم الترقِّي ، فإذا ارتقىٰ من حالٍ إلىٰ حالٍ . . رأىٰ ما قبلها ذنباً ، **فاستغفر من الحال السابق** ؛ فخوفُ المقرَّبين من الأنبياء والملائكة . . **خوفُ إجلالٍ وإعظام** ، من هيبة وجلال الملك العلام ، **قلت** : والحرُّ تكفيه الإشارة .

(٢) أخرج البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٧٧٧) عن ذي النون المصري رحمه الله تعالىٰ قال : (**الاستغفار من غير إقلاع** هو توبة الكذَّابين) ، قال لقمان لابنه : (يا بني ؛ لا تؤخر التوبة ؛ فإن الموت يأتي بغتة) .

ولا تُوَبِّخْها وأنتَ ضاحكٌ فَرِحٌ ، **بَلْ وَبِّخْهَا وأنتَ مُجِدٌّ صادقٌ** ، مُظْهِرٌ للعُبُوسةِ ، حزينُ القلب ، مُنْكسِرٌ ذليلٌ[1] ؛ فإنْ فعلتَ ذلكَ . . **بدَّلَكَ اللهُ بالحُزْنِ** فرحاً[2] ، **وبالذُّلِّ** عِزّاً ، **وبالظُّلْمةِ** نُوراً ، **وبالحِجابِ** كشفاً .

[من صفاتِ الأبدالِ]

وعنِ الشَّيخِ مكين الدِّينِ الأسمرِ رحمهُ اللهُ تعالىٰ ـ **وكان مِنَ السَّبْعةِ الأبدالِ**[3] ـ قالَ : (كنتُ في ابتداءِ أمري أَخيطُ وأتقوَّتُ مِنْ ذلكَ ، **وكنتُ أعدُّ كلامي بالنَّهار** ؛ فإذا جاءَ المساءُ . . **حاسبتُ نفسي** ، فأجدُ كلامي قليلاً ؛ فما وجدتُ فيه مِن خيرٍ . . **حمدتُ اللهَ وشكرتُهُ عليه** ، وما وجدتُ

وقال بعض الحكماء : (لا تكن ممَّن يرجو الآخرة بغير عمل ، ويؤخر التوبة لطول الأمل) انظر « لطائف المعارف » (ص٥٨٤) .

(١) أخرج أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٤/ ٨٩) عن ميمون بن مهران رحمه الله تعالىٰ قال : (لا يكون الرجل من المتقين حتىٰ يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه ؛ حتىٰ يعلم : من أين مطعمه ؟ ومن أين ملبسه ؟ ومن أين مشربه ؟ **أَمِنْ حلالٍ ذلك أم من حرام ؟**) .

(٢) في النسختين (ج ، د ، ط) : (أبدلك الله . . .) .

(٣) هو الشيخ الكبير ، السيد الشهير ، المقرىء النحرير : عبد الله بن منصور بن علي اللخمي الإسكندري ، المالكي الشاذلي ، **المعروف بالمكين الأسمر** ، أستاذٌ محقِّق ، **كان مقرىءَ الإسكندرية** ، بل الديار المصرية في زمانه ، ثقة صالح ، **قرأ القراءات** علىٰ أبي القاسم الصفراوي ، وإبراهيم بن وثيق ؛ فقد قرأ عليه السبع جمعاً ختمةً في ليلةٍ واحدة ، وهذا مما لم يُسمَع لغيره ، وُلد سنة (٦١١هـ) ، وتوفي في غرة ذي القعدة سنة (٦٩٢ هـ) بالإسكندرية ، رحمه الله تعالى . انتهىٰ من غاية النهاية في طبقات القراء للإمام ابن الجزري رحمه الله تعالىٰ (١/ ٤٠٢) ، ونقل المؤلف في « لطائف المنن » عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي : أنه شهد للشيخ مكين الدين بأنه من السبعة الأبدال ، وهو من أقران المؤلف ، رحمهم الله جميعاً .

فيه مِنْ غيرِ ذلكَ . . **تُبْتُ إلى اللهِ واسْتغفرتُهُ**) إلىٰ أنْ صارَ بدلاً ، رضيَ اللهُ عنهُ[١] .

[أثر الذُّنوب على القلوب]

واعلم : أنَّهُ إذا كانَ لكَ وكيلٌ يحاسبُ نفسَهُ ويُحقِّقُها . . **فأنتَ لا تُحاسبُهُ** ؛ لمحاسبتِهِ نفسَه ، وإنْ كانَ وكيلاً غيرَ محاقِقٍ لنفسِهِ . . **فأنتَ تُحاسبُهُ وتحققُه** ، وتُبالغُ في محاسبتِهِ .

فعلىٰ هذا : ينبغي أنْ يكونَ عملُكَ كلُّه للهِ تعالى ، ولا ترىٰ أنَّكَ تفعلُ فعلاً ؛ فإنَّ اللهَ تعالىٰ لا يحاسبكَ ولا يحقِّقُكَ[٢] .

وإذَا وقعَ منَ العبدِ ذنبٌ . . وقعَ معهُ ظلمةٌ ؛ **فمثالُ المعصيةِ** كالنارِ ، والظُّلمةُ دُخَانُها ؛ كمَنْ أوقدَ في بيتٍ سبعينَ سنةً ، **ألا تراهُ يَسْوَدُّ** ؟

كذلكَ القلبُ يَسْوَدُّ بالمعصية ، فلا يطهرُ إلا بالتوبةِ إلى اللهِ تعالى ، فصارَ الذُّلُّ والظلمةُ والحجابُ مقارناً للمعصية ، فإذا تبتَ إلى اللهِ تعالىٰ . . **زالتْ آثارُ الذُّنوب**[٣] .

---

(١) **الأبدال** : قومٌ صالحون لا تخلو الدنيا منهم ، إذا مات واحدٌ منهم . . أبدل الله مكانه آخر ، أخرج الإمام أحمد (١١٢/١) عن شُريح بن عُبيد قال : ذُكر أهلُ الشام عند سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو بالعراق ، فقالوا : العنهم يا أمير المؤمنين . قال : لا ؛ إني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **الأبدال يكونون بالشام** ؛ وهم أربعون رجلاً ، كلَّما مات رجلٌ . . أبدل الله مكانه رجلاً ؛ يُسقىٰ بهم الغيث ، ويُنتَصر بهم على الأعداء ، ويُصرَف عن أهل الشام بهم العذاب » .

(٢) في (أ ، ج ، د) : (ولا ترىٰ أنك تفعل فعلاً لا تحاسبه ولا تحقق) ، وفي (ط) : (لا يحاسبك ولا يحاققك) .

(٣) أخرج الترمذي (٣٣٣٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن العبد إذا أخطأ خطيئةً . . نُكتت في قلبه نكتةٌ ←

[متابعةُ النبيِّ ﷺ وأقسامها]

ولا يدخلُ عليكَ الإهمالُ إلا بإهمالِكَ عَنْ مُتابعةِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم ، ولا تحصلُ لكَ الرِّفعةُ عندَ اللهِ تعالىٰ **إلا بمتابعةِ النَّبيِّ** صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم[1] .

والمتابعةُ لهُ عليهِ الصَّلاةُ والسلامُ علىٰ قِسمينِ : جليَّة ، وخفيَّة .

فالجليَّةُ : كالصَّلاةِ والصِّيام ، والزَّكاةِ والحجِّ ، والجهادِ وغيرِ ذلك[2] .

والخفيَّةُ : أنْ تعتقدَ الجمعَ في صلاتِك[3] ، والتَّدبُّرَ في قراءتِكَ ، فإذا فعلتَ الطَّاعةَ ؛ كالصَّلاةِ والقراءةِ ولم تجدْ فيها جمعاً ولا تدبُّراً . . **فاعلم** : أنَّ بكَ مرضاً باطناً مِنْ كِبْرٍ أو عُجْبٍ أو غيرِ ذلك ، قالَ اللهُ تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾[4] [الأعراف : ١٤٦] ،

سوداء ، فإذا هو نزَع واستغفر وتاب . . صُقل قلبه ، وإن عاد . . زيدَ فيها حتىٰ تعلوَ قلبَه ؛ **وهو الرَّان الذي ذكر الله تعالىٰ** : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين : ١٤] » .

(١) أخرج البخاري (٧٢٨٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **كلُّ أمتي يدخلون الجنة إلا مَن أبىٰ** » قالوا : يا رسول الله ؛ ومن يأبى ؟! قال : « من أطاعني . . دخل الجنة ، ومن عصاني . . فقد أبى » .

(٢) في (د) : (والجهاد في سبيل الله ، وغير ذلك من السنن المأثورة) .

(٣) قال بعض الصالحين : (إذا وقفت في صلاتك . . **فاعلم مَن تخاطب** ، وبين يدي مَن تقف ؟!) .

(٤) **الكبر والعجب** : داءان مُهلكان ، **والمتكبِّر والمُعجَب** سقيمان مريضان ، وهما عند الله ممقوتان بغيضان ، قال تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [النحل : ٢٣] ، أخرج الترمذي (٢٤٩٢) عن عَمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن

فيكونُ مثالُكَ كالمحمومِ الَّذي يجدُ في فمِهِ السُّكَّرَ مُرّاً .

فالمعصيةُ معَ الذُّلِّ والافتقارِ . . خيرٌ مِنَ الطَّاعةِ معَ العزِّ والاستكبار[1] ، قالَ اللهُ تعالىٰ حكايةً عَنْ إبراهيمَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : ﴿ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ﴾ [إبراهيم : ٣٦] ، فمفهومُ هذا : أنَّ مَنْ لم يتبعْهُ . . ليسَ منْهُ .

وقالَ تعالىٰ حكايةً عَنْ نوحٍ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : ﴿ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى ﴾ [هود : ٤٥] ، فأجابَهُ سبحانَهُ : ﴿ قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ﴾[2] [هود : ٤٦] .

فالمتابعةُ تجعلُ التابعَ كأنَّهُ جزءٌ مِنَ المتبوعِ وإنْ كانَ أجنبياً كسلمان

النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يُحشر المتكبِّرون يوم القيامة أمثال الذَّرِّ في صُوَر الرجال ، يغشاهم الذُّلُّ من كل مكانٍ ، فيُساقون إلىٰ سجنٍ في جهنم يُسمَّىٰ بُولَس ، تعلوهم نارُ الأنيار ، يُسقَون من عصارة أهل النار طينة الخبال » وهي عَرَق أهل النار ، نسأل الله السلامة والعافية .

(١) أخرج أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢/ ٢٠٠) عن مُطرِّف بن عبد الله رحمه الله تعالىٰ قال : (لأن أبيتَ نائماً وأصبح نادماً . . أحب إليَّ من أن أبيت قائماً وأُصبح معجباً) .

(٢) نقل الراغب الأصبهاني في « محاضرات الأدباء » (١/ ٤٣٥) عن الإمام مقاتل رحمهما الله تعالىٰ قوله : (صديقٌ موافق خيرٌ من ولدٍ مخالف ؛ ألم تسمع قول الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ﴾) ، والمراد : إنه ليس من أهلك الذين أمرناك بحملهم ، ووعدناك بضمان نجاتهم ؛ فلا صلة لأحدٍ في معصية الله ، ولا قطيعة في ذات الله ، والله تعالىٰ يحب المطيع ، ويبغض العاصي ؛ فكما أنه لا يبغض الأب المطيع ببغضه للولد العاصي . . فكذلك لا يحب الولد العاصي بحبه للأب المطيع ، ولو كان الحب يسري من الأب إلى الولد . . لأوشك أن يسري البغض أيضاً ، بل الحق : أن لا تزر وازرة وزر أخرى ، ومن ظن أنه ينجو بتقوىٰ أبيه . . كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه ، ويروىٰ بشُرب أبيه ، ويصير عالماً بتعلُّم أبيه !!

الفارسيَّ رضيَ اللهُ عنه ؛ لقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم : « سلمانُ منَّا أهلَ البيتِ »[1] .

ومعلومٌ : أنَّ سلمانَ منْ أهلِ فارس ، ولكنْ بالمتابعةِ صارَ من أهل البيتِ ؛ فكما أنَّ المتابعةَ تُثبتُ الاتصالَ . . كذلِكَ عدمُها يثبتُ الانفصال .

[مفتاحُ الخيرِ كلِّه في اتباعه ﷺ]

وقدْ جمعَ اللهُ الخيرَ كلَّهُ في بيتٍ ، وجعلَ مفتاحَهُ متابعةَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم ، فتابِعْهُ بالقناعةِ بما رزقَكَ اللهُ تعالى ، والزُّهدِ والتقلُّلِ مِنَ الدُّنيا ، وتركِ ما لا يعني منْ قولٍ وفعلٍ ؛ فمَنْ فُتِحَ لهُ بابُ المتابعةِ . . فذلكَ دليلٌ علىٰ محبَّةِ اللهِ تعالىٰ له ، قالَ تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2] [آل عمران : ٣١] .

فإذا طلبتَ الخيرَ كلَّهُ . . فقلِ : اللهمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ المتابعةَ لرسولِكَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم في الأقوالِ والأفعالِ .

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/٥٩٨) ، والطبراني في « الكبير » (٦ / ٢١٢) عن كثير بن عبد الله المزني ، عن أبيه ، عن جده ، وورد عن سيدنا علي رضي الله عنه أنه قال : (من الطويل)

لَعَمرُكَ ما الإنسانُ إلا بدِينهِ ... فلا تَترُكِ التَّقوى اتِّكالاً على النَّسبْ

فقدْ رفعَ الإسلامُ سلمانَ فارسٍ ... وقدْ وضعَ الكفرُ الشريفَ أبا لهبْ

(٢) أخرج البخاري (١٥) ، ومسلم (٤٤) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين » ، وقال الحسن البصري : (زعم قومٌ أنهم يحبُّون الله ، فابتلاهم الله بهذه الآية ، فقال : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾) .

ومَنْ أرادَ ذلكَ . . **فعليهِ بعدمِ الظُّلمِ لعبادِ اللهِ** في أعراضِهِمْ وأنسابِهِمْ وأموالِهِمْ ، فلو سَلِمُوا مِنْ ظُلْمِ بعضِهِمْ بعضاً . . **لانطلقوا إلى اللهِ تعالىٰ** ؛ ولكنَّهم مَعوقُونَ كالمِدْيانِ بسببِ مَنْ يطلبُه[1] .

واعلم : أنَّكَ لو كنتَ مُخصَّصاً عندَ الملكِ مُقرَّباً منهُ ، وجاءَ مَنْ يَطلبُكَ بدَيْنٍ . . ضيَّقَ عليكَ ولو كانَ نَزْراً يسيراً ، **فكيفَ بكَ** إذا جئتَ يومَ القيامةِ ومئةُ ألفِ إنسانٍ أو أكثرُ يطلبونَكَ بدُيونٍ مختلفةٍ : مِنْ أخذِ مالٍ ، وقذفِ عِرْضٍ ، وغيرِ ذلكَ . . **فكيفَ يكونُ حالُكَ** ؟![2] .

❋ ❋ ❋

---

(١) **المِديان** : هو الذي أثقلَتْ كاهلَه الدُّيون ، وكثُر مُطالبوه .

(٢) أخرج ابن حبان (٤٤١١) ، والترمذي (٢٤١٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أتدرون مَنِ المفلس** ؟ » قالوا : المفلس فينا يا رسول الله مَن لا درهمَ له ولا متاع له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **المفلسُ من أمتي** مَن يأتي يوم القيامة بصلاته وصيامه وزكاته ، وقد شتم هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيقعد ، فيُعطىٰ هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ؛ فإن فنيت حسناته قبل أن يعطي ما عليه . . **أُخذ من خطاياهم فطُرحت عليه** ، ثم طُرح في النار » .

[المصابُ مَن محقَتْهُ الذُّنوب]

المصَابُ حَقّاً : مَنْ محقَتْهُ الذُّنوبُ والشَّهواتُ حتَّىٰ جعلتْهُ كالشَّنِّ البالي[١] ، هذا هو المنكوبُ المُعزَّى ؛ ذهبَتْ مآكِلُهُ وشهواتُهُ ملأَ بها المِرْحاضَ ، وأرضىٰ بها زوجتَهُ ، **ويا ليتَها كانت مِنْ حلالٍ** !![٢] .

فأوَّلُ المقَاماتِ : التوبةُ ، ولا يُقبَلُ ما بعدَها إلا بها .

[المعصية تُسَوِّد القلب والتوبة تغسله]

مثالُ العبدِ إذا فعلَ المعصيةَ كالقِدْرِ الجديد ؛ يُوقدُ تحتَها النَّارُ ساعةً فتَسْوَدُّ ، فإنْ بادرْتَ إلىٰ غَسْلِها . . **انغسلَتْ مِنْ ذلكَ السَّواد** ، وإنْ تركْتَها وطبخْتَ فيها مرَّةً بعدَ مرَّةٍ . . **ثبتَ السَّوادُ فيها** حتَّىٰ تَنْكسِرَ ، ولا يُفيدُ غسلُها شيئاً[٣] .

---

(١) في (ب ، ج) : (التائب حقاً من معصية الذنوب . . .) ، **ومحقته** : أهلكته وأبادته ، **والشَّن** ـ بفتح الشين ـ : هي القِربة التي يُشرب منها ، تُسمىٰ بذلك إذا قاربت على البلى .

(٢) ذكر الإمام الغزالي رحمه الله تعالىٰ في « إحياء علوم الدين » (٣/ ٣٥٤) عن سهل بن عبد الله التُّستري رحمه الله تعالىٰ قال : (من أكل الحرام . . **عصت جوارحه** ؛ شاء أم أبى ، علم أو لم يعلم ، ومن كانت طعمته حلالاً . . **أطاعت جوارحه** ، **ووُفقت للخيرات**) .

(٣) أخرج أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٣٢٤) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : (يا صاحب الذنب ؛ لا تأمن من سوء عاقبته ، **ولمَا يتبع الذنب أعظم من الذنب إذا عملته** ؛ فإنَّ قلَّة حيائك ممَّن على اليمين وعلى الشمال وأنت على الذنب أعظمُ من الذنب الذي عملته ، **وضحكك** وأنت لا تدري ما الله صانعٌ بك أعظم من الذنب ، **وفرحك بالذنب** إذا ظفرت به أعظم من الذنب ، **وحزنك على الذنب** إذا فاتك أعظم من الذنب إذا ظفرت به ، **وخوفك من الريح** إذا حرَّكَتْ ستر ←

فالتَّوبةُ : هيَ التي تَغسلُ سوادَ القلبِ ، فتَبْرُزُ الأعمالُ وعليها رائحةُ القَبولِ ، فاطلبْ مِنَ اللهِ تعالى التوبةَ دائماً ؛ فإنْ ظَفِرْتَ بها . . فقدْ طابَ وقتُك ؛ لأنَّها موهبةٌ مِنَ اللهِ تعالىٰ ، يَضعُها حيثُ شاءَ مِنْ عبادِهِ .

وقدْ يَظْفَرُ بها العبدُ المُشقَّقُ الأكعابِ دُونَ سيِّدِهِ ، وقدْ تظفرُ بها المرأةُ دُونَ زوجِها ، والشَّابُّ دُونَ الشَّيخِ ؛ فإنْ ظفِرْتَ بها . . فقَدْ أحبَّكَ اللهُ ؛ لقولِهِ تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[1] [البقرة : ٢٢٢] .

إنَّما يغتبطُ بالشَّيءِ مَنْ يَعرِفُ قَدْرَهُ ، ولو بَذَرْتَ الياقوتَ بينَ الدَّوَابِّ . . لكانَ الشَّعيرُ أحبَّ إليهم[2] ، فانظُرْ مِنْ أيِّ الفريقينِ أنت ؟!

← بابك وأنت على الذنب ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك أعظم من الذنب إذا عملته . . .) .

(١) أخرج اللالكائي في « اعتقاد السنة » (١١٨٩) عن عبيد الله بن الحسن قاضي البصرة قال : (كانت عندي جارية أعجمية وضيئة ، فكنتُ بها معجباً ، فكانت ذات ليلة نائمة إلىٰ جنبي ، فانتبهتُ فلم أجدها ، فلمستُها فلم أجدها ، وقلت : شر ، فلما وجدتها . . وجدتُها ساجدةً وهي تقول : بحبِّك لي اغفر لي ، قال : قلت لها : لا تقولي هكذا ، قولي : بحبِّي لك ؟! فقالت : يا بطَّال ؛ حبُّه لي أخرجني من الشرك إلى الإسلام ، وحبُّه لي أيقظ عيني وأنام عينك ، قال : قلت : فاذهبي فأنتِ حرة لوجه الله ، قالت : يا مولاي ؛ أسأتَ إليَّ كان لي أجران وصار لي أجرٌ واحد !!) .

(٢) قال سيدنا المسيح عليه السلام : « لا تضعوا الحكمة في غير أهلها فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ، وكن كالطبيب الحاذق ؛ يضع دواءه حيث يعلم أنه يُنتفع به » ، ورحم الله من قال : (من البسيط)

قالوا نراك طويلَ الصمت قلتُ لهم ... ما طول صمتي من عيٍّ ولا خرسِ
أأنشر البزَّ فيمن ليس يعرفه ... أم أنثر الدُّرَّ بين العُمْي في الغلسِ

وفي بعض الكتب : (يا بني إسرائيل ؛ لا تطرحوا الدُّرَّ بين أيدي الخنازير . . فتطؤه وهي لا تعرفه) فلكل تربة غرسٌ ، ولكل بناء أسٌّ ؛ إن لهذا العلم ثمناً ←

إنْ تُبْتَ . . فأنتَ مِنَ المحبوبين ، وإنْ لم تتُبْ . . فأنتَ مِنَ الظَّالمين ؛ قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [الحجرات : ١١] .

مَنْ تابَ . . ظفِرَ ، ومَنْ لم يَتُبْ . . خسِرَ ، ولا تقطَعْ يأسَكَ وتقولُ : كم [أتوبُ] وأنقُضُ[١] ؛ فالمريضُ يرجُو الحياةَ ما دامَتْ فيهِ الرُّوح .

إذا تابَ العبدُ . . فرِحَتْ بهِ دارُهُ مِنَ الجنَّة ، وتفرحُ بهِ السَّماءُ والأرضُ والرسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم ؛ فالحقُّ سبحانَهُ لم يَرْضَ أن تكونَ مُحِبّاً بَلْ محبوباً ، وأينَ المحبوبُ مِنَ المحِبّ ؟ ![٢] .

[مَن عرفه لم يَعصِه]

وأفٍّ لعبدٍ يعلمُ إحسانَ المحسنِ فيجترِىءُ علىٰ معصيتِهِ ؛ ولكنْ ما عرفَ إحسانَهُ مَنْ آثرَ عِصْيانَهُ ، وما عَرَفَ قَدْرَهُ . . مَنْ لم يُراقِبْهُ ، وما رَبِحَ مَنِ اشتغلَ بغيرِهِ ؛ فعلِمَ أنَّ النَّفْسَ تدعوهُ إلى الهَلَكةِ فاتَّبَعَها ، وعلِمَ أنَّ القلبَ يَدْعوهُ إلى الرُّشدِ . . فعصاهُ ، وعلمَ قَدْرَ المُعصَىٰ فواجهه بالمعصية ، ولو علم اتِّصافَهُ بعظمتِهِ . . لما قابلَهُ بوجودِ معصيتِهِ[٣] .

← فاقدروا له قدره ، قيل : وما ثمنه ؟ قال : (أن تضعه عند من يحفظه ولا يضيعه) .

(١) في النسخ كلها : (كم أتب . . .) ولعله علىٰ توهم الجزم .

(٢) أخرج البخاري (٣٢٠٩) ، ومسلم (٢٦٣٧) واللفظ له عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله إذا أحبَّ عبداً . . دعا جبريلَ فقال : إني أحبُّ فلاناً فأحبَّه ، قال : فيحبُّه جبريل ، ثم يُنادي في السماء فيقول : إن الله يحبُّ فلاناً فأحبُّوه ، فيحبُّه أهل السماء ، قال : ثم يُوضع له القَبول في الأرض ، وإذا أبغض عبداً . . دعا جبريلَ فيقول : إني أُبغض فلاناً فأبغِضْه ، فيبغضه جبريل ، ثم ينادي في أهل السماء : إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه ، قال : فيبغضونه ، ثم تُوضع له البغضاء في الأرض » .

(٣) أخرج الخطيب في « تاريخ بغداد » (٤/٤٦) عن محمد بن نصر بن منصور ←

وعَلِمَ قُرْبَ مولاهُ وأنَّهُ يراهُ فسارعَ لما عنهُ نهاه ، وعلمَ أثرَ الذَّنْبِ المرتَّبِ عليهِ دُنيا وأُخرى ، وغيباً وشهادةً . . **فما استحيا مِنْ ربِّه** ، ولو علمَ أنَّه في قبضتِهِ . . **لما قابلَهُ بمخالفتِهِ**[1] .

[آثار المعصية الظاهرة والباطنة]

واعلم : أنَّ المعصيةَ تتضمَّنُ نقْضَ العهد ، وتحليلَ عقدِ الوُدِّ ، والإيثارَ على المولى ، والطَّاعةَ للهوى ، وخلعَ جِلبابِ الحياء ، والمبادرةَ للهِ بما لا يرضىٰ[2] .

← الصائغ قال : سمعت محمد بن مصعب العابد ـ وكان مجابَ الدعوة ، وما رأيت أحداً أحسن تلاوة لكتاب الله منه ـ يقول : سمعت ابن المبارك يذكر عن الأوزاعي ، عن بلال بن سعد قال : (لا تنظر إلىٰ صغر المعصية ؛ **ولكن انظر مَن عصيتَ** !!) .

(١) أورد العلامة ابن القيم رحمه الله تعالىٰ في « مدارج السالكين » (١/ ١٩٤) عن بعض الكتب القديمة : (عبادي ؛ **يبارزونني بالعظائم** وأنا أكلؤهم علىٰ فُرُشهم ، **أخلُق** ويُعبَد غيري ، **وأرزق** ويُشكَر سواي ، **خيري** إلى العباد نازل ، **وشرُّهم إليَّ** صاعد ، **أتحبَّبُ إليهم بنِعَمي** وأنا الغني عنهم ، **ويتبغَّضون إليَّ بالمعاصي** وهم أفقر شيءٍ إليَّ ، مَن أقبلَ إليَّ . . **تلقيتُه من بعيد** ، ومَن أعرض عنِّي . . **ناديتُه من قريب** ، ومَن ترك لأجلي . . **أعطيتُه فوق المزيد** ، ومَن أراد رضاي . . **أردتُ ما يريد** ، ومَن تصرَّف بحولي وقوَّتي . . **ألنتُ له الحديد** ، أهلُ ذكري **أهل مجالستي** ، وأهلُ شكري **أهل زيادتي** ، وأهلُ طاعتي **أهل كرامتي** ، وأهلُ معصيتي **لا أُقنِّطهم من رحمتي** ؛ إن تابوا إليَّ . . **فإني أحبُّ التوابين وأحبُّ المتطهرين** ، وإن لم يتوبوا . . **فأنا طبيبُهم** ، أبتليهم بالمصائب ؛ لأُطهرهم من المعايب ، ومَن آثرني علىٰ سواي . . **آثرته علىٰ سواه** . . .) .

(٢) **ومن عقوبات المعاصي** : أن يرفع الله عزَّ وجل مهابته من قلوب الخلق ، **ويهون عليهم** ، ويستخفُّون به ، فعلىٰ قدر محبة العبد لله . . **يحبه الناس** ، وعلىٰ قدر خوفه من الله . . **يخافه الخلق** ، وعلىٰ قدر تعظيمه لله وحرماته . . **يعظم الناس حرماته** ، وكيف ينتهِكُ عبدٌ حرماتِ الله **ويطمع ألا ينتهك الناس حرماته**؟! أم كيف ←

مع ما في ذلك من الآثارِ الظاهرةِ : من ظهورِ الكُدورةِ في الأعضاء ، والجمودِ في العَين ، والكسلِ في الخدمة ، وتركِ الحفظِ للحُرْمة ، وظهورِ كسفِ الشَّهوات[1] ، وذهابِ بهجةِ الطَّاعات[2] .

وأما الآثارُ الباطنةُ : فكالقساوةِ في القلب ، ومعاندةِ النَّفْس ، وضيقِ الصَّدرِ بالشَّهوات ، وفقدانِ حلاوةِ الطَّاعات ، وترادُفِ الأغيارِ المانعةِ من بروقِ شوارقِ الأنوار ، واستيلاءِ دولةِ الهوىٰ . . . إلىٰ غيرِ ذلكَ مِنْ ترادفِ الارتياب ، ونِسْيانِ المآب ، وطولِ الحِساب[3] .

يستخِفُّ بمعاصي الله ولا يستخف به الخلق ؟! أخرج البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٨٣٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٤/ ١٥١) واللفظ له عن أحمد بن أبي الحَوَارِي قال : قلت لأبي سليمان : إن عبد الله بن حجر حدَّثنا عن ابن المبارك قال : (لا تقول : ما أجرأ فلاناً على الله ؛ فإن الله أكرم من أن يُجترىء عليه ، ولكن قُل : ما أغر فلاناً بالله) قال أبو سليمان : (صدق ابن المبارك ؛ هو أكرم من أن يُجترَىء عليه ، ولكنهم هانوا عليه فتركهم ومعاصيه ، ولو كرُموا عليه . . لمنعهم) .

(١) في (ج ، ط) : (كسب الشهوات) ، وفي (ب ، د) : (كشف الشهوات) .

(٢) أخرج أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١/ ٢١٥) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : (ليحذر امرؤ أن تبغضه قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر) ، ثم قال : (أتدري ممَّ هذا ؟) قلت : لا ، قال : (إن العبد يخلو بمعاصي الله عزَّ وجل ، فيلقي الله بُغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر) .
وأخرج البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٨٣٩) عن سليمان التيمي قال : (إن الرجل ليذنب الذنب فيصبح وعليه مذلَّته) وهـٰهنا نكتةٌ دقيقة يغلط فيها الناس في أمر الذنب ؛ وهي أنهم لا يرون تأثيره في الحال ، وقد يتأخر تأثيره فيُنسى ، وسبحان الله ؛ كم أهلكت هذه النكتة من الخلق ، وكم أزالت من نعمة ، وكم جلبت من نقمة ، وما أكثر المغترِّين بها من العلماء والفضلاء فضلاً عن الجهال !! ولم يعلم المغتر أن الذنب ينقض ولو بعد حين ؛ كما ينقض السهم وكما ينقض الجرح المندمل على الغش والدغل .

(٣) الذنب : إما أن يميت القلب ، أو يمرضه مرضاً مخوفاً ، أو يضعف قوته ، حتَّىٰ

[الفرقُ بينَ الطاعة والمعصية]

ولو لمْ يكُنْ في المعصيةِ إلا تبدُّلُ الِاسمِ . . لكانَ كافياً ؛ فإنَّكَ إذا كنْتَ طائعاً . . تُسمَّىٰ بالمحسِنِ المقبِل ، وإذا كنتَ عاصياً . . انتقلَ اسمُكَ إلى المسيءِ المعرِض .

هذا في انتقالِ الِاسمِ فكيفَ بانتقالِ الأثرِ : مِنْ تبدُّلِ حلاوةِ الطَّاعةِ بحلاوةِ المعصية ، ولَذاذةِ الخِدْمةِ بلذاذةِ الشَّهوة ؟!

هذا في تبدُّلِ الأثرِ فكيفَ بتبدُّلِ الوصفِ ؟! بعدَ أنْ كنتَ موصوفاً عندَ اللهِ بمحاسنِ الصِّفاتِ فيُعْكَسُ الأمرُ فتَتَّصِفُ بمساوىءِ الحالات !!

هذا في تبدُّلِ الوصفِ فكيفَ في تبدُّلِ المرتبة ؟! فبعدَ أنْ كنتَ عندَ اللهِ مِنَ الصَّالحينَ . . صِرْتَ عندَهُ مِنَ المفْسدين ، وبعدَ أنْ كنتَ عندَ اللهِ مِنَ المتقينَ . . صِرْتَ عندَهُ مِنَ الخائنين ؟![1] .

← ينتهي ضعفه إلى الأشياء الثمانية التي استعاذ منها النبي صلى الله عليه وسلم ؛ كما أخرجه البخاري (٢٨٩٣) عن سيدنا أنس رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان كثيراً ما يقول : « اللهم ؛ إني أعوذ بك من الهمِّ والحَزَن ، والعَجْز والكسل ، والجُبْن والبُخل ، وضِلَع الدَّيْنِ وغلبةِ الرجال » وكل اثنتين منها قرينتان .

(١) كان حبيب العجمي رجلاً تاجراً يُعير الدراهم ـ أي : يتعامل بالربا ـ فمرَّ ذات يوم بصبيانٍ يلعبون ، فقال بعضهم : قد جاء آكل الربا ، فنكَّس رأسه ، وقال : (يا رب ؛ أفشيتَ سرِّي إلى الصبيان) فرجع فلبس مدرعةً من شعرٍ ، وغلَّ يده ، ووضع ماله بين يديه ، وجعل يقول : (يا رب ؛ إني أشتري نفسي منك بهذا المال فأعتقني) فلما أصبح . . تصدَّق بالمال كله ، وأخذ في العبادة ، فلم يُرَ إلا صائماً أو قائماً ، أو ذاكراً أو مصلياً ، فمرَّ ذات يومٍ بأولئك الصبيان الذين كانوا يُعيِّرونه بأكل الربا ، فلما نظروا إلىٰ حبيب . . قال بعضهم لبعضٍ : اسكتوا ؛ فقد جاء حبيبٌ العابد ، فبكىٰ وقال : (يا رب ؛ أنت تحمد مرة ، وتذم مرة ؛ فكلٌّ من ←

[ما المطلوب عند كثرة الذنوب ؟]

فإنْ كانتِ الذُّنوبُ مُنْفتحةً في وجهِكَ . . فاسْتَغِثْ باللهِ ، والْجَأْ إليه ، واْحثُ الترابَ علىٰ رأسِك ، وقُلِ : اللهمَّ ؛ انقُلْني مِنْ ذُلِّ المعصيةِ إلىٰ عِزِّ الطَّاعة[1] ، وزُرْ ضرائحَ الأولياءِ والصَّالحين ، وقُلْ : يا أرحمَ الرَّاحمين[2] .

أتريدُ أنْ تُجاهدَ نفسَكَ وأنتَ تُقوِّيها بالشَّهواتِ حتَّىٰ تغلبَكَ ؟! ألا فقدْ

عندك) فبلغ من فضله أنه كان يقال : إنه مستجاب الدعوة ، وأتاه الحسن البصري هارباً من الحَجَّاج ، فقال : (يا أبا محمد ؛ احفظني من الشُّرَط علىٰ إثري) ، فقال : (استحييتُ لك يا أبا سعيد ؛ ليس بينك وبين ربك من الثقة ما تدعو فيستُرَكَ من هؤلاء ؟! ادخل البيت) فدخل ودخل الشُّرَط علىٰ إثره ، فقالوا : يا أبا محمد ؛ دخل الحسن من هٰهنا ؟ قال : (بيتي فادخلوا) فدخلوا فلم يروا الحسن في البيت .

فذكروا ذلك للحجاج ، فقال : (بلىٰ كان في بيته ؛ ولكن الله تعالىٰ طمس علىٰ أعينكم فلم تروه) انظر « تاريخ دمشق » للحافظ ابن عساكر (١٢/ ٤٨) ، و« تهذيب الكمال » للحافظ المزي (٥/ ٣٩٠) .

(١) أخرج البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٨٤٩) عن جعفر بن محمد رحمه الله تعالىٰ قال : (من أخرجه الله من ذلِّ المعصية إلىٰ عزِّ التقوىٰ . . أغناه الله بلا مال ، وأعزَّه بلا عشيرة ، وآنسه بلا أنيس ، ومن خاف الله . . أخاف منه كلَّ شيء ، ومن لم يخَفِ الله . . أخافه من كل شيء) .

(٢) زيارة القبور أمرٌ مشروع ، إذا ضاقت عليكم الأمور . . فعليكم بزيارة القبور ، أخرج الحاكم (١/ ٣٧٦) عن سيدنا أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كنتُ نهيتُكم عن زيارة القبور ، ألا فزوروها ؛ فإنه يَرِقُّ القلب ، وتدمع العين ، وتذكِّر الآخرة ، ولا تقولوا هُجراً » ، وقد ضمَّت في جنباتها الأنبياء والأولياء والصالحين ، والعلماء والقرَّاء والمحدِّثين ، والأقرباء من الآباء والأجداد الغابرين ، هم السابقون ونحن بهم لاحقون ، فلا تغترَّ بالدنيا مع المغترين .

جهِلْتَ ؛ **فالقلبُ شجرةٌ** تُسقَىٰ بماءِ الطَّاعة ، **وثمراتُها** مواجيدُها[1] ؛ **فالعينُ** ثمرتُها الاعتبار ، **والأُذُنُ** ثمرتُها الاستماعُ للقرآن ، **واللسانُ** ثمرتُهُ الذِّكْرُ ، **واليَدَانِ والرِّجْلانِ** ثمرتُهما السعيُ في الخيرات[2] .

فإذا جفَّ القلبُ . . **سقطتْ ثمراتُهُ** ، فإنْ أجدَبَ . . **فأكْثِرْ مِنَ الأذكار** ، ولا تكُنْ كالعليلِ يقولُ : لا أتداوىٰ حتَّىٰ أجدَ الشِّفاء ، فيُقالُ لَهُ : **لا تجدُ الشِّفاءَ حتَّىٰ تتداوىٰ** !!

فالجهادُ ليسَ معهُ حلاوةٌ ، وما معهُ إلا رؤوسُ الأسِنَّة ؛ فجاهِدْ نفسَكَ ، **هذا هوَ الجهادُ الأكبر**[3] .

---

(١) **المواجيد** : ما يجده السالك من ثمرات الطاعات ؛ **فللطاعة لذةٌ** لا يعلمها إلا مَن ذاقها ، ولا تُقاس ولا تُقارَن بطعم المعصية ، **ولكن علينا أن نتفقَّد حاسَّة الذوق عندنا** ؛ فلعلَّها عليلة !! أخرج الحاكم (٤/ ٣١٤) عن سيدنا حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **النظرة** : سهمٌ من سهام إبليس مسمومة ؛ فمن تركها من خوف الله . . **أثابه جلَّ وعزَّ إيماناً يجد حلاوته في قلبه** » .

(٢) ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله تعالىٰ في « الجواب الكافي » (ص ١٢٢) مقولةً مطولةً علىٰ لسان إبليس ، وهذه شذراتٌ منها : بعد أن مثَّل بأن القلب سلطانٌ حوله جنوده ، وإبليس يريد اختراق بعض الثغرات ، فيقول لجنوده : (فإذا استوليتم على الثغور . . **فامنعوا ثغر العين** أن يكون نظره اعتباراً ، **بل اجعلوا نظره** تفرُّجاً واستحساناً وتلهياً ؛ فإن استرق نظرة عبرة . . **فأفسدوها عليه بنظرة شهوة** ، ودونكم ثغر العين ، فمنه تنالون بُغيتكم ، وما أفسدتُ بني آدم بشيءٍ مثل النظر . . . **ثم امنعوا ثغر الأذن** أن يدخل منه ما يفسد عليكم الأمر ، **فاجتهدوا ألا يدخل منه إلا الباطل** ؛ فإنه خفيفٌ على النفس ، تستحليه وتستجمله ، وإياكم أن يدخل منه شيء من كلام الله أو رسوله . . . **ثم قوموا علىٰ ثغر اللسان** ، فأجروا عليه من الكلام ما يضرُّه ولا ينفعه . . .) وهكذا يذكر كلاماً نفيساً طويلاً ينبغي الاطِّلاع عليه .

(٣) أخرج ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦/ ٤٣٨) عن إبراهيم بن أبي عَبلة أنه قال ←

[متىٰ عيدُ هؤلاء ؟]

واعلم : أنَّ الثَّكلىٰ لا عيدَ لها ، **بلِ العيدُ لمَنْ قهرَ نفسَه** ، لا عيدَ إلا لمنْ جمعَ شملَهُ[1] .

جازَ بعضُهُمْ علىٰ ديرِ راهبٍ فقالَ لهُ : (يا راهبُ ؛ **متىٰ عيدُ هؤلاءِ القوم** ؟ قال : **يومَ يُغفرُ لهم**)[2] .

ما مثالُكَ مَعَ نفسِكَ إلا كمَنْ وجدَ زوجتَهُ في حانَةِ خمَّارٍ ، فأتاها بالملابسِ الحسنةِ والمآكلِ الطَّيبة ، وإذا تركَتِ الصَّلاةَ . . أصبحَ يُلَقِّمُها الهرائسَ والألوان ! !

بقيَ بعضُهُمْ أربعينَ سنةً لا يحضُرُ الجماعةَ ؛ لما يَشُمُّ من نَتْنِ قلوبِ الغافلين[3] ، **فما أعرفَكَ** بمصالِحِ الدُّنيا ، **وما أجهلَكَ** بمصالحِ آخرتِكَ ! ![4] .

لمن جاء من الغزو : (قد جئتُم من الجهاد الأصغر ، **فما فعلتُم في الجهاد الأكبر** ؟ قالوا : يا أبا إسماعيل ؛ وما الجهاد الأكبر ؟ قال : **جهاد القلب**) ، وأخرجه البيهقي في « الزهد » (٣٧٣) ، والخطيب في « تاريخ بغداد » (١٣/ ٤٩٨) مرفوعاً عن سيدنا جابر رضي الله عنه قال : قدم النبي صلى الله عليه وسلم من غزاةٍ له ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قدمتُم خيرَ مَقْدَم ، **وقدمتُم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر** » قالوا : وما الجهاد الأكبر يا رسول الله ؟ قال : « **مجاهدة العبد هواه** » .

(١) **الثكلى** : مَن فقدَتْ ولداً أو حميماً علىٰ قلبها ؛ فهي تبكيه ، وليس للفرح إلىٰ قلبها سبيل ، وفي المثل : (**ليست النائحة كالثكلىٰ**) .

(٢) أخرجه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (١٦٩) عن النَّبَاجِي رحمه الله تعالى ، وهو الذي سأل الرَّاهب .

(٣) في (أ) : (مِن نتن قلوب المصلين) .

(٤) **والأولى** : ألا تترك الجماعة ؛ **لما فيها من الخيرات** ، ولأن إبليس يدخل من هذا

مثالُ الدُّنيا عندَكَ : كَمَنْ خرجَ إلى الضَّيعةِ واجْتهدَ ، فخزَنَ الأقواتَ ؛ فأنتَ قدْ أتيتَ بما يعودُ نفعُهُ عليكَ في وقتِه ، **وإنْ خزنْتَ حيَّاتِ الشَّهواتِ** ، وعقاربَ المعصيةِ . . **هلكْتَ** .

كفىٰ بكَ جهلاً : أنَّ النَّاسَ يخزنونَ الأقْواتَ لوقتِ حاجتِهِمْ إليها ، وأنتَ تخزنُ ما يَضرُّكَ ؛ وهي المعاصي !! **هلْ رأيتَ مَنْ يأتي بحيَّاتٍ فيُربِّيها في دارِه** ؟! فها أنتَ تفعلُ ذلك[1] .

❊ ❊ ❊

← الباب ؛ ليمنع الخير على السالكين ، قال إبراهيم النخعي رحمه الله تعالى : (ما كانوا يُرخِّصون في ترك الجماعة إلا لحائضٍ أو مريض) ، ولقد كره الإمام أحمد رحمه الله تعالى الخروج إلى البادية لشُرب اللبن تنزُّهاً ؛ **لما به من ترك الجماعة** ، إلا أن يخرج لعلَّة ، وأما ما ذكره المؤلف هنا . . **فهو خاصٌّ بمن كشف الله له الحجاب كرامةً له** ، فنظر إلىٰ ذنوب العباد وعرفها ، **نسأل الله** اللطف والستر بمنِّه وكرمه .

(١) قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالىٰ في « التذكرة » (١/٣٠٦) : (لا تَتمنَّ منازلَ الأبرار ، وأنت مقيمٌ على الأوزار ، عاملٌ بعمل الفجَّار ، **بل أكثِرْ من الأعمال الصالحات** ، وراقِبِ اللهَ في الخلوات ، ربَّ الأرض والسماوات ، **ولا يغرنَّك الأمل** ، فتزهد عن العمل ، أوَمَا سمعتَ الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يقول ، لما جلس على القبور : « **يا إخواني ؛ لمثل هذا فأعِدُّوا** ؟! » ، أوَمَا سمعتَ الذي خلقك فسواك ، يقول : ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة : ١٩٧]) ، وأنشدوا : (من الوافر)

تَزوَّدْ مِنْ معاشِكَ للمَعَادِ ... وقُمْ للهِ واعمَلْ خيرَ زادِ
ولا تَجمَعْ مِنَ الدُّنيا كثيراً ... فإنَّ المالَ يُجمَعُ للنَّفادِ
أتَرضَىٰ أن تكونَ رفيقَ قومٍ ... لهمْ زادٌ وأنتَ بغيرِ زادِ ؟

[الصَّغائر بريد الكبائر]

وأضرُّ ما يُخافُ عليكَ : مُحقَّراتُ الذُّنوب ؛ لأنَّ الكبائرَ ربَّما استعْظَمْتَها فتُبْتَ منها ، واستحقرْتَ الصَّغائرَ فلم تَتُبْ منها ، فمثالُكَ : كمَنْ وجدَ أسداً فخلَّصَهُ اللهُ منه ، فوجدَ بعدَهُ خمسينَ ذِئباً فغلبوه[1] ؛ قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾[2] [النور : ١٥] .

والكبيرةُ حقيرةٌ في كرم الله ، وإذا أصرَرْتَ على الصَّغيرةِ . . صارَتْ كبيرةً ؛ لأنَّ السُّمَّ يقتلُ معَ صِغَرِه ، والصَّغيرةُ كالشَّرارةِ مِنَ النار ، والشَّرارةُ قدْ تحرقُ بلدةً .

مَنْ أنفقَ عافيَتَهُ وصحَّتَهُ في معصيةِ اللهِ . . فمثالُهُ : كمَنْ خلَّفَ لهُ أبوهُ ألفَ دينارٍ فاشترىٰ بها حيَّاتٍ وعقاربَ وجعلَها حولَه ؛ تلدغُهُ هذهِ مرَّةً ، وتلسعُهُ هذهِ أُخرى ، أفما تقتلُهُ ؟ ![3] .

---

(١) في (د) : (سبعين ذئباً فغلبوه وقتلوه) .

(٢) أخرج أحمد (١/ ٤٠٢) ، والطبراني في « الكبير » (١٠/ ٢١٢) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إياكم ومحقَّرات الذنوب ؛ فإنهنَّ يجتمعْنَ على الرجل حتَّىٰ يُهلِكْنه » ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لهنَّ مثلاً ؛ كمثل قوم نزلوا أرض فلاة ، فحضر صنيع القوم ، فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود ، والرجل يجيء بالعود ، حتَّىٰ جمعوا سَواداً ، فأجَّجوا ناراً وأنضجوا ما أوقدوا ، وكذلك الذنوب يجتمع بعضها إلىٰ بعض حتَّىٰ تغدو كالجبال ؛ فتُردي صاحبها في النار .

(٣) أخرج ابن حبان في « صحيحه » (٣١٢١) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يُسلَّط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تنيناً ، تنهشه وتلدغه حتىٰ تقوم الساعة ، فلو أن تنيناً منها نفخت في الأرض . . ما أنبتت خضراً » ، قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالىٰ في « الإحياء » (٩/ ٤٨٩) : (ولا ينبغي أن يتعجَّب من هذا العدد على الخصوص ؛ فإن أعداد ←

وأنتَ تمحقُ السَّاعاتِ في مخالفتِهِ ، **فما مثالُكَ** إلا كالحِدَأةِ تطوفُ على الجِيفة ، حيثُما وجدَتْهَا . . انحطَّتْ عليها ، **بل كُنْ كالنَّحلةِ** : صغيرٌ جِرْمُها ، عظيمةٌ هِمَّتُها ، تَجني طيِّباً ، وتضعُ طيِّباً[1] .

[مَنْ أماتَتْه الغفلةُ لم تردُّه النكبات]

طالما تمرَّغْتَ في مواطنِ المِحَنِ . . **فتمرَّغْ في محابِّ اللهِ عزَّ وجلَّ** ، فهذهِ الحقيقةُ تُبيِّنُ طريقَك ، ولكنْ مَنْ أماتَتْهُ الغفلةُ . . **لم تردُّهُ النَّكبات** ؛ لأنَّ المرأةَ الناقصةَ العقلِ يموتُ ولدُها وهيَ تضحك !!

← **هذه الحيات والعقارب بعدد الأخلاق المذمومة** : من الكبر ، والرياء والحسد ، والغِلِّ والحقد وسائر الصفات ؛ **فإن لها أصولاً معدودة** ، ثم تتشعَّب منها فروع معدودة ، **ثم تنقسم فروعها إلىٰ أقسام** ، وتلك الصفات بأعيانها هي المهلكات ، وهي بأعيانها تنقلب عقارب وحيات ؛ **فالقويُّ منها** : يلدغُ لدغَ التِّنين ، **والضعيف** : يلدغُ لدغَ العقرب ، **وما بينهما** : يؤذي إيذاء الحية ، وأرباب القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات ، والشعاب فروعها **إلا أن مقدار عددها لا يوقف عليه إلا بنور النبوة** ؛ فأمثال هذه الأخبار لها ظواهر صحيحة وأسرار خفية ، ولكنها عند أرباب البصائر واضحة ؛ فمن لم تنكشف له حقائقها . . **فلا ينبغي أن ينكر ظواهرها** ، بل أقل درجات الإيمان : التصديق والتسليم) .

(١) **الحِدَأة** : طائرٌ من الجوارح ، ينقضُّ على الجرذان والدواجن والجِيَف ، ويخطفها بسرعة ؛ لذلك يقال : (**هو أخطف من الحِدَأة**) ، قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالىٰ في « المدهش » (١/٤٠٦) : (**أنت في الشر** أجرىٰ من جواد ، **وفي الخير** أبطأ من أعرج ، **معاصيك** أشهر من الشمس ، **وتوبتك** أخفىٰ من السُّها ، **الزكاة** عندك أثقل من أُحد ، **والصلاة** عليك كثقل صخر علىٰ صدر طريقٍ ، **المسجد في حسبانِ كَسَلِكَ** كفرسخي دير كعب ، **صدرك عند حديث الدنيا** أوسع من البحر ، **ووقت العبادة** أضيق من عقد التِّسعين ، **يا من هو عن نجاته أنوم من فَهْد** ، ضيعتَ وقتاً أنفس من الدُّر ، وإن عرضتْ خطيئةٌ . . **وثبْتَ وثوب النَّمِر** ، فإذا لاحَتْ طاعةٌ . . **رُغتَ روغان الثعلب** ، فإذا عاملتَ الناسَ . . **استعملْتَ غدر الذئب** ، تُقْدِم على الظُّلم **إقدام الأسد** ، وتختطفُ الأمانة **اختطاف الحِدَأة** ؟!) .

فكذلكَ أنتَ تُنكَبُ عن قيامِ الليل ، وصيامِ النهار ، وفي جميعِ جوارحِك ، ولا تتألَّم ؛ **وما ذلكَ إلا لأنَّ الغفلةَ** قد أماتَتْ قلبَك ، لأنَّ الحيَّ يُؤلمهُ نقرُ الإبرة ، ولو قُطِّعَ الميتُ بالسُّيوفِ . . لم يتألَّم ، **فأنتَ حيٌّ ميتُ القلب**[1] .

مجلسُ الحكمةِ : نَفحةٌ مِنْ نفحاتِ الجنَّة ، تجدُها في طريقِكَ وفي دارِك ، وفي بيتِك ، **فلا يَفُتْكَ المجلسُ** ولو كنْتَ علىٰ معصيةٍ ، **ولا تقُلْ** : ما الفائدةُ في حضورِ المجلسِ وأنا أعصي ولا أقدِرُ علىٰ تركِ المعصية ؟! **بل على الرَّامي أن يرميَ** ؛ فإنْ لم يأخذِ اليومَ . . **يأخذْ غداً**[2] .

---

(١) في (ب ، د ، ط) : (فأنت حينئذٍ ميت القلب) ، قال بعض الحكماء واعظاً من قارب الفناء ، والارتحال إلى دار البقاء : (من البسيط)

يا من نعَتْهُ إلى الإخوان لحيتُهُ　　أدبرتَ والناس إقبالٌ وإدبارُ
حانتْ منيَّتُه واسودَّ عارضُه　　كما تسودُّ بعدَ الميت الدارُ

يا من مات وهو حي ، **وعاش** وهو لا شي ؛ **قد نعاك الشَّعر إلىٰ إخوانك** ، ونسخ آية حسنك عند خلاَّنك ، **فأدبرتَ** والناس بين إقبال وإدبار ، **واكتسيتَ ثوبَيْ خزي ودمار** ، وقد كنتَ ممن يهش له الناظر ، وتتعلَّق به الخواطر ، **فغضَّتْ دونك العيون** منذ مسَخَ الشعر جمالك ، **ونَبَتْ عنك القلوب** إذ حول الزمان حالك .

(٢) أخرج مسلم (٢٦٨٩) ، والحاكم في « المستدرك » (١/ ٤٩٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله تبارك وتعالىٰ ملائكةً سيارةً فُضُلاً ـ أي : ملائكة زائدين على الحفظة ـ **يتبعون مجالس الذكر** ، فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكرٌ . . **قعدوا معهم وحفَّ بعضُهم بعضاً بأجنحتهم** ، حتىٰ يملؤوا ما بينهم وبين السماء الدنيا ، فإذا تفرَّقوا . . عرجوا وصعدوا إلى السماء ، قال : فيسألهم الله عز وجل ـ وهو أعلم بهم ـ : **مِن أين جئتُم** ؟ فيقولون : جئنا من عند عبادٍ لك في الأرض ، يسبِّحونك ويكبِّرونك ، ويهلِّلونك ويحمدونك ، ويسألونك ، قال : **وماذا يسألوني** ؟ قالوا : يسألونك جنَّتك ، قال : **وهل رأوا جنتي** ؟ قالوا : لا أي رب ، قال : **فكيف لو رأوا** ←

[المعصية سببٌ لتوقُّف الرزق]

يا هذا إياكَ والمعصيةَ ؛ فقد تكونُ سبباً لتوقُّفِ الرِّزق ، فاطلُبْ مِنَ اللهِ التوبة ، فإنْ قُبِلتْ ؛ وإلا . . فاستغِثْ باللهِ ، وقُلْ : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٣] .

ولا تكُنْ كمَنْ أتىٰ عليهِ أربعونَ سنةً ولم يَقْرعْ بابَ اللهِ قطُّ !![1] .

ولكنْ أكثرُ ما يُخافُ عليكَ سوءُ الخاتمةِ ـ والعياذُ باللهِ تعالىٰ ـ بسببِ إطفاءِ جمرةِ الإيمانِ بسوادِ العِصيانِ[2] ، وهيَ الذُّنوبُ على الذُّنوبِ حتَّىٰ يَسْوَدَّ القلبُ من غيرِ توبةٍ[3] .

جنتي ؟ قالوا : ويستجيرونك ، قال : ومِمَّ يستجيرونني ؟ قالوا : من نارك يا رب ، قال : وهل رأوا ناري ؟ قالوا : لا ، قال : فكيف لو رأوا ناري ؟ قالوا : ويستغفرونك ، قال : فيقول : قد غفرت لهم ، فأعطيتُهم ما سألوا ، وأجرتُهم مما استجاروا ، قال : فيقولون : ربِّ فيهم فلانٌ عبدٌ خطّاء ؛ إنما مرَّ فجلس معهم ، قال : فيقول : وله غفرتُ ؛ هم القوم لا يشقىٰ بهم جليسهم » .

(١) ذكر الإمام القشيري رحمه الله تعالىٰ في « الرسالة » (ص٤٤٦) فقال : (كان صالح المري يقول كثيراً : من أدمن قرع بابٍ . . يوشك أن يفتح له !! فقالت له رابعة : إلىٰ متىٰ تقول هذا ؟ متىٰ أُغلق هذا الباب حتىٰ يُستفتَح ؟! فقال صالح : شيخٌ جهل وامرأةٌ علمتْ) .

(٢) في (ج ، د) : (جمرة الإيمان بسوء العصيان) .

(٣) نقل الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالىٰ في كتابه « بحر الدموع » (ص٣٠) عن سيدنا عمر رضي الله عنه أنه قال : (لا يغرنَّكم قول الله عز وجل : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾ [الأنعام : ١٦٠] ؛ فإن السيئة وإن كانت واحدة . . فإنها تتبعها عشر خصال ؛ أولها : إذا أذنب العبد ذنباً . . فقد أسخط الله وهو قادرٌ عليه . والثانية : أنه فرَّح إبليس لعنه الله . والثالثة : أنه تباعد من الجنة . والرابعة : أنه تقرَّب من النار . والخامسة : أنه قد آذىٰ أحبَّ الأشياء إليه ؛ وهي نفسه . والسادسة : أنه نجَّس نفسه وقد كان طاهراً . والسابعة : أنه قد

[احذر نفسك التي بين جنبيك]

إياكَ أنْ تتهاونَ في أعمالِكَ وتختارَ الطَّيباتِ لِمِرْحاضِك ، واحذرْ نفسَكَ التي بينَ جنبيكَ ؛ فهِيَ التي تحطبُ عليك ، ثمَّ لا تفارقُ صاحبَها إلى الممات ، والشَّيطانُ يُفارقُ في رمضان ؛ لأنَّهُ تُغَلُّ فيهِ الشَّياطين ، ورُبَّما تجدُ مَنْ يَقتلُ فيه ويَسْرِقُ !! فهذا مِنَ النَّفْس[1] .

فإذا مالَتْ إلىٰ معصيةٍ . . فذكِّرْها بعذابِ اللهِ ، والقطيعةِ عَنِ اللهِ بسببِه ، والعسلُ المسمومُ يُتْرَكُ مَعَ العلمِ بحلاوتِه ؛ لما فيهِ من وجودِ الأذىٰ ، لقولِه صلَّى الله عليه وسلَّم : « الدُّنيا حلوةٌ خَضِرة[2] » .

→ آذى الحفَظة . والثامنة : أنه قد أحزن النبيَّ صلى الله عليه وسلم في قبره . والتاسعة : أنه أشهد علىٰ نفسه السماواتِ والأرضَ وجميع المخلوقات بالعصيان . والعاشرة : أنه خان جميع الآدميين ، وعصىٰ ربَّ العالمين) .

(١) أخرج ابن أبي شيبة (٨٩٦٠) ، وأحمد (٤/ ٣١٢) عن عرفجة قال : كنَّا عند عتبة بن فرقد وهو يحدِّثنا عن فضل رمضان ، فدخل عليه رجلٌ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فسكت عتبة وكأنه هابه ، فلما جلس . . قال له عتبة : يا أبا فلان ؛ حدِّثنا بما سمعتَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان ؟ قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تُفتح فيه أبواب الجنة ، وتغلق فيه أبواب النار ، وتصفَّد فيه الشياطين ، وينادي منادٍ كل ليلة : يا باغي الخير هلم ، ويا باغي الشر أقصر » . وأخرج أحمد (٥/ ١٧٨) من حديث سيدنا أبي ذر رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يا أبا ذر ؛ تعوَّذ بالله من شر شياطين الإنس والجن » قال : قلت : يا رسول الله ؛ وللإنس شياطين ؟! قال : « نعم » . وأخرج الترمذي (٣٦٩١) من حديث أم المؤمنين سيدتنا عائشة رضي الله عنها عندما أراها النبي صلى الله عليه وسلم حبشية تُزف والصِّبْيَةُ حولها يلعبون إذ طلع عمر ، قالت : فارفضَّ الناس عنها ، قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني لأنظر إلىٰ شياطين الإنس والجن قد فرُّوا من عمر » رضي الله عنه وأرضاه .

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٢) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وتتمته : ←

ويُروىٰ أيضاً : « **جيفةٌ قَذِرةٌ** »[1] .

حلوةٌ خضرةٌ عندَ أهلِ الغفلةِ ، **وجيفةٌ قذرةٌ** عندَ أهلِ اليقظة[2] ، **حلوةٌ خضرةٌ** عندَ النُّفوس ، **وجيفةٌ قذرةٌ** عندَ مرأى القلوب ، **حلوةٌ خضرةٌ** للتَّحذير ، **وجيفةٌ قذرةٌ** للتَّنفير ، فلا تخدَعنَّكُم بحلاوتِها ؛ **فإنَّ عاقبتَها مُرَّةٌ** .

[**مَنِ المؤمنُ ، ومَنِ المخذول ؟**]

إذا قيلَ لكَ : **مَنِ المؤمنُ** ؟ فقُلِ : الَّذي اطَّلعَ علىٰ عيبِ نفسِهِ ولم يَنْسُبْ أحداً من العبادِ إلىٰ عَيبٍ .

وإذا قيلَ لكَ : **مَنِ المخذولُ** ؟ فقُلِ : الَّذي يَنْسُبُ العبادَ إلى العيبِ ويُبرِّىءُ نفسَهُ منه[3] .

وممَّا تمادىٰ عليهِ أهلُ هذا الزمانِ : مباسطتُهُمْ ومؤانستُهم للعاصين ، ولو أنَّهم عبسوا في وجوهِهِمْ . . **لكانَ ذلكَ زاجراً لهمْ عَنِ المعصية**[4] .

← « وإن الله مُستخلفكم فيها ، فينظر كيف تعملون ، **فاتقوا الدنيا** ، واتقوا النساء » .

(١) أخرج أبو نعيم في « الحلية » (٨/٢٣٨) ، والمتقي الهندي في « كنز العمال » (٨٥٦٤) عن سيدنا علي رضي الله عنه قال : (**الدنيا جيفة** ، فمن أرادها . . **فليصبر علىٰ مخالطة الكلاب**) .

(٢) في (أ ، ب ، د ، ط) : (وجيفة قذرة عند العقلاء) .

(٣) أخرج ابن حبان في « صحيحه » (٥٧٦١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه ، وينسى الجذع في عينه ؟!** » .

(٤) أخرج أبو داوود (٤٣٣٦) ، والبيهقي في « الكبرى » (١٠/٩٣) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن أول ما دخل النقص علىٰ بني إسرائيل** : أنه كان الرجل يلقى الرجلَ فيقول : يا هذا اتقِ الله ، ودَعْ ما تصنع ؛ فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد وهو علىٰ حاله ، **فلا** ←

لو فُتِحَ لكَ بابُ الكمالِ . . لما رجعتَ إلى الرَّذائل ، أرأيتَ مَنْ فُتِحَ لهُ بابُ القصرِ . . **هل يرجعُ إلى المزابل ؟!** ولو فُتِحَ لكَ بابُ الأُنْسِ بينَكَ وبينَهُ . . **ما طلبْتَ مَنْ تأنسُ بهِ** ، لوِ اختارَكَ لرُبوبيَّتِهِ . . **ما قطعَكَ عنه** ، لو كَرُمْتَ عليهِ . . **ما رماكَ لغيره**[١] .

[العزُّ مع الطَّاعة والذل مع المعصية]

إذا عزلَ عنكَ محبَّةَ مخلوقٍ . . **فافرَحْ** ؛ فهذا مِنْ عنايتِهِ بك ، ولا تكونُ معصيةٌ إلا والذُّلُّ معها ، **أفتعصيهِ ويُعِزَّكَ ؟!**

كلا ؛ فقد ربطَ العِزَّ معَ الطَّاعة ، والذُّلَّ معَ المعصية ، **فصارَت طاعتهُ** نوراً وعزّاً وكشفَ حجابٍ ، **وضدُّها** معصيةٌ وظلمةٌ وذلٌّ وحجابٌ بينَكَ وبينَهُ ، **ولكنْ ما منعَكَ مِنَ الشُّهودِ** إلا عدمُ وقوفِكَ معَ الحدود ، واشتغالُكَ بهذا الوُجود[٢] .

يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك . . **ضرب الله قلوبَ بعضهم ببعض** ، ثم قال : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۞ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ [المائدة : ٧٨ـ ٧٩] » ، ثم قال : « كلا ، والله ؛ **لتأمرُنَّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر** ، ولتأخذنَّ على يد الظالم ولتأطرنَّه على الحق أطراً ، ولتقصرنه على الحق قصراً » .

(١) نقل الإمام القسطلاني في « إرشاد الساري » (٩/ ٨٩) عن المؤلف رحمهما الله تعالى قوله : (سيعلم المُعرِضُ عنَّا **ما فاته منَّا**) ، وقال المؤلف أيضاً في المناجاة من « الحكم العطائية » (ص٨٧ ـ ٨٨) : (**ماذا فقد مَنْ وَجَدَكَ** ، **وما الذي وجد مَنْ فقدَكَ** ؟ لقد خاب من رضي دونك بدلاً ، ولقد خسر مَن بغىٰ عنك مُتحَولاً ، **إلهي** ؛ كيف يُرْجَىٰ سوَاكَ وأنت ما قَطَعْتَ الإحسانَ ، **وكيف يطلب من غيرك وأنت ما بدَّلت عادة الامتنان ؟!**) .

(٢) في (أ ، ب ، د) : (**واشتغالك بهذا الموجود**) .

[معاملة الولد والمؤمن إذا عصَيَا]

إذا عصىٰ ولدُكَ . . فأدِّبْهُ بالشَّرعِ ولا تقطَعْهُ ، بلْ قابِلْهُ بالعُبوسة ؛ لِيَكُفَّ عَنِ المعصية .

وأكثرُ ما يَدْخُلُ على المؤمنِ الدَّخَلُ إذا كانَ عاصياً[1] ؛ فإمَّا أنْ يَفضحوه ، وإمَّا أنْ يستهزئوا به ، فإذا فعلوا ذلكَ . . فقدْ أخطؤوا الطريق .

إذا عصى المؤمنُ . . فقد وقعَ في ورطةٍ عظيمةٍ[2] .

وطريقُهُ : أنْ تفعلَ معَهُ كما فعلتَ معَ ولدِكَ عندَ عِصْيانه ؛ تُعْرِضُ عنهُ في الظاهر ، وتكونُ لهُ راحماً في الباطن ، وتطلبُ لهُ الدُّعاءَ بالغيب[3] .

* * *

---

(١) الدخل : الفساد والعيب ، والداء والريبة ، والمكر والخديعة .

(٢) في (أ) : (وقع في وهلة . . .) ، وفي (ب ، د) : (وقع في وحلة . . .) .

(٣) أي : لا تكونوا عوناً للشيطان علىٰ أخيكم ـ كما في « مستدرك الحاكم » (٤/ ٣٨٢) وغيره ـ وخذوا بيده ، وأنقذوه .

وفي « المستطرف » (١/ ٢٦٦) عن سيدنا عمر رضي الله عنه : (إذا رأيتم أخاكم ذا زلة . . فقوِّموه وسدِّدوه ، وادعوا الله أن يرجع به إلى التوبة ، فيتوب عليه ، ولا تكونوا أعواناً للشيطان علىٰ أخيكم) ، ونحن نكره معصيته ؛ فإن تاب . . فهو منا ، ولربما يسبقنا بندمه ودمعته ، وحقُّ المذنبين علينا : أن ندعو لهم في خلواتنا ، وألا نستحقر أحداً ، ونسأل الله العافية لنا ولهم ، والدعاء مستجابٌ لأخيك في ظهر الغيب ؛ فقد ذكر لي سيدي الشيخ فواز النمر حفظه الله تعالى عن شيخه الحبيب زين بن سميط نفعنا الله بعلومه أنه قال : من أراد اسم الله الأعظم الذي لا يُرَد . . فليدعُ لأخيه في ظهر الغيب ؛ فإن الملَك يقول : ولك مثل ذلك ، ودعاءُ الملك مقبول ؛ كما ورد عن سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم .

كفىٰ بكَ جهلاً أنْ تحسدَ أهلَ الدُّنيا علىٰ ما أُعطوا ، وتُشْغِلَ قلبَكَ بما عندَهم ، فتكونَ أجهلَ منهم ؛ لأنَّهمُ اشْتغلوا بما أُعطوا ، واشتغلْتَ بما لم تُعْطَ[1] .

ترمدُ عينُكَ فتعالجُها ، وما سببُ ذلكَ إلا أنَّكَ ذُقْتَ بها لذَّةَ الدُّنيا ؛ فتعالجُها حتَّىٰ لا يفوتَكَ النظرُ إلىٰ مُستحسناتها ، وترمدُ بصيرتُكَ أربعينَ سنةً فلا تعالجُها !!

❊ ❊ ❊

(١) أخرج الحاكم (٤/٣١٣) ، وابن ماجه (٤١٠١) عن سيدنا سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنهما قال : جاء رجلٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ؛ دُلَّني علىٰ عملٍ إذا عملتُه . . أحبَّنيَ الله وأحبَّني الناس ، فقال : « ازهد في الدنيا . . يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس . . يحبك الناس » .

[حفظ بقية العمر]

واعلم : أنَّ عُمراً ضُيِّعَ أوَّلُهُ . . حريٌّ أنْ يُحفَظَ آخرُه ؛ كامرأةٍ كانَ لها عَشرةُ أولادٍ ، ماتَ منهم تسعةٌ وبقيَ واحدٌ ، أليستْ ترُدُّ وجْدَها على ذلك الواحد ؟! وأنتَ قد ضيعتَ أكثرَ عمرِكَ فاحفظْ بقيَّتَهُ ؛ وهي صُبابةٌ يسيرةٌ[1] .

واللهِ ؛ ما عُمُرُكَ مِنْ أوَّلِ يومِ وُلِدْتَ ، بل عمرُكَ من أولِ يومِ عرفْتَ اللهَ تعالى ، شتَّانَ بينَ أهلِ السَّعادةِ وأهلِ الشَّقاوة : فأهلُ السعادةِ إذا رأوا إنساناً علىٰ معصيةٍ . . أنكروا عليهِ في الظاهر ، ودعَوا له في الباطن .

وأهلُ الشَّقاوةِ يُنكرونَ عليهِ تشفِّياً فيه ، ورُبَّما ثلموا عليهِ عِرْضَهُ[2] ؛ فالمؤمنُ ناصحٌ لأخيهِ في الخلوة ، ساترٌ لهُ في الجلوة[3] .

---

(١) الصُّبابة : بقية الماء في الإناء ، وبقية كل شيء ، والمراد هنا : ما بقي من سُويعات العمر ، أخرج مسلم (٢٩٦٧) عن خالد بن عميرٍ العدوي رحمه الله تعالىٰ قال : خطَبنا عتبةُ بن غزوان رضي الله عنه ، فحمد الله وأثنىٰ عليه ، ثم قال : (أما بعد : فإن الدنيا قد آذنت بصُرم ، وولَّتْ حَذَّاءَ ، ولم يبقَ منها إلا صُبابة كصبابة الإناء يتصابُّها صاحبها ، وإنكم مُنتقلون منها إلىٰ دارٍ لا زوال لها ، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم ؛ فإنه قد ذُكر لنا : أن الحجر يُلقىٰ من شفة جهنم ، فيهوي فيها سبعين عاماً لا يدرك لها قعراً ، ووالله لتُملأنَّ . . .) ، قوله : بصُرم ـ بضم الصاد ـ أي : أعلمَتْ بانقضائها وفنائها ، وحَذَّاء ـ بفتح الحاء وتشديد الذال ـ أي : ولَّت سريعة .

(٢) ثلموا عليه عرضه : وقعوا فيه وتكلموا عليه وآذوه ، والعِرض : ما يُمدَح أو يُذمُّ من الإنسان .

(٣) في (ج ، ط) : (فالمؤمن من كان ناصحاً . . . ساتراً له) ، وفي (ب ، د) : (فالمؤمن من ناصح . . .) .

وأهلُ الشَّقاوةِ بالعكسِ إذا رأوا إنساناً علىٰ معصيةٍ . . أغلقوا عليهِ البابَ وفضحوهُ فيها ؛ فهؤلاءِ لا تُنَوَّرُ بصائرُهُم ، وهم عندَ اللهِ مُبعدَون[١] .

[كيف تختبر عقل الرجل ؟]

وإذا أردتَ أنْ تختبرَ عقلَ الرَّجلِ . . فانظُرْ إليهِ إذا ذكرْتَ لهُ شخصاً ؛ فإنْ وجدتَهُ يَطوفُ علىٰ محملِ سُوءٍ حتَّىٰ يقولَ لكَ : خلِّنا منه ؛ ذاكَ فعلَ كذا وكذا . . فاعلم : أنَّ باطنَهُ خرابٌ ، وليسَ فيهِ معرفةٌ .

وإذا رأيتَهُ يَذْكرُهُ بخيرٍ ، أو يذكرُ لهُ ما يُوصَفُ بالذَّمِّ ويَحمِلُهُ علىٰ محملٍ حَسَنٍ ، ويقولُ : لعلَّهُ سها ، أو لهُ عُذرٌ ، أو ما أشبهَ ذلكَ . . فاعلم : أنَّ باطنَهُ معمور ؛ فإنَّ المؤمنَ يعملُ علىٰ سلامةِ عِرضِ أخيهِ المسلم[٢] .

[الاشتغال بالأذكارِ يبارك في الأعمار]

مَنْ قاربَ فراغَ عمرِهِ ويُريدُ أن يَستدرِكَ ما فاتَهُ . . فلْيَذْكرْ بالأذكار

---

(١) أخرج أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٢٥) ، وعبد الرزاق في « المصنف » (٢٠٢٦٧) عن أبي قلابة : أن أبا الدرداء مرَّ علىٰ رجلٍ قد أصاب ذنباً ، فكانوا يسبُّونه ، فقال : (أرأيتم لو وجدتموه في قَليبٍ . . ألم تكونوا مستخرجيه ؟!) قالوا : بلى ، قال : (فلا تسبُّوا أخاكم ، واحمدوا الله الذي عافاكم) قالوا : أفلا تبغضه ؟ قال : (إنما أبغض عمَله ، فإذا تركه . . فهو أخي) .

(٢) أخرج أبو داوود (٤٨٨٤) عن سيدنا جابر بن عبد الله وسيدنا أبي طلحة بن سهل الأنصاري رضي الله عنهم يقولان : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من امرئٍ يخذل امرأً مسلماً في موضعٍ تُنتهك فيه حُرمته ، ويُنتقَص فيه من عرضه إلا خذله الله في موطنٍ يُحب فيه نصرته ، وما من امرئٍ ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطنٍ يحب نصرته » .

الجامعة ؛ فإنَّه إذا فعلَ ذلكَ . . صارَ العمرُ القصيرُ طويلاً[1] ؛ كقولِهِ : « سبحانَ اللهِ العظيمِ وبحمدِهِ : عددَ خلقِهِ ، ورِضا نفسِهِ ، وزِنةَ عرشِهِ ، ومدَادَ كلماتِهِ »[2] .

وكذلكَ مَنْ فاتهُ كثرةُ الصيامِ والقيامِ . . أنْ يَشغلَ نفسَهُ بالصَّلاةِ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم ؛ فإنَّكَ لو فعلتَ في عُمُرِكَ كلَّ طاعةٍ[3] ، ثمَّ صلَّى اللهُ عليكَ صلاةً واحدةً . . رجحَتْ تلكَ الصَّلاةُ الواحدةُ علىٰ كلِّ ما عملْتَ في عمرِكَ كلِّهِ من جميعِ الطَّاعاتِ[4] ؛ لأنَّكَ تُصلي علىٰ قَدْرِ

---

(١) نقل العلامة الشعراني رحمه الله تعالىٰ في « لطائف المنن » (١/ ٢٢٩ـ ٢٣٠) ضمن كلام عن شيخه الخواص رحمهما الله تعالىٰ : (ينبغي للعبد إذا ضاق عمره أو فاته القيام من أول ما يُنصَب الموكب الإلهي . . أن يبدأ بجوامع الكلم من الآيات والأخبار ، فيصلي بها ؛ لأن الله تعالىٰ ما أخبرنا بفضلها إلا ليكون اهتمامنا أكثر ، وقد ورد : أن آية الكرسي تعدل ألف آية ، وكذلك آخر سورة « الحشر » تعدل ألف آية ، وكذلك ورد : أن « قل هو الله أحد » تعدل ثلث القرآن ، وكذلك ورد : أن « قل يا أيها الكافرون » تعدل نصف القرآن ، ويقاس ما ورد : أنه يعدل ربع القرآن ، فينبغي مراعاة البداءة عند ضيق العمر أو الوقت ؛ فكأنَّ مَن يصلي بآية الكرسي أو آخر « الحشر » . . صلىٰ بألف آية ، وذلك نحو سبعة عشر حزباً ؛ فإني عددتُ الآيَ من أول « البقرة » إلىٰ نحو نصف « الأنفال » فكان ألف آية ، وذلك نحو سبعة عشر حزباً . . .) .

(٢) أخرج مسلم (٢٧٢٦) عن أم المؤمنين سيدتنا جويرية بنت الحارث رضي الله عنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بُكرةً حين صلى الصبح ، وهي في مسجدها ، ثم رجع بعد أن أضحىٰ وهي جالسة ، فقال : « ما زلتِ على الحال التي فارقتُكِ عليها ؟ » قالت : نعم ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لقد قلتُ بعدكِ أربعَ كلماتٍ ثلاثَ مراتٍ ؛ لو وُزنتْ بما قلتِ منذ اليوم . . لوزنتهُنَّ : سبحان الله عدد خلقه . . . » .

(٣) في (أ ، د ، ط) : (فعلت في جميع عمرك) .

(٤) نقل الحافظ السخاوي عن الإمام الفاكهي رحمهما الله تعالىٰ في « القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع » صلى الله عليه وسلم (ص٨٥) : (بل لو قيل ←

وُسْعِكَ ، وهوَ يُصلي علىٰ حسبِ رُبوبيَّتِهِ ، هذا إذا كانت صلاةً واحدةً . .
فكيفَ إذا صلَّىٰ عليكَ عشراً بكلِّ صلاة ؛ كما جاءَ في الحديثِ الصَّحيحِ ؟ ![1] .

فما أحسنَ العيشَ إذا أطعْتَ اللهَ تعالىٰ فيهِ بذكرِ اللهِ تعالى ، أو بصلاةٍ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم ! ![2]

للعاقل : أيُّما أحبُّ إليك : أن تكون أعمال جميع الخلائق في صحيفتك ، أم صلاة من الله تعالىٰ عليك ؟ لَمَا اختار غير الصلاة من الله تعالى ، فما ظنك بمن يصلي عليه ربنا سبحانه وتعالىٰ وجميع ملائكته على الدوام والاستمرار ؟! فكيف يحسُن بالمؤمن ألا يكثر من الصلاة عليه أو يغفلُ عن ذلك ؟!) .

(١) أخرج نحوه مسلم (٤٠٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وأخرج أحمد (٤/ ٢٩) عن سيدنا أبي طلحة رضي الله عنه قال : أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً طيب النَّفْس ، يُرَىٰ في وجهه البِشْر ، قالوا : يا رسول الله ؛ أصبحتَ اليوم طيب النفس ، يُرىٰ في وجهك البِشْر ؟! قال : « أجل ؛ أتاني آتٍ من ربي عز وجل ، فقال : مَنْ صلىٰ عليك من أمتك صلاةً . . كتب الله له بها عشر حسنات ، ومحا عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات ، وردَّ عليه مثلها » .

(٢) قال الأُقْليشي رحمه الله تعالى كما في « القول البديع » (ص ٢٩٠) : (أيُّ علم أرفع ، وأي وسيلةٍ أشفع ، وأي عمل أنفع من الصلاة على مَن صلى الله عليه وجميع ملائكته ، وخصَّه بالقربة العظيمة منه في دنياه وآخرته ؟! فالصلاة عليه أعظم نور ، وهي التجارة التي لا تبور ، وهي كانت هِجِّيرى الأولياء في المساء والبكور ، فكن مثابراً على الصلاة على نبيك ؛ فبذلك تتطهَّر من غيِّك ، ويزكو منك العمل ، وتبلغ غاية الأمل ، ويضيء نور قلبك ، وتنال مرضاة ربك ، وتأمن من الأهوال ، يوم المخاوف والأوجال ، صلى الله عليه وسلم تسليماً كما كرمه الله برسالته وخلَّته تكريماً ، وعلَّمه ما لم يكن يعلم وكان فضل الله عليه عظيماً) ، وكما قال المحبُّون : (من الكامل)

صلُّوا عليه وسلِّموا تسليما … حتى تنالوا جنةً ونعيما
الله يجزي مَن يُصلِّي مرةً … عشرا ويسكنُ في الجنانِ مُقيما

ألفُ ألفِ صلاةٍ مع ألفِ ألفِ سلامٍ عليك يا رسول الله ، ألفُ ألفِ صلاةٍ مع ألفِ

يُروَىٰ أنَّهُ : « ما مِنْ صيدٍ يُصادُ ، ولا شجرةٍ تُقطَعُ إلاَّ بغفلتِهَا عن ذكرِ اللهِ تعالىٰ »[١] ؛ لأنَّ السَّارقَ لا يسرقُ بيتاً وأهلُهُ أيقاظ ، بل علىٰ غفلةٍ أو نومٍ .

[أخذ الزاد والاستعداد ليوم المعاد]

مَنْ علِمَ قُرْبَ رحيلِهِ . . أسرعَ في تحصيلِ الزَّاد ، ومَنْ علمَ أنَّ إحسانَ غيرِهِ لا ينفعُهُ . . جدَّ في الإحسان ، ومَنْ أخرجَ ولم يحسِبْ . . خسرَ ولم يَدْرِ[٢] .

ومَنْ وكَّلَ وكيلاً واطَّلعَ علىٰ خيانتِهِ . . عزلَهُ ، كذلِكَ نفسكَ قدِ اطَّلعتَ علىٰ خيانتِها[٣] . . فاعْزِلْها وضيِّقْ عليها المسالك .

❋ ❋ ❋

ألفِ سلامٍ عليك يا حبيب الله ، ألفُ ألفِ صلاةٍ مع ألفِ ألفِ سلامٍ عليك يا أمين وحي الله ، عليك وعلى آلك وأصحابك أجمعين .

(١) أخرج نحوه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٨ / ٢٣٩) .

(٢) روي عن الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ أنه كان يقول : (يا بن آدم ؛ هبطت صحيفتُك ، ووُكِّل بك ملكان كريمان : أحدهما عن يمينك ، والآخر عن يسارك ؛ فالذي عن يمينك يكتب حسناتك ، والذي عن يسارك يكتب سيئاتك ، اعمل ما شئت وأقلل أو أكثر ؛ حتَّىٰ إذا فارقتَ الدنيا . . طُويتْ صحيفتك ، وعُلِّقت في عنقك ، فإذا كان يوم القيامة . . أُخرجت وقيل لك : ﴿ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء : ١٤] ، يا أخي ؛ عدلٌ ـ والله ـ عليك مَنْ جعلك حسيب نفسك ، يا بن آدم ؛ اعلم : أنك تموت وحدك ، وتدخل قبرك وحدك ، وتُبعث وحدك ، وتُحاسَب وحدك ، يا بن آدم ؛ لو أن الناس كلهم أطاعوا الله ، وعصيتَ أنت . . لم تنفعك طاعتهم !!) انظر « بحر الدموع » (ص١١٣) .

(٣) في (أ ، ب ، د) : (إنِ اطلعت . . .) .

[هذا وصفُك وهذا من صنائع الله]

إذا رأيتَ فيكَ الإعراضَ والشَّهوةَ والغفلةَ . . **فهذا وصفُك** ، وإذا رأيتَ فيكَ الإنابةَ والخشيةَ والزُّهدَ . . **فهذا مِنْ صنائعِ اللهِ تعالىٰ**[1] .

مثالُ ذلكَ : إذا رأيتَ ببلدِكِ الحَلْفاءَ والشَّوكَ والعَوسجَ . . **فهذا نباتُ أرضِ بلدِكَ**[2] ، وإذا رأيتَ بها العُودَ الرَّطبَ والمسكَ والعنبرَ . . **فتعلمُ أنَّهُ مجلوبٌ مِنْ صنائعِ اللهِ تعالىٰ**[3] ، ليسَ من نباتِ أرضِكَ ؛ **فالمسكُ** : مِنْ غِزْلانِ عِراقِها ، **والعنبرُ** : من بحرِ هِندِها[4] .

---

(١) قال المؤلف رحمه الله تعالىٰ في « الحكم العطائية » (ص٤٢) : (إذا أراد أن يُظهِرَ فضله عليك . . **خلق ونسب إليك** ، لا نهاية لمذامِّك **إن أرجعك إليك** ، ولا تفرغ مدائحك **إن أظهر جُوده عليك** !!) .

(٢) **العوسج** : نوع من شجر الشوك ، معروف ببلاد بيت المقدس ، قال أبو حنيفة الدينوري : (إذا عظُمَتِ العوسجة . . صارت غرقدة) ، وسُمِّي البقيع ببقيع الغرقد لغرقدٍ كان فيه ؛ وهو ما عَظُم من العوسج ، وقال ابن الرومي : (من الوافر)

عذرنا النخلَ في إبداءِ شوكٍ ... يردُّ به الأناملَ عن جَناهُ

فما للعوسجِ الملعون أبدىٰ ... لنا شوكاً بلا ثمرٍ نراهُ

والمراد : أَلا تعرف نبات بلدك ، وصفات نفسك ؟! **ألا تعرف كرم مولاك وعطاءَهُ** ؟ فتعرَّفْ لفقرك . . **يُعرِّفك غناه** .

(٣) في (ط) : (فاعلم أنه . . .) .

(٤) وقف سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بعد الصلاة يوم العيد فقال : (**اللهم** ؛ إنك قلتَ وقولك الحق : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٦] ، فإن كنتُ من المحسنين . . **فارحمني** ، وإن لم أكن من المحسنين . . فقد قلت : ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٤٣] **فارحمني** ، وإن لم أكن من المؤمنين . . **فأنت أهل التقوىٰ وأهل المغفرة فاغفر لي** ، وإن لم أكن مستحقاً لشيءٍ من ذلك . . **فأنا صاحب مصيبة** ، وقد قلت : ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم ←

مثالُ الإيمانِ معكَ إذا عصيتَ اللهَ تعالىٰ . . كالشَّمسِ المكسوفة ، أو كالسِّراجِ إذا غطَّيتَهُ بصحفةٍ ، هو موجودٌ ولكنْ يَمنعُ نورَهُ الغِطاءُ .

ثمَّ إنَّكَ تحضرُ المجلسَ في الجامع ليتوفَّرَ عقلُك ، وإنْ كانَ عمرُكَ قليلاً . . يصيرُ كثيراً ؛ لحصولِ الإيمانِ والخشوعِ والخضوع ، والخشيةِ والتدبُّرِ والتذكُّرِ ونحوِها .

فلو عرفتَ الإيمانَ . . ما قاربْتَ العِصيان ؛ فلا غريمَ أمطلُ مِنَ النَّفْسِ ، ولا عدوَّ أعظمُ مِنَ الشَّيطان ، ولا مُعارِضَ أقوىٰ مِنَ الهوىٰ[1] .

[آفةُ الكِبْرِ وأثرها]

ولا يدفعُ المدَدَ الهابطَ مثلُ الكِبْر ؛ لأنَّ الغيثَ لا يَقَرُّ إلا على الأرضِ المنخفضة ، لا فوقَ رؤوسِ الجبال ؛ فكذلِكَ قلوبُ المتكبِّرينَ تنتقلُ عنها الرَّحمة ، وتنزلُ إلىٰ قلوبِ المتواضعين[2] .

مُصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة : ١٥٦ـ١٥٧]) .

(١) قال الإمام البُوصيري رحمه الله تعالىٰ في « بردته » (ص١٠) : (من البسيط)

واستفرغِ الدمعَ من عينٍ قد امتلأَتْ ... مـن المحـارم والـزم حِمْيـةَ النـدم
وخالفِ النفسَ والشيطانَ واعصهما ... وإن هما محّضاكَ النصحَ فاتَّهمِ
ولا تُطِعْ منهما خَصماً ولا حكماً ... فأنت تعرف كيدَ الخصم والحكمِ

يا من سوَّد كتابه بالسيئات ؛ قد آن لك أن تمحوَه بسكب العَبَرات ؛ لِتُبيِّضَ الصفحات ، فالحسنات يذهبن السيئات .

(٢) قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالىٰ في « إحياء علوم الدين » (٦/ ٤٩٣) : (قال تعالىٰ : ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف : ١٤٦] ، قيل في التفسير : سأرفع فهْمَ القرآن عن قلوبهم ، وفي بعض التفاسير : سأحجب قلوبهم عن الملكوت ، وقال ابن جريج : سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها ويعتبروا بها ؛ ولذلك قال عيسىٰ عليه السلام : « إن الزرع ينبت في السَّهل ولا ينبت على

والمرادُ بالمتكبِّرين : مَنْ يَرُدُّ الحقَّ ، لا مَنْ يكونُ ثوبُهُ حسَناً ، **ولكنَّ الكِبْرَ** بطرُ الحقِّ ـ يعني دَفْعَه ـ واحتقارُ الناس[1] .

ولا تعتقدْ : أنَّ الكِبْرَ لا يكونُ إلا في وزيرٍ أو أميرٍ أو صاحبِ دُنيا ، **بل قد يكونُ فيمَنْ لا يملِكُ عَشَاءَ ليلةٍ** ، وهوَ يُفسدُ ولا يُصْلح ؛ لأنَّه تكبَّرَ علىٰ خلقِ اللهِ تعالىٰ[2] .

ولا تعتقدْ : أنَّ المنكوبَ مَنْ كانَ في الأسْرِ أوِ السِّجن ، **بلِ المنكوبُ** : مَنْ عصى اللهَ تعالىٰ وأدخلَ في هذهِ المملكةِ الطَّاهرةِ نجاسةَ المعصية .

→ الصَّفا ، **كذلك الحكمة** تعمل في قلب المتواضع ولا تعمل في قلب المتكبر ، ألا ترون أن من شمخ برأسه إلى السقف . . شجَّه ، ومن طأطأ . . أظلَّه وأكنَّه ») ، وقال بعضهم : (من الكامل)

مَلأَى السَّنابلِ تَنحَني بتَواضُعٍ والفارِغاتُ رُؤوسُهنَّ شَوامِخُ

(١) أخرج مسلم (٩١) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من كبرٍ** » قال رجلٌ : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ، ونعله حسنة ؟ قال : « إن الله جميلٌ يحبُّ الجمال ، **الكبر** : بَطَرُ الحق ، وغَمْطُ الناس » .

(٢) في (أ ، ب ، د) : (تكبَّر علىٰ حق الله تعالى) . أخرج مسلم (١٠٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة** ، ولا يزكيهم ـ وفي رواية : ولا ينظر إليهم ـ ولهم عذاب أليم : شيخ زانٍ ، وملك كذَّاب ، **وعائل مستكبر** » أي : فقير متكبر ، قال الطيبي : (يعني : الزنا قبيحٌ **ومن الشيخ أقبح** ، والكذب سمجٌ **ومن الملك أسمج** ، والتكبر مذمومٌ **ومن الفقير أذم**) ، وقال بعضهم : (**المهلكات أربع** : أنا ، ونحن ، ولي ، وعندي) ، وقال الشيخ عبد الغني النابلسي رحمه الله تعالى : (من الرجز)

زُحْ يا أنا يا فاسدَ التركيبِ يا حائلاً بيني وبينَ حبيبي

كثيرٌ مَنْ أنفقَ الدّنانيرَ والدراهمَ **ولكنْ مَنْ أنفقَ الدّمعَ قليلٌ**[1] .

الأحمقُ : مَنْ ماتَ ولدُهُ وجعلَ يبكي عليه ؛ **ولا يبكي علىٰ ما فاتَهُ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ** ، فكأنَّهُ يقولُ بلسانِ حالِهِ : أنا أبكي علىٰ ما كانَ يَشْغلُني عن ربِّي ، **بل كانَ ينبغي لهُ الفرحُ بذلك** ، ويُقْبلُ علىٰ مولاه ؛ لأنَّه أخذَ منهُ ما كانَ يَشْغلُهُ عنه[2] .

[ابكِ علىٰ نفسك]

وقبيحٌ بكَ : أنْ تشيبَ وأنتَ طفلُ العقلِ صغيرُه[3] ، ولا تفهمَ مرادَ الله تعالىٰ منكَ[4] ؛ فإنْ كنتَ عاقلاً . . **فابْكِ علىٰ نفسِكَ قبلَ أنْ**

---

(١) في (ج ، ط) : (من أنفق الروح قليل) ، أخرج البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٨٥) عن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : (**من استطاع أن يبكي** . . فليبكِ ، **ومن لم يستطع** . . فليتباكَ) ، وقالت أم المؤمنين سيدتنا عائشة رضي الله عنها : (وكان أبو بكر إذا بكىٰ . . **لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن**) .

(٢) قال رجلٌ لعبد العزيز بن أبي روَّاد رحمه الله تعالى : (**كيف أصبحتَ** ؟ فبكى ، وقال : **أصبحتُ** ـ والله ـ **في غفلةٍ عظيمةٍ عن الموت** ، مع ذنوبٍ كثيرةٍ قد أحاطت بي ، **وأجلٍ يُسرع كل يوم في عمري** ، ومَوئلٍ لستُ أدري علامَ أهجم) ثم بكىٰ رحمه الله تعالى . انظر « صفة الصفوة » (٢/ ١٣٦) .

(٣) **يا من شاب وما تاب ولا أصلح** ، يا معرضاً إلىٰ ما يؤذي عن الأصلح ، ليت شعري ؛ **بعد الشباب بماذا تفرح** ؟! ما أشنع الخطايا في الصبا **وهي في الشيب أقبح** !! إذا نزل الشيب ولم يزل العيب . . **فبعيدٌ أن يبرح** ، قال البحتري : (من الكامل)

وإذا تكامل للفتىٰ من عمره ... خمسون وهو إلى التُّقىٰ لا يَجنحُ
عكفَتْ عليه المخزياتُ فما له ... متأخِّرٌ عنها ولا متزحزحُ
وإذا رأى الشيطان غُـرَّةَ وجهه ... حيَّا وقال : فديتُ مَن لا يُفلحُ

نسأل الله السلامة وحسن الختام ، وشفاعة سيد الأنام ، عليه الصلاة والسلام ، والهاء في قوله : (صغيره) زيادة من (د ، ط) .

(٤) في (ج) : (ولا تفهم ما المراد منك ؟) .

يُبكَىٰ عليك ؛ فإنَّ الزوجةَ والولدَ ، والصَّديقَ والخادمَ لا يبكونَ عليكَ إذا متَّ ، بل يبكونَ علىٰ ما فاتَهم منك ، فسابِقْهُمْ أنتَ بالبكاء ، وقُلْ : يَحِقُّ لي أنْ أبكيَ علىٰ فواتِ حظِّي مِنْ ربِّي قبلَ أن يبكوا عليَّ[1] .

كفىٰ بكَ جهلاً : أنْ يُعامِلَكَ مولاكَ بالوفاءِ ، وأنتَ تعاملُهُ بالجفاء !!

ليسَ الرَّجلُ مَنْ صاحَ بينَ الناسِ في المجلس . . إنَّما الرَّجلُ مَنْ صاحَ علىٰ نفسِهِ ، وردَّها إلى اللهِ تعالىٰ[2] .

[الاشتغال بالأهمِّ]

مَنْ عالَ همَّ الدُّنيا وتركَ همَّ الآخرةِ . . كانَ كمَنْ جاءَهُ أسدٌ يفترسُهُ ثمَّ قرصَهُ بُرْغوثٌ ، فاشتغلَ بهِ عنِ الأسد ؛ فإنَّ مَنْ غفلَ عنِ اللهِ تعالىٰ . . اشتغلَ بالحقير ، ومَنْ لم يغفلْ عنهُ . . لم يشتغِلْ إلا بهِ[3] .

---

(١) أخرج الترمذي (٢٤٠٦) عن سيدنا عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ؛ ما النجاة ؟ قال : « أمسِكْ عليك لسانك ، وليسعْكَ بيتك ، وابكِ علىٰ خطيئتك » .

(٢) كان سيدنا عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالىٰ إذا ذكر الموت . . انتفض انتفاضةَ الطير ، ويبكي حتَّىٰ تجري دموعه علىٰ لحيته ، أخرج أبو نعيم في « الحلية » (٥/٢٦٩) عن عبد السلام مولىٰ مَسْلمة بن عبد الملك قال : (بكىٰ عمر بن عبد العزيز ، فبكت فاطمة ، فبكىٰ أهل الدار ؛ لا يدري هؤلاء ما أبكىٰ هؤلاء ، فلما تجلَّت عنهم العَبرةُ . . قالت له فاطمة : بأبي أنت يا أمير المؤمنين ؛ مِمَّ بكيت ؟ قال : ذكرتُ ـ يا فاطمة ـ منصرفَ القوم من بين يدي الله عز وجل ؛ فريقٌ في الجنة ، وفريقٌ في السعير ، قال : ثم صرخ وغُشي عليه) .

(٣) الدنيا ملعونةٌ ملعونٌ ما فيها إلا ذكر الله تعالىٰ ، وكيف لا تكون ملعونةً وهي عن الذكر شاغلة ، ولمن نظر إليها فاتنة ، ولمن ركن إليها قاتلة ، ولمن استنصحها غاشَّة ، ولمن استنصرها خاذلة ؟! الدنيا حَبٌّ ، والمعصية فخٌّ ، والشيطان صيَّاد ، والإنسان طائر ؛ فمتىٰ أكبَّ الإنسان علىٰ ٱلتقاط حلالها . . أوشك أن يقع في حرامها ، ومتىٰ وقع في حرامها . . فقد استحوذ عليه قنَّاصه ، وتعذَّر عليه إلا من ←

فأحسنُ أحوالِكَ : أنْ تفوتَكَ الدُّنيا لتحصيلِ الآخرةِ ، يا طالما فاتَتْكَ الآخرةُ لتحصيلِ الدُّنيا !!

ما أقبحَ الخوفَ بالجنديِّ ، **وما أقبحَ اللَّحْنَ** بالنَّحويِّ ، **وما أقبحَ طلبَ الدُّنيا** لمنْ يُظْهِرُ الزُّهدَ فيها !!

ليسَ الرَّجلُ مَن يُرَبِّيكَ لفظُه . . **إنَّما الرجلُ مَنْ يُرَبِّيكَ لحظُه** ، عَنِ الشَّيخِ أبي العبَّاسِ المرسي رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ : (إذا كانَتِ السُّلحفاةُ تُربِّي فراخَها بالنَّظرِ . . **كذلكَ الشَّيخُ يُرَبِّي مُريدَهُ بالنظر**[١]) ؛ لأنَّ السُّلحفاةَ تبيضُ في البَرِّ ، وتَتَوجَّهُ إلىٰ جانبِ النهر ، وتنظرُ إلىٰ بيضِها ، **فيُرَبِّيهمُ اللهُ تعالىٰ لها** بنظرِها إليهم .

* * *

← جهة التوبة خلاصه ، وقد نبَّه العلماء علىٰ أن العلم كثير ، والعمر قصير ، **فلا بد أن يُبدأ فيه بالأهم** ؛ كما قال العلامة ابن الوردي رحمه الله تعالىٰ في « البهجة » : (من الرجز)

والعمرُ عن تحصيلِ كلِّ عِلْمِ   يقصرُ فَابْدأْ منه بالأهمِّ
وذلك الفقه فإنَّ منهُ   ما لا غنىٰ في كلِّ حالٍ عنهُ

(١) في (ب ، د) : (بالنظر . . فما يربي الشيخ مريده بالنظر ؟) . وقال بعض الصالحين ، يصف العلماء السالكين ، **الذين هم أقمار للمريدين** : (لما كان القوم سائرين في طريقهم إلى الله يريدون الرحيل . . **افتقروا فيه إلىٰ دليل** ، عالم بالسفر والمقيل ، **قد سلك الطريق ثم عاد** ؛ ليخبر القوم بما استفاد ، **فأخذ بأيديهم وأوصلهم إلى المراد**) .

[الحب الحقيقي]

إِيَّاكَ أَنْ تخرُجَ مِنْ هذهِ الدَّارِ وما ذُقْتَ حلاوةَ حُبِّه ، **ليسَ حلاوةُ حبِّه** في المآكلِ والمشارب ؛ لأنَّهُ يُشارِكُكَ فيها الكافرُ والدَّابة ، **بلْ شارِك الملائكةَ** في حلاوةِ الذِّكْرِ[1] ، والجمع على اللهِ تعالى ؛ **لأنَّ الأرواحَ** لا تحتمِلُ وساوِسَ النُّفوس[2] ، فإذا انْغَمَسَتْ في جيفةِ الدُّنيا . . **لا تصلحُ للمحاضرة** ؛ لأنَّ حضرةَ اللهِ تعالىٰ لا يدخُلُها المتلطِّخونَ بنجاسةِ المعصيةِ .

وطهِّرْ نفسَكَ مِنَ العيبِ[3] . . **يفتَحْ لكَ بابَ الغيب**، وتُبْ إلى اللهِ وارْجِعْ إليهِ بالإنابةِ والذِّكر ، ومَنْ أدامَ قرْعَ البابِ . . **يُفْتَحْ له**[4] : [من مجزوء الرجز]

---

(١) أخرج الحاكم في « المستدرك » (١/٤٩٦) ، والترمذي (٣٣٧٧) ، وابن ماجه (٣٧٩٠) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **ألا أنبئكم بخير أعمالكم** ، وأزكاها عند مليككم ، **وأرفعها في درجاتكم** ، وخيرٍ لكم من إعطاء الذهب والوَرِق ـ أي : الفضة ـ وأن تَلْقَوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ، ويضربوا أعناقكم ؟! » قالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : « **ذكر الله عز وجل** » ، وقال سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه : (ما عمل آدميٌّ من عملٍ أنجىٰ له من عذاب الله **من ذكر الله عز وجل** !!) .

(٢) في (أ ، ب ، د ، ط) : (لا تحتمل رشاش النفوس) .

(٣) في (ج ، ط) : (فطهر قلبك . . .) .

(٤) قال العلامة روزبهان الشيرازي في « مشرب الأرواح » (ص ٢٠) : (إن المريد إذا كرَّر النظر وتأمل فيما [هو] حق الله عليه ؛ من إماتة النفس بتدبير تزكيتها ، وإحياء القلب بنور الذكر . . **يدخل في باب المجاهدة** ، ويسد أبواب الهوىٰ علىٰ سور القلب ، **ويقلع عن مزارع نظر الحق** عروقَ الشهوات والشبهات ؛ حتىٰ تكون أرض القلب بعد سبختها **طيبة بتراب الذكر** ؛ لوقوع بذر المحبة سنن الرشد ، ويستمر في تعهدها وحسن القيام بها ، وسقاها زلال الصفاء ، وحفظها من فجأة ←

تقـولُ فـي اليـومِ : عسـى وفـي غـدٍ منـهُ : لعـلّ
مَـنْ قَـرَعَ البـابَ ولـم يَعْـيَ مِـنَ القرعِ . . دخلْ[1]

ولولا الملاطفةُ . . ما قُلنا ذلك ؛ لأنَّهُ كما قالتْ رابعةُ العَدَويةُ : (ومتىٰ أُغلقَ هذا البابُ حتَّىٰ يُفتح ؟!)[2] ، ولكنْ هذا بابٌ يُوصِلُكَ إلىٰ قُرْبِه .

وإيَّـاكَ وذُهـولَ القلـبِ عَـنْ وحـدانيَّـةِ الله تعـالـى ؛ فـأوَّلُ درجـاتِ الذَّاكرينَ : استحضارُ وحدانيَّتِهِ ، وما ذكرَهُ الذَّاكرونَ وفُتِحَ عليهِمْ إلا باستحضارِهِمْ ذلك ، وما طُرِدُوا إلا بذكرِهم مَعَ غلبةِ الذُّهولِ عليهِم[3] ، وتستعينُ علىٰ ذلكَ بقمعِ الشَّهْوتينِ : البطنِ والفَرْجِ ، ولا يُضادُّكَ في اللهِ إلا نفسُك .

← الغاشية ، والعوارض المهلكة ؛ لينبت نباتها بأنوار تجلي شمس العزة ، وظلال قمر المشاهدة ، وتثمر أغصانه إلىٰ هوا السرمدية ، وتثبت عروقه في أرض القدسية ، قال تعالى : ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [إبراهيم : ٢٤]) .

(١) ومن ذلك قول الشاعر : (من البسيط)

لا تيـأسـنَّ وإن طـالـت مطـالبـةٌ إذا استعنتَ بصبرٍ أن ترىٰ فَرَجا
أخلِقْ بذي الصبرِ أن يَحظىٰ بحاجته ومُدمنِ القرعِ للأبواب أن يَلِجا

(٢) انظر كتاب « وأنيبوا إلىٰ ربكم » للشيخ العلامة أبي اليسر عابدين رحمه الله تعالىٰ (ص٢٦٥) .

(٣) قال أهل التصوف : (للذكر بداية ؛ وهي : توجهٌ صادق ، وله توسط ؛ وهو : نورٌ طارق ، وله نهاية ؛ وهو : حالٌ خارق ، وله أصل ؛ وهو : الصفا ، وفرع ؛ وهو : الوفا ، وشرط ؛ وهو : الحضور ، وبساط ؛ وهو : العمل الصالح ، وخاصية ؛ وهو : الفتح المبين) .

وقال أبو سعيد الخراز رحمه الله تعالى : (إذا أراد الله أن يوالي عبداً . . فتح له باب الذكر ، فإذا استلذَّ بالذكر . . فتح عليه باب القُرب ، ثم رفعه إلىٰ مجالس الأنس . . . إلخ) انظر « نزهة المجالس » (ص ١٨) .

[اجعل تودُّدك للحق]

ما أكثرَ تودُّدَكَ للخَلْق ، وما أقلَّ تودُّدَكَ للحقّ !! لو فُتِحَ لكَ بابُ التَّودُّدِ معَ اللهِ تعالىٰ . . **لرأيتَ العجائب** :

ركعتانِ في جوفِ الليلِ . . **تودُّد** ، عيادتُكَ المرضىٰ . . **تودُّد** ، صلاتُكَ علىٰ جنازةٍ . . **تودُّد** ، الصَّدقةُ علىٰ المساكينِ . . **تودُّد** ، إعانتكَ لأخيكَ المسلمِ . . **تودُّد** ، إماطتُك الأذىٰ عنِ الطريقِ . . **تودُّد** ، ولكنَّ السيفَ المطروحَ يحتاجُ إلىٰ ساعدٍ[1] .

ولا عبادةَ أنفعُ لكَ مِنَ الذِّكْر ؛ لأنَّهُ يُمكنُ الشَّيخَ الكبيرَ والمريضَ الَّذي لا يستطيعُ القيامَ والركوعَ والسجودَ[2] .

❋ ❋ ❋

---

(١) الخلق عيال الله ، **وأحبُّهم إلى الله** أنفعُهم لعياله ، **والتعبُّد** : مفتاح باب الخير ، فمن فاتته الأوراد في بدايته . . **فقد حُرِم الواردات في نهايته** ؛ فللأعمال أنوار كما للمعارف أسرار ، **فعليك أيها السالك** بالدوام على الأوراد ولو بلغت المراد .

(٢) قال بعض الصالحين : (**الذكر** ترياق المذنبين ، وأُنس المنقطعين ، وكنز المتوكِّلين ، وغذاء الموقنين ، وحيلة الراضين ، ومبدأ العارفين ، وبساط المقربين ، وشراب المحبِّين) .

[العلماء والحكماء هم الأدلاء]

واعلم : أنَّ العلماءَ والحكماءَ يُعَرِّفونَكَ كيفَ تدخُلُ على الله[١] ؛ هلْ رأيتَ مملوكاً أوّلَ ما يُشْترَىٰ يَصْلُحُ للخدمةِ ؟ بل يُعطَىٰ لمَنْ يُرَبِّيهِ ويُعلِّمُهُ الأدب ، فإذا صلحَ وعرفَ الأدبَ . . خدمَ الملك[٢] ؛ كذلكَ الأولياءُ رضيَ اللهُ عنهم يَصحبُهُمُ المريدونَ حتَّىٰ يزجُّوا بهم إلى الحضرة ؛ كالعوَّامِ إذا أرادَ أنْ يُعَلِّمَ الصَّبيَّ العَومَ . . يُحاذيه إلىٰ أنْ يصلحَ للعَومِ وحدَهُ ، فإذا صلحَ . . زجَّهُ في اللُّجَّةِ وتركه[٣] .

وإيَّاكَ أنْ تعتقدَ : أنَّهُ لا يُتوسَّلُ بالأنبياءِ والأولياءِ والصَّالحين[٤] ؛

---

(١) أخرج الترمذي (٢٦٨٥) عن سيدنا أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : ذُكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان ؛ أحدهما عابد ، والآخر عالم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فضل العالم على العابد كفضلي علىٰ أدناكم » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرَضين حتى النملة في جحرها ، وحتى الحوت ليصلُّون علىٰ معلِّم الناس الخير » ، فالعلماء سُرُجُ الأرض ، وكل عالمٍ مصباح زمانه ؛ يستضيء به أهل عصره ، وقيل : العالم كالعين العذبة ؛ حيث وقع . . نفع ، وكالسراج ؛ من مرَّ به . . اقتبس .

(٢) في غير (أ) : (قدَّمهُ الملك) ، وفي (ط) : (للملك) .

(٣) الطريق كله أدب ، وتأديب لأهل الطلب ، ولا يُنال إلا بالجلوس علىٰ الركب ، بين يدي المربِّين الوارثين عن سيد العجم والعرب ، صلى الله عليه وسلم ؛ ومن لم تؤدبه الصوفية . . فليس بأديب ، فالذنب لا يشعر به كل أحد ، وهم يُناقَشون من جهة الحق مناقشة الجليس جليسه والصاحب صاحبه ؛ لأنهم جلساء الحق ، وصاحب الأدب لم يزل مستور العورة في الدنيا والآخرة ، والعكس بالعكس ، والفضل لأهل الفضل الأدلاء علىٰ الحق سبحانه .

(٤) في غير (ج ، ط) : (وإياك أن تعتقد أنه لا ينتفع بالأنبياء . . .) .

فإنَّهم وسيلةٌ جعلَهَا اللهُ إليه ؛ لأنَّ كلَّ كرامةٍ للوليِّ . . **هيَ شهادةٌ بصدقِ النبيِّ** ، لأنَّها جرَتْ علىٰ أيدي الأولياءِ مثلَ : خَرْقِ العادات ، والمشْيِ على الماء ، والطَّيرانِ في الهواء ، وإخبارِ المغيَّبات ، ونبعِ الماءِ ونحوِ ذلك[1] ؛ **لأنَّهم لم يُعْطَوا ذلكَ إلا لأجلِهِمْ** .

[ميزانٌ تعرفُ به نفسَك]

وعنِ الشَّيخِ أبي الحسنِ الشَّاذليِّ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قال : (**كِلْ نفسَكَ وزِنْها بالصَّلاة**[2] ؛ فإنِ انتهتْ عنِ الحظوظِ . . **فاعلم** : أنَّكَ سعدْتَ ؛ قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] ، وإلا . . **فابْكِ علىٰ نفسِكَ** ؛ إذا جررْتَ رِجْلَكَ إلى الصَّلاةِ جرّاً . . **فهل رأيتَ حبيباً لا يريدُ لقاءَ حبيبِهِ ؟!**)[3] .

---

(١) انظر كتاب « جامع كرامات الأولياء » للعلامة يوسف النبهاني رحمه الله تعالى ؛ فقد جمع فيه فأوعى .

(٢) أخرج البيهقي في « شعب الإيمان » (٣١٥٠) عن سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه : أنه قال : (**الصلاة مكيال** ؛ من وفَّى . . **أوفي له** ، ومن نقص . . **فقد علمتم ما قيل في المطففين**) .

(٣) فقد قال سبحانه في وصف المنافقين : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ [النساء : ١٤٢ـ١٤٣] ، وأخرج ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٠/٢٦٢) : أن سيدنا عروة بن الزبير رضي الله عنهما **أُصيبت قدمُه بالآكلة** ، ووصلت إلى الساق ، وأجمع الأطباء علىٰ نشرها بالمنشار بعد تحميته علىٰ النار ، **وطلبوا منه أن يشرب مرقِّداً** ـ أي : مسكراً ـ **لئلا يشعر** ، فأبىٰ وقال : (**دعوا لي ما أسجد عليه**) ونشروها وهو ساجد رضي الله عنه ، **فما تكلَّم ولا تأوه** ، وكان مسافراً ومات ولَدُهُ أيضاً ، فلما قدم المدينة . . تلقَّاه أهل بيته وأصدقاؤه ، فجعل يقول : ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾ [الكهف : ٦٢] ثم يقول : (لئن كنتَ ابتليتَ . . **لقد عافيت** ، ولئن كنتَ أخذتَ . . **لقد** ←

فمَنْ أرادَ أنْ يعرفَ حقيقتَهُ عندَ اللهِ . . **فلينظُرْ إلىٰ صلاتِهِ** : إمَّا بالسُّكونِ والخشوعِ ، وإمَّا بالغفلةِ والعجلة ؛ فإنْ لم تكنْ بالوصفينِ الأوَّلَينِ . . **فاْحْثُ الترابَ علىٰ رأسِكَ**[1] ؛ فإنَّ مَنْ جالسَ صاحبَ المسكِ . . **عَبِقَ عليهِ من ريحِه** ؛ فإنَّ الصَّلاةَ مجالسةُ اللهِ تعالىٰ[2] .

فإذا جالستَهُ ولم يحصُلْ لكَ منهُ شيءٌ . . **دلَّ ذلكَ علىٰ مرضٍ فيك** ؛ وهوَ : إمَّا كِبْرٌ ، أو عُجْبٌ ، أو عدمُ أدبٍ ؛ قالَ اللهُ تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف : ١٤٦] .

فلا ينبغي لمَنْ صلَّىٰ أنْ يُسْرِعَ الخروجَ ، بل يذكرُ اللهَ تعالىٰ ويستغفرُ من تقصيرِهِ فيها ؛ **فرُبَّ صلاةٍ لا تصلحُ للقَبولِ** ، فإنِ استغفرْتَ اللهَ تعالىٰ بعدَها . . **قُبلَتْ** ؛ كانَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم إذا صلَّىٰ . . **استغفرَ اللهَ ثلاثَ مرَّاتٍ**[3] .

← **أبقيتَ** ؛ أخذتَ واحداً وتركتَ أربعةً ـ يعني بنيه ـ وأخذتَ واحداً وتركتَ ثلاثة) يعني جوارحه ، رضي الله عنه ، فلما أنس بالله . . لم يشعر بشيء .

(١) **الحثو** : إلقاء التراب على الرأس ؛ ويفعله مَن نزلت به مصيبة عظيمة ، **وأي مصيبة أعظم** من فَقْدِ الخشوع والسكينة في الصلاة ، نسأل الله اللطف والعافية !!

(٢) كان شيخ يحدِّث في جماعة ، فدخل رجلٌ حسن الوجه ، فقال الشيخ في أثناء حديثه : (**من كثرت صلاته بالليل** ، حسُنَ وجهُهُ بالنهار) وأتمَّ حديثه ، فظنَّ ثابت بن موسى الزاهد : أنه من قول النبي صلى الله عليه وسلم فرفعه إليه ، ولا يصح رفعه . فلما خلا أهل الليل بمحبوبهم . . **كساهم نوراً من نوره سبحانه وتعالىٰ** .

(٣) أخرج ابن حبان (٢٠٠٣) ، وأبو داوود (١٥١٣) ، وابن ماجه (٩٢٨) عن سيدنا ثوبان رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن ينصرف من الصلاة . . **استغفر ثلاثاً** ، ثم قال : « **اللهم** ؛ أنت السلام ، ومنك السلام ، **تباركت يا ذا الجلال والإكرام** » دون زيادة ، فتنبه .

[من أعظم الأمراض الشَّك في الرزق]

كَمْ فيكَ مِنَ الكوامن[١] ، فإذا أُورِدَتْ عليها الواردات . . أظهرَتْها ، **وأعظمُها** : ذنبُ الشَّكِّ في الله ، والشَّكُّ في الرزقِ . . **شكٌّ في الرازق** .

الدنيا أحقرُ مِنْ أنْ يُعالَ همُّها ، صَغُرَتِ الهِمَمُ فعالَتْ صغيراً ، فلو كنتَ كبيراً . . **لَعُلْتَ الكبير** ، مَنْ عالَ الهمَّ الصَّغيرَ وتركَ الهمَّ الكبيرَ . . **استسفلنا عقلَه**[٢] .

قُمْ أنتَ بما يَلزمُكَ من وظائفِ العبودية ، **وهو يقومُ لك بما التزمَه** ؛ أيَرزُقُ الجُعَلَ والوزَغَ وبناتِ وردانَ **وينسىٰ أنْ يرزقَك** ؟!

فحاشا ثم حاشا ، قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[٣] [طه : ١٣٢] .

---

(١) **الكوامن** : ما خفي من كل شيء ، **والمراد هنا** : ما خفي عليك من خفايا النفس وأمراض القلوب ؛ قال بعضهم : (من الطويل)

أبعدَ دخولِ البيتِ واللهُ ضامنُ ... أيبقىٰ قبيحٌ والخطايا الكوامنُ
فحاشا وكلا بل تُسامَحُ كلُّها ... ويرجعُ كلٌّ وهو جذلان آمنُ

أي : عند دخول بيت الله العتيق زائراً وقد جعله سبحانه حرماً آمناً .

(٢) أخرج الترمذي (٢٤٦٥) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كانت الآخرة همَّه . . **جعل الله غناه في قلبه** ، وجمع له شمله ، وأتته الدنيا وهي راغمة ، ومن كانت الدنيا همه . . **جعل الله فقره بين عينيه** ، وفرَّق عليه شمله ، **ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدِّر له** » .

قال المتنبي : (من الخفيف)

وإذا كانتِ النفوسُ كباراً ... تعبتْ في مُرادها الأجسامُ

فاسألوا الله الفردوس الأعلى ؛ إن لم نكن أهلاً لذلك . . فهو سبحانه أهل لذلك .

(٣) أخرج عبد الرزاق (٤٧٤٤) عن معمرٍ عن رجلٍ من قريش قال : كان النبي ←

كلُّ مَنْ كانَ مُراعياً لحقِّ اللهِ تعالىٰ . . **لا يُحدِثُ اللهُ تعالىٰ حدَثاً في المملكةِ إلا أعلَمَه** .

نظرَ بعضُهم إلىٰ جماعته فقالَ : (هل فيكُمْ مَنْ إذا أحدَثَ اللهُ سبحانهُ وتعالىٰ في المملكةِ حدَثاً . . أعلمَه ؟) قالوا : لا ، فقالَ لهم : (**ابكُوا علىٰ أنفسِكُمْ**)(١) .

كانَ المتقدِّمونَ منَ السَّلفِ رضيَ اللهُ عنهم يَسألونَ الشَّخصَ عنْ حالِهِ ؛ **ليستثيروا منهُ الشُّكر** ، والناسُ اليومَ ينبغي ألا يُسْألوا ؛ فإنَّكَ إنْ سألْتَ . . **تستثيرُ منهمُ الشَّكوىٰ**(٢) .

صلى الله عليه وسلم إذا دخل عليه بعضُ الضِّيق في الرزق . . **أمر أهله بالصلاة** ، ثم قرأ هذه الآية : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ﴾ . وكان صلى الله عليه وسلم **يَستحِبُّ الصلاة في الحيطان** ـ وهي البساتين ـ قال الحافظ العراقي رحمه الله تعالى : (**واستحبابه الصلاة فيها** : إما لقصد الخلوة عن الناس فيها ، أو لحلول البركة في ثمارها ببركة الصلاة ؛ **فإنها تجلب الرزق بشهادة** : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [طه : ١٣٢]) .

(١) ذكر ذلك الحافظ ابن الجوزي رحمه الله تعالىٰ في « صفة الصفوة » (٢/ ٢٧٠) وعزاه للعلامة أبي محمد الحريري ، وهو ممن أسند الحديث ، ومن أصحاب الجنيد وسهل بن عبد الله التُّستري ، **ومن أقواله** : (منذ عشرين سنة ما مددت رِجْلي في الخلوة ؛ **فإنَّ حُسن الأدب مع الله أَولىٰ**) ، وقال أيضاً : (من استولَتْ عليه النفس . . صار أسيراً في حكم الشهوات ، محصوراً في سجن الهوى ، **فحرَّم الله علىٰ قلبه الفوائد** ؛ فلا يُستلَذُّ بكلامه ، ولا يستحليه وإن كثر ترداده علىٰ لسانه) ، توفي رحمه الله تعالىٰ سنة إحدىٰ عشرة وثلاث مئة .

(٢) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالىٰ في « فتح الباري » (١١/ ٥٩) : (وأخرج ابن أبي شيبة من طريق أبي الطفيل قال : قال رجلٌ لحذيفة : كيف أصبحتَ ، أو كيف أمسيتَ يا أبا عبد الله ؟ قال : « **أحمد الله** » ، ومن طريق أنس : أنه سمع عمر سلَّم عليه رجلٌ ، فردَّ ، ثم قال له : « **كيف أنت ؟** » قال : أحمد الله ، قال : « **هذا الذي أردتُ منك** » ، وأخرج الطبراني في « الأوسط » نحو هذا من حديث

وعنْ بعضِ النَّبَّاشِينَ : أَنَّهُ تابَ إلى اللهِ تعالى ، فقالَ يوماً لشيخِهِ : يا سيِّدي ؛ نبشْتُ ألفَ قبرٍ ، **فوجدْتُ وجوهَهُمْ مُحوَّلةً عنِ القِبْلة** !! فقالَ الشَّيخُ : (يا ولدي ؛ **ذاكَ مِنْ شكِّهم في الرِّزق** !!)[1] .

يا عبدَ الله ؛ إذا طلبْتَ مِنَ الله . . **فاْطلُبْ منْهُ** أنْ يُصلِحَكَ مِنْ كلِّ الوُجوه ، وأنْ يُصلِحَكَ بالرِّضا عنْهُ في تدبيرِه .

ثمَّ إنَّكَ عبدٌ شَرود ؛ طلبَ منكَ أنْ تعبُرَ إليهِ فَفَرَرْتَ منه[2] ، **فإنَّ الفِرارَ يكونُ بالأفعالِ والأحوالِ والهِمم** ؛ فإذا كنتَ في صلاتِكَ تسهو ، وفي صومِكَ تلغو ، وفي لطفِ اللهِ تشكُّ . . **أفما أنتَ شاردٌ** ؟!

عنِ الشَّيخِ أبي الحسنِ الشَّاذليِّ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ : (بقيتُ مرَّةً في الباديةِ ثلاثةَ أيامٍ لم يُفتَحْ لي بشيءٍ[3] ، فجازَ عليَّ بعضُ النَّصارىٰ فرأَوني

← عبد الله بن عمرو مرفوعاً) ، أما أهل هذا الزمان . . **فكثيرٌ منهم من يشكو الخالق للخلق** ، نسأل الله العافية .

(١) أخرج ابن أبي الدنيا في كتاب « القبور » (٩٩) عن أبي إسحاق الفزاري : أنه أتاه رجلٌ فقال : (كنتُ أنبش القبور ، **وكنت أجد قوماً وجوههم لغير القبلة** !!) فكتب إلى الأوزاعي يسأله ، فقال : (**أولئك قومٌ ماتوا علىٰ غير السنة**) ، وانظر « شرح الصدور بشرح حال الموتىٰ وأهل القبور » (ص ٣٣٩) بتحقيقنا من إصدار دار المنهاج العامرة .

(٢) قال تعالى : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ [الذاريات : ٥٠] ، إن هِبْتَ شيئاً . . **هربتَ منه** ، إلا الله سبحانه ؛ فإنك إن خِفتَه . . **فررتَ إليه** .
قال سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما : (**فرُّوا إلى الله بالتوبة من ذنوبكم**) ، وقال أيضاً : (**فرُّوا منه إليه** ، واعملوا بطاعته) .
وقال ذو النون رحمه الله تعالى : (**فرُّوا من الجهل** إلى العلم ، **ومن الكفر إلى** الشكر) ، وقال سهل بن عبد الله التُّستري رحمه الله تعالى : (**فرُّوا ممَّا سوى الله إلى الله**) انظر « تفسير القرطبي » (١٧/ ٥٣ـ ٥٤) .

(٣) في (ب ، د ، ط) : (لم يصح لي) .

متَّكِئاً ، فقالوا : هذا قِسِّيسٌ من المسلمين ، فوضعوا عندَ رأسي شيئاً من الطعامِ وانصرفوا .

فقلْتُ : يا لَلْعجب ؛ كيفَ رُزقتُ علىٰ أيدي الأعداءِ ولم أُرزق علىٰ أيدي الأحبَّاء ؟! فقيلَ : ليسَ الرَّجلُ مَنْ يُرزَقُ علىٰ أيدي الأحبَّاء ؛ إنَّما الرجلُ مَنْ يُرزَقُ علىٰ أيدي الأعداء !!)[1] .

[تربية النفس]

يا هذا ؛ اجعلْ نفسَكَ كدابَّتِكَ : كلَّما عدَلَتْ عنِ الطريقِ . . ضرَبْتَها فرجعَتْ إلى الطريق ، ولو فعلْتَ معَ نفسِكَ مثلَ ما تفعلُ بجُبَّتِكَ : كلَّما توسَّخَتْ غسَلْتَها ، وكلَّما تقطَّعَ منها شيءٌ رقَّعْتَهُ وجدَّدْتَهُ . . كانَتْ لك السَّعادة[2] .

---

(١) انظر « لطائف المنن » (ص ٨٥) ، وقال القرطبي في « تفسيره » (١٧/ ٤٢ـ ٤٣) : (قال يزيد بن مَرْثد : إن رجلاً جاع بمكانٍ ليس فيه شيءٌ ، فقال : « اللهم ؛ رزقَكَ الذي وعدتني فأتِني به » فشبع ورَوِي من غير طعامٍ ولا شراب ، وعن أبي سعيدٍ الخدري قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لو أن أحدكم فرَّ من رزقه . . لتبعه ؛ كما يتبعه الموت » أسنده الثعلبي رحمه الله تعالى ، وفي « سنن ابن ماجه » [٤١٦٥] : عن حبَّةَ وسواء ابنَي خالد قالا : دخلنا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعالج شيئاً ، فأعنَّاه عليه ، فقال : « لا تيأسا من الرزق ما تهزَّزَتْ رؤوسكما ؛ فإن الإنسان تلده أمه أحمرَ ليس عليه قشر ، ثم يرزقه الله ») .

(٢) قال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى : (ما عبدَ إنسانٌ ربَّه كمخالفة النفس والهوىٰ) ، وقال الجنيد رحمه الله تعالى : (أرِقْتُ ليلة ، فقمتُ إلىٰ وِردي ، فلم أجد ما كنت أجده من الحلاوة ، والتلذُّذ بمناجاتي لربي ، فتحيرت فأردت أن أنام فلم أقدر عليه ، فقعدت ، فلم أُطِقِ القعود ، ففتحتُ الباب وخرجت ، فإذا رجلٌ ملتفٌّ في عباءةٍ مطروحٌ على الطريق ، فلما أحسَّ بي . . رفع رأسه ، وقال : يا أبا القاسم إلى الساعة ؟ فقلت : يا سيدي ؛ من غير موعد . فقال : بلىٰ ؛ قد سألت ←

فرُبَّ رجلٍ ابيضَّتْ لحيتُهُ وما جلسَ معَ اللهِ جلسةً **يُحاسِبُ فيها نفسَه** !![1].

عنِ الشَّيخ مكينِ الدِّينِ الأسمرِ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (كنتُ في البادئة **أُحاسبُ نفسِي**[2] **عندَ المساءِ** ، فأقولُ : تكلَّمْتُ اليومَ بكذا وكذا ، فأجدُ ثلاثَ كلماتٍ أو أربعاً)[3] .

محرِّك القلوب أن يحرك لي قلبك . فقلت : **قد فعل** ، **فما حاجتك** ؟ فقال : **متىٰ يصير داء النفس دواءها** ؟ فقلت : إذا خالفَتْ هواها . . **صار داؤها دواءها** . فأقبل علىٰ نفسه ، وقال : اسمعي ، قد أجبتك بهذا الجواب سبع مرات ، **فأبيتِ إلا أن تسمعيه من الجنيد** ، وقد سمعتِ ، وانصرف عني ولم أعرفه ، ولم أقف عليه بعدُ) انظر « الرسالة القشيرية » (ص ٢٧٥) .

(١) ما مضىٰ من العمر وإن طالت أوقاته . . **فقد ذهبت لذَّاته** ، **وبقيت تبعاته** ، رُئي بعض الموتىٰ في المنام ، فقال : (**ما عندنا** أكثر من الندامة ، **ولا عندكم** أكثر من الغفلة) ، الباب مفتوح ، والمنادي ينادي : من أوىٰ إلينا . . **آويناه** ، ومن استجار بنا . . **أجرناه** ، ومن تاب إلينا . . **أحببناه** ، أبشر ؛ **فربما يكون الشيب شافعاً لصاحبه من العقوبات** ، وقف شيخ بعرفة والناس يضجُّون بالدعاء وهو ساكت ، ثم قبض علىٰ لحيته ، وقال : (يا رب ؛ **شيخ يرجو رحمتك**) : [من المنسرح]

لما أتوا والشيبُ شافعُهم ... وقد توالىٰ عليهم الخجلُ
قلنا لسُود الصحائف : انقلبي ... بيضاً فإن الشيوخ قد قُبلوا

التوبةَ التوبةَ قبل أن يصل إليكم من الموت النوبة ، فيحصل المفرط على الندم والخيبة ، **الإنابةَ الإنابةَ** قبل غلق باب الإجابة ، **الإفاقةَ الإفاقةَ** ؛ فقد قرب وقت الفاقة ، **فيا صاحب الشيب** ؛ لم يبقَ إلا الموت ، **فقبيح منك** الإصرار على الذنب والريب .

(٢) قوله : (كنت في البادئة) زيادة من (ج) ، وفي (ط) : (كنت في البداءة . . .) .

(٣) أخرج الترمذي (٢٦١٦) عن سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه من حديثٍ طويلٍ : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : « **ألا أخبرك بملاك ذلك كلِّه** ؟ » قلت : بلىٰ يا نبي الله ، فأخذ بلسانه ثم قال : « **كُفَّ عليك هذا** » .

وكانَ عندَهُ يوماً شيخٌ عمُرُهُ نحوُ تسعينَ سنة ، فقالَ لهُ : يا سيِّدي ؛ أشكو إليكَ كثرةَ الذُّنوب ، فقالَ لهُ الشَّيخُ : (هذا شيءٌ لا نعرفُه ، وما أعرفُ أنِّي عمِلْتُ ذَنْباً قطُّ !!)[1] .

❋ ❋ ❋

فقلت : يا نبي الله ؛ وإنَّا لَمؤاخذون بما نتكلم ؟ فقال : « ثكلتك أمك يا معاذ !! وهل يكبُّ الناسَ في النار علىٰ وجوههم ـ أو : علىٰ مناخرهم ـ إلا حصائدُ ألسنتهم ؟! » .

(١) كان سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يضع حصاةً في فيه يمنع بها نفسه عن الكلام ، وكان يشير إلىٰ لسانه ويقول : (هذا الذي أوردني الموارد) .

وقال سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : (والله الذي لا إله إلا هو ؛ ما شيءٌ أحوجَ إلىٰ طول سجنٍ من لسان) .

وقيل : ما تكلَّم الربيع بن خيثم بكلام الدنيا عشرين سنة ، وكان إذا أصبح . . وضع دواةً وقرطاساً وقلماً ؛ فكلُّ ما تكلَّم به . . كتبه ، ثم يحاسب نفسه عند المساء . انظر « إحياء علوم الدين » (٥/٣٩٩ـ٤٠١) .

[للدنيا أبناءٌ وللآخرة أبناء]

كما أنَّ للدُّنيا أبناءً مَنِ استندَ إليهم . . كفَوهُ ؛ فكذلكَ للآخرةِ أبناءٌ مَنِ استندَ إليهم . . أغنَوه[1] ، ولا تقُلْ : طلبْنَا فلم نجِدْ ؛ فلو طلبْتَ بصِدقٍ . . لوجدْتَ .

وسببُ عدمِ وجدانِكَ : عدمُ استعدادِك ؛ فإنَّ العروسَ لا تُجلَىٰ علىٰ فاجرٍ ، فلو طلبْتَ رؤيةَ العروسِ . . لتركْتَ الفُجور ، ولو تركْتَ الفجورَ . . لرأيتَ الأولياء ، والأولياءُ كثيرون ، لا ينقصُ عددُهُمْ ولا مددُهُمْ ، ولو نقصَ واحدٌ منهم . . لنقصَ من نورِ النبوة[2] .

---

(١) أخرج أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١/ ٢٦٤) عن سيدنا شدَّاد بن أوس رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يا أيها الناس ؛ إن الدنيا عرضٌ حاضر ، يأكل منها البَرُّ والفاجر ، وإن الآخرة وعدٌ صادق ، يحكم فيها ملك قادر ، يُحِقُّ فيها الحق ويُبطِل الباطل ، أيها الناس ؛ كونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ؛ فإن كلَّ أمٍّ يتبعها ولدها » .

(٢) الوليّ : له معنيان : أحدهما : فعيل بمعنىٰ مفعول ؛ وهو مَن يتولى اللهُ سبحانه أمرَه ، قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٦] ، فلا يَكِلُه إلىٰ نفسه لحظة ، بل يتولَّى الحقُّ سبحانه رعايته ، والثاني : فعيل مبالغة من الفاعل ؛ وهو الذي يتولَّىٰ عبادةَ الله وطاعته ، فعبادته تجري علىٰ التوالي ، من غير أن يتخللها عصيان ، وكِلا الوصفينِ واجبٌ حتَّىٰ يكون الولي ولياً : يجب قيامه بحقوق الله تعالىٰ على الاستقصاء والاستيفاء ، ودوام حفظ الله تعالىٰ إياه في السراء والضراء ، ومن شرط الولي : أن يكون محفوظاً ؛ كما أن من شرط النبي أن يكون معصوماً ، فكل من كان للشرع عليه اعتراض . . فهو مغرور مخدوع ، قال الأستاذ أبو عليّ الدقاق رحمه الله : قصد أبو يزيد البسطامي بعض من وُصف بالولاية ، فلما وافىٰ مسجده . . قعد ينتظر خروجه ، فخرج الرجل ، وتنخَّم في المسجد ، فانصرف أبو يزيد ولم يسلِّم عليه ، وقال : (هذا رجلٌ غير مأمونٍ علىٰ ←

إذا أحببْتَ حبيباً . . لم تَصِلْ إليهِ حتَّىٰ تكونَ أهلاً للوصولِ إليه ؛ **وذلكَ حتَّىٰ تَطهُرَ ممَّا أنتَ فيه منَ الرَّذائل** .

قالَ الشَّيخُ أبو الحسنِ الشَّاذلي رضيَ اللهُ عنهُ : (**أولياءُ اللهِ عرائس** ، ولا يَرَى العرائسَ المجرمون)[1] .

[ميزانٌ للطاعة وللمعصية]

إذا ثقُلَتْ عليكَ الطَّاعةُ والعبادةُ ، **ولم تجِدْ لها حلاوةً في قلبِك** ، وتَخِفَّ عليكَ المعصيةُ ، **وتجدْ لها حلاوةً** . . **فاعلم** : أنَّكَ لم تصدُقْ توبتُكَ ؛ فإنَّهُ لو صحَّ الأصلُ . . **لصحَّ الفرع**[2] .

أدبٍ من آداب الشريعة ، **فكيف يكون أميناً علىٰ أسرار الحق** ؟!) انظر لتمام الفائدة « الرسالة القشيرية » (ص ٤٣٦ـ٤٣٧) .

(١) انظر « لطائف المنن » (ص ٦٠) ، وكان الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالىٰ يقول : (الأولياء عرائس الله ؛ **لا يُطلع عليهم إلا ذا مَحْرم**) ، ويقول أيضاً : (**الدنيا** أشغال ، **والآخرة** أهوال ، والعبد فيما بين الأشغال والأهوال حتَّىٰ يستقرَّ قراره : إما إلىٰ جنة ، وإما إلىٰ نار) انظر « الوافي بالوفيات » (١٩/ ٤٠) .

(٢) أخرج أبو داوود (١٣١٩) ، والإمام أحمد (٥/ ٣٨٨) عن سيدنا حذيفة رضي الله عنه قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم **إذا حزبه أمرٌ . . صلىٰ**) ، وأخرج أبو داوود (٢٩٨٦) عن عبد الله بن محمد ابن الحنفية قال : انطلقتُ أنا وأبي إلىٰ صهرٍ لنا من الأنصار نعوده ، فحضرتِ الصلاة ، فقال لبعض أهله : يا جارية ؛ ائتوني بوَضوءٍ ، **لعلي أصلي فأستريحَ** ، قال : فأنكرنا ذلك عليه !! فقال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **قم يا بلال فأرحنا بالصلاة** » ، قال الملا علي القاري رحمه الله تعالىٰ في « مرقاة المفاتيح » (٣/ ٢٩٥) : (كان اشتغاله بالصلاة راحة له ؛ فإنه كان يعدُّ غيرها من الأعمال الدنيوية تعباً ، **وكان يستريح بالصلاة** ؛ **لما فيها من المناجاة** ؛ ولذا قال : « وجُعلت قرَّة عيني في الصلاة ») .

ليتكَ لو أطعْتَ مولاكَ **كما يُطيعُكَ عبدُك**.. فإنَّك تحبُّهُ ناهضاً في خدمتِك دائماً ، وأنتَ تحبُّ الطَّاعةَ وتطلبُ أنْ تفرغَ منها مُسرعاً **كأنَّكَ تنقُرُ بالمناقير** ، فيا ليتَ بصراً نظرْتَ به محاسنَ غيرِهِ.. **عُوضْتَ عنه العمىٰ** !![1] .

كم حصلَ لكَ الهوانُ بالوقوفِ علىٰ أبوابِ المخلوقينَ !! **وكم أهانوكَ** وأنتَ لا ترجعُ إلىٰ مولاك !!

وعنِ الشَّيخِ مكينِ الدِّينِ الأسمرِ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (رأيتُ في المنامِ حوريةً وهيَ تقولُ : **أنا لكَ وأنتَ لي**) ، قالَ : (فبقيتُ نحوَ شهرينِ أو ثلاثةٍ لا أستطيعُ أسمعُ لمخلوقٍ كلاماً إلا تقيَّأتُ ؛ **لأجلِ طيبِ كلامِها**)[2] .

---

(١) **يستحب للإنسان** أن يطلق بصره بنية الاستبصار والعبرة في ملكوت السماوات والأرض ؛ ليتطرق من دهليز البصر الظاهر إلىٰ صدر السر الباطن : **معرفة الخالق الباريء المصور** ؛ فإن المكوَّنات بأسرها **إنما هي في أنفسها كلمات مرقومة** ، وأسطر منظومة ، **ترشد ناظرها وقارئها** إلىٰ توحيد مَن خلقها وقدَّرها ، وأنشأها وصوَّرها ، وابتدعها وفطرها ؛ فقد قيل : (من الطويل)

تـأمَّـلْ سطـورَ الكـائنـاتِ فـإنهـا ... إليكَ من الربِّ الجليلِ رسائلُ

والقراءة الظاهرة لا تتيسَّر لكل آدمي ، **فكم من جاهلٍ بها ينظر المصاحف** وحظُّه منها مشاهدة سواد علىٰ بياض !! وكذلك حكم الأحرف المرقومة علىٰ صفحات الكائنات لا تتيسَّر قراءتها ، ولا فهم إشارتها **إلا لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد** ، وإلىٰ هذا أشار سيدي عبد القادر بن حبيب الصفدي رحمه الله تعالىٰ بقوله : (من البسيط)

فافهم إشاراتِ تحقيقِ الخطاب علىٰ ... أيدي الوجودِ بتدقيقِ العباراتِ

فلا تشغلنَّك هذه المُبصَرات والمصوَّرات عن مصوِّرها سبحانه . انظر « عرائس الفكرِ وغرائس الفكر في أحكام النظر » (ص٤٥ـ ٤٦) للعلامة علي بن عطية الهيتي ، الملقب بعلوان الحموي رحمه الله تعالىٰ .

(٢) ذكر الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالىٰ في « التبصرة » (٢/ ٦٥٥) عن أحمد بن ←

كفاكَ منَ الإدبارِ أنْ تفتحَ عينيكَ في هذهِ الدارِ ؛ قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ (1) [طه: ١٣١] .

قدَّرَ لكَ الصِّحةَ والمرضَ ، والغِنىٰ والفقرَ ، والفرحَ والحُزنَ ؛ حتَّىٰ تعرِفَهُ بأوصافِهِ (2) .

أبي الحواري رحمه الله تعالىٰ قال : سمعت أبا سليمان يقول : (بينا أنا ساجدٌ ذهب بي النوم . . فإذا أنا بحوراء قد ركضتني برجلها ، وقالت : حبيبي ؛ أترقد والملك يقظان ينظر في المتهجدين في تهجدهم ؟! بؤساً لعينٍ آثرت لذة نومةٍ علىٰ لذة مناجاة العزيز ، قم فقد دنا الفراغ ، ولقي المحبُّون بعضهم بعضاً ، فما هذا الرقاد ؟! حبيبي وقرة عيني ؛ أترقد عيناك وأنا أُربَّىٰ لك في الخدور ؟! فوثبتُ فزعاً وقد عرقتُ استحياءً من توبيخها إياي ، وإن حلاوة منطقها لفي سمعي وقلبي !!) .

(١) لما أمر الله نبيه بالصبر وبالتسبيح . . جاء النهي عن مدِّ البصر إلىٰ ما متَّع به الكفرة ؛ فكأنَّ المعنىٰ : ولا تعجب يا محمد مما متَّعناهم به من مالٍ وبنين ، ومنازل ومراكب ، وملابس ومطاعم ؛ فإنما ذلك كله كالزهرة التي لا بقاء لها ولا دوام ، وإنها عما قليلٍ تفنىٰ وتزول .

والخطاب وإن كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم . . فالمراد منه : أمته ؛ فلقد كان صلى الله عليه وسلم أبعدَ شيءٍ عن النظر في زينة الدنيا ، أخرج الطبراني في « المعجم الكبير » (١/ ٣٣١) عن سيدنا أبي رافعٍ رضي الله عنه قال : أضاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيفاً ، فلم يلقَ عند النبي صلى الله عليه وسلم ما يصلحه ، فأرسل إلىٰ رجلٍ من اليهود : « يقول لك محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أسلفني دقيقاً إلىٰ هلال رجب » قال : لا ، إلا برهنٍ ، فأتيتُ النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فقال : « أما والله ؛ إني لأمينٌ في السماء أمينٌ في الأرض ، ولو أسلفني أو باعني . . لأدَّيتُ إليه » فلما خرجتُ من عنده . . نزلَتْ هذه الآية : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ [طه : ١٣١] يُعزِّيه عن الدنيا . وفي رواية : (فبعث إليه بالدرع) .

(٢) رحم الله عبداً عرف حدَّه فوقف عنده : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [فاطر : ١٥] ، أنت الضعيف وهو القوي ، أنت الفقير وهو

[مخاطر صحبة النفس]

مَنْ صحِبَكَ يوماً أو يومينِ ولم يَرَ منكَ نفعاً . . **تركَكَ وصحبَ غيرَك** ، وأنتَ تصحبُ نفسَكَ أربعينَ سنةً ولم تَرَ منها نفعاً ، فقُلْ لها : ارجعي يا نفسُ إلىٰ رضا ربِّك ؛ طالما وافَقْتُكِ في شهواتِكِ . . **فتبدَّلي بعدَ البطالةِ** بالاشتغالِ باللهِ ، وبعدَ الكلامِ **بالصَّمت** ، وبعدَ الوقوفِ بالأبواب[1] **الجلوسَ بالخلوة** ، وبعدَ الأُنسِ بالمخلوقينَ **الأنسَ بالخالق** ، وبعدَ قُرناءِ السوءِ **معاشرةَ أهلِ الخيرِ والصَّلاح**[2] .

→ **الغني** ، أنت الذليل **وهو العزيز** ، أنت العاجز **وهو القادر** ، أنت المذنب **وهو الغافر** ، أنت البخيل **وهو الكريم** ، أنت المجترىء **وهو الحليم** ، فقارن بين أوصافك وأوصافه ، ورحم الله من قال : (من الكامل)

أنا مذنبٌ أنا مخطىءٌ أنا عاصي ... هو غافرٌ هو راحمٌ هو عافي

قابلتهُنَّ ثلاثةً بثلاثةٍ ... ولَتغلبنْ أوصافه أوصافي

(١) في (ج) : (الوقوف بأبواب الحارات) ، وفي (ط) : (الوقوف بالحارات) .

(٢) لقد رضيتَ لنفسك الغَبينة ، وبعتَ الدار الشريفة بالدار المهينة ، وأعجبك مع عقلك ما يعجب الأطفال من الزينة !! أتراك ما علمت أن الدنيا صحبةُ سفينة ؟! إن ذُكر الصالحون . . **فلستَ فيهم** ، وإن عُدَّ الأبرار . . **فما أنت معهم** ، وإن قام العُبَّاد . . **لم تُرَ بينهم** .

ويحك ؛ أتطمع في الحصاد ولا بذر لك ، **أترجو الأرباح ولا تجارة معك** ؟! تبني بلا أساس **ولا يثبت البناء** ، وتحمل علىٰ عسكر الهوىٰ بلا عزم ، **فلا تصل إلىٰ مراد** .

ويحك ؛ دُم على الحِمْية . . **يزل أثر التخليط** ، ورحم الله من قال : (من البسيط)

فذكِّرِ النفسَ هولاً أنت راكبُهُ ... وكُربةً سوف تلقىٰ بعدها كُرَبا

لا تَحْقِرنَّ من الآثام محتقراً ... كل امرىً سوف يُجزىٰ بالذي اكتسبا

إذا أتيتَ المعاصي فاْخشَ غايتها ... من يزرعِ الشوك لا يحصد به عِنَبا

[دواءٌ نافع وعلاجٌ ناجع]

اجعلْ أحوالَكَ علىٰ ضدِّ ما كنْتَ عليهِ : اجعلْ بدلَ السَّهرِ في معصيةِ اللهِ **السَّهرَ في طاعةِ الله** ، وبعدَ الإقبالِ علىٰ أهلِ الدُّنيا **الإعراضَ عنهم** ، والإقبالَ على الله تعالى ، وبعدَ الإصغاءِ لكلامهِمُ **الإصغاءَ والاستماعَ لكلامِ اللهِ** ـ عزَّ وجلَّ ـ **وذِكْرِه** ، وبعدَ الأكلِ بالشَّرَهِ والشَّهوةِ **الأكلَ القليلَ** الَّذي يُعينُكَ على الطَّاعة ؛ قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾[1] [العنكبوت : ٦٩] .

إنَّما عصى اللهَ مَنْ لم يعرِفْ عقابَه ، **وإنَّما تركَ طاعتَهُ** مَنْ لم يعرِفْ ثوابَه ؛ فلوِ اطَّلعوا علىٰ عذابِ النارِ . . **لمَا غفَلُوا** ، ولوِ اطَّلعوا علىٰ ما أعدَّ اللهُ لأهلِ الجنةِ . . **لمَا تركوها طَرْفَةَ عينٍ**[2] .

---

(١) قال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى : (ليس الجهاد في الآية قتال الكفار فقط ، بل هو نصرُ الدِّين ، والردُّ على المبطلين ، وقمع الظالمين ، **وعُظْمه** : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومنه : مجاهدة النفوس في طاعة الله ؛ وهو الجهاد الأكبر) ، وقال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : (والذين جاهدوا في طاعتنا . . لنهدينَّهم سُبل ثوابنا) .
وقال الضحاك رحمه الله تعالى : (**مثل السُّنَّة في الدنيا** كمثل الجنة في العقبى ؛ من دخل الجنة في العقبىٰ . . سَلِمَ ، كذلك من لزم السنة في الدنيا . . سَلِم) انظر « تفسير القرطبي » (١٣/ ٣٦٤ـ٣٦٥) .

(٢) أخرج الحاكم (١/ ٤٩٥) ، وابن حبان (٨٥٦) واللفظ له عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ لله ملائكة فُضُلاً عن كُتَّاب الناس ، **يمشون في الطرق يلتمسون الذِّكر** ، فإذا رأوا أقواماً يذكرون الله تبارك وتعالىٰ . . **تنادَوا** : هلموا إلىٰ حاجاتكم ، فيحفُّون بأجنحتهم إلى السماء ، فيسألهم ربهم جل وعلا ـ وهو أعلم بهم ـ فيقول : **عبادي ما يقولون** ؟ فيقولون : يا رب ؛ يسبِّحونك ويحمدونك ، فيقول : **هل رأوني** ؟ فيقولون : لا . فيقول : **كيف لو رأوني** ؟ فيقولون : لو رأوك . . لكانوا أشدَّ تسبيحاً وتمجيداً وتكبيراً ←

إذا صحبْتَ أبناءَ الدُّنيا . . **جذَبوكَ إليها** ، وإذا صحبْتَ أبناءَ الآخرةِ . . **جذبوكَ إلى اللهِ تعالىٰ** ؛ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « المرءُ علىٰ دِينِ خليلِهِ ، **فلْينظُرْ أحدُكُم مَنْ يُخالِل** »[1] .

كما تختارُ لنفسِكَ المآكلَ الطَّيبةَ التي لا ضررَ فيها ، والزوجةَ الحسنةَ لتتزوَّجَها . . **فكذلِكَ لا تُوَادِدْ** إلا مَنْ يُعرِّفُكَ الطريقَ إلى اللهِ سبحانَهُ وتعالى .

❋ ❋ ❋

← وتحميداً ، فيقول : **ماذا يسألون ؟** فيقولون : يسألونك يا رب الجنة ، فيقول لهم : **هل رأوها ؟** فيقولون : لا . فيقول : **كيف لو رأوها ؟** فيقولون : لو قد رأوها . . **كانوا أشدَّ طلباً وأشد حرصاً** ، فيقول : **فمِمَّ يتعوَّذون ؟** فيقولون : يتعوَّذون بك من النار . فيقول : **فهل رأوها ؟** فيقولون : لا . فيقول : **كيف لو رأوها ؟** فيقولون : لو قد رأوها . . **كانوا أشدَّ تعوذاً** ، فيقول : **فإني أُشهدكم أني قد غفرتُ لهم** » .

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ١٧١) ، وأبو داوود (٤٨٣٣) ، والترمذي (٢٣٧٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

[الأخلاء ثلاثة]

واعلمْ أنَّ لكَ ثلاثةَ أخلاء :

أحدها : المال ؛ تفقِدُهُ عندَ الموت ، والثاني : العيال ؛ يتركونَكَ عندَ القبر ، والثالث : عملك ؛ لا يفارقُكَ أبداً .

فاصحبْ مَنْ يدخُلُ معكَ قبرَكَ وتأنسُ بهِ ؛ فالعاقلُ : مَنْ عقَلَ عنِ اللهِ تعالىٰ أوامِرَهُ ونواهيَه[1] .

[لا تكن جُعلياً فَرَاشياً]

مثالُكَ : كالجُعَلِ يعيشُ في الرَّوثِ والعَذِرةِ[2] ، وإذا قُرِّبَ إليهِ الوردُ . . ماتَ من رائحتِهِ ؛ فمِنَ الناسِ مَنْ هوَ جُعَليُّ الهِمَّةِ ، فَرَاشيُّ العقل[3] ؛ فإنَّ الفَرَاشَ لا يزالُ يرمي نفسَهُ في النارِ حتَّىٰ تُحرقَهُ . .

---

(١) أخرج القاضي عبد الجبار الخولاني بسنده في « تاريخ داريا » (ص ١٠٦) ، وذكره الإمام السيوطي في « شرح الصدور » (ص٢٤٢) وعزاه لابن أبي الدنيا في « القبور » عن عطاء بن يسار قال : (إذا وُضِع الميت في لحده . . فأول شيء يأتيه عمله ، فيضرب فَخِذه الشمال فيقول : أنا عملك ، فيقول : أين أهلي وولدي وعشيرتي وما خوَّلني الله تعالىٰ ؟ فيقول : تركتَ أهلك وولدك وعشيرتك وما خوَّلك الله وراء ظهرك ، فلم يدخل معك غيري . فيقول : يا ليتني آثرتُك علىٰ أهلي وولدي وعشيرتي وما خوَّلني الله تعالىٰ ؛ إذ لم يدخل معي غيرك !!) .

(٢) العذرة : ما يخرج من الإنسان من فضلات عند قضاء الحاجة ؛ وهو الغائط .

(٣) قال الفقيه الأديب القاضي عمر بن المظفر الشهير بابن الوردي رحمه الله تعالىٰ في « لاميته » الشهيرة : (من الرمل)

أيُّها العائبُ قولي عابثاً إنَّ طيبَ الوردِ مُؤذٍ بالجُعَلْ

والجعل : دويبةٌ من حشرات الأرض ، منتنة الريح ، تألَفُ العيش في الأماكن ←

فكذلِكَ أنتَ ترمي نفسَكَ في نارِ المعصيةِ عمداً ، فلو أردْتَ السيرَ إلى اللهِ تعالىٰ . . لشدَدْتَ المِحْزَمَ ، فأينَ الهِمَّة ؟ ![1] .

إنَّما تأكلُ لتعيشَ و[لا] تعيشُ لتأكلَ ؛ فإنْ فعلتَ ذلكَ . . فمثالُكَ على المداوِدِ كثير[2] ، ومثلُكَ في الدَّوابِّ كثير ؛ فإنَّ أسبقَ الخيلِ ما ضُمِّرَ .

تقولُ : هذه الليلةَ أُقَلِّلُ الأكلَ ، فإذا حضرَ الطعامُ . . فكأنَّهُ حبيبٌ مُفارق ، ومَنْ لم يُرِدِ اللهُ صلاحَهُ . . تَعِبَتْ فيهِ الأقاويلُ ؛ قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾[3] [المائدة : ٤١] .

← القذرة ، فأراد المؤلف أن يكون العبد كالنحلة تأكل طيباً ، وتؤتي طيباً ، وفيه شفاء للناس . وكان الشيخ محمد صالح الفرفور رحمه الله تعالىٰ ـ شيخ مشايخي وعلامة الشام ـ يضرب مثلاً رائعاً فيقول : (يا بني ؛ لا بدَّ لكل بيتٍ من سراجٍ وبالوعةٍ ، فكن سراجاً ولا تكن بالوعة) وهي نصيحة بليغة !!

(١) أخرج البخاري (٦٤٨٣) ، ومسلم (٢٢٨٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنما مَثَلي ومَثَل الناس كمثل رجلٍ استوقد ناراً ، فلما أضاءت ما حوله . . جعل الفَرَاش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعْنَ فيها ، فجعل الرجل يَزَعهُنَّ ويغلبْنَهُ ، فيقتحمْنَ فيها ، فأنا آخذُ بحُجَزكم عن النار وأنتم تقحمون فيها !! » لقد دلَّنا هذا الحديث علىٰ ما كان فيه صلى الله عليه وسلم من الرأفة والرحمة والحرص علىٰ نجاة الأمة ، وقوله : (عن النار) وضع المسبَّب موضع السبب ؛ لأن المراد : أنه يمنعهم من الوقوع في المعاصي التي تكون سبباً لولوج النار . انظر « فتح الباري » (١١/ ٣١٨) .

(٢) المداود : أماكن القَذَر واجتماع الدُّود ؛ كالمزابل وغيرها ، وما بين معقوفين ليس في النسخ ، وبه تتضح العبارة .

(٣) إن أعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن : فبها أُخرج سيدنا آدم وأمنا حواء عليهما السلام من دار القرار إلىٰ دار الذل والافتقار ؛ إذ نُهيا عن الشجرة فغلبَتْهما شهوتهما ، حتَّىٰ أكلا منها ، فبدت لهما سوءاتهما . قالت أم المؤمنين سيدتنا عائشة رضي الله عنها : (أول بدعةٍ حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشِّبع ؛ إن القوم لما شبعت بطونهم . . جمحَتْ بهم نفوسهم إلىٰ هذه الدنيا) وهذه ←

[لا تُهن نفسك]

ما أهربَكَ مِنَ الهوانِ ، وما أوقعَكَ فيه !! تُهينُ نفسَكَ وتُلقيها في مواطنِ الرَّدى .

قال بعضُهمْ : كُنْ معَ اللهِ كالطِّفلِ معَ أمِّه ؛ كلَّما دفعَتْهُ . . ترامىٰ عليها لا يعرِفُ غيرَهَا .

يا عبدَ الله ؛ تنتخِبُ لنفسِكَ الطَّيباتِ ، بل تنتخبُ لدابَّتِكَ العلفَ وتُعاملُ اللهَ بالمُجازفة !![1] .

← ليست فائدة واحدة ، بل هي خزائن الفوائد ؛ ولذلك قيل : الجوع خزانةٌ من خزائن الله تعالى ، وأول ما يندفع بالجوع : شهوة الفرج وشهوة الكلام ؛ فإن الجائع لا تتحرك عليه شهوة فضول الكلام ، فيتخلص به من آفات اللسان ؛ كالغيبة والفحش والكذب والنميمة وغيرها ، فيمنعه الجوع من كل ذلك ، وإذا شبع . . افتقر إلىٰ فاكهة ، فيتفكه لا محالة بأعراض الناس ، ولا يكب الناس علىٰ مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم ، وأما شهوة الفرج . . فلا تخفىٰ غائلتها ، والجوع يكفي شرَّها ، وإذا شبع الرجل . . لم يملك فرجه ، وإنما ذكرنا آفة اللسان والفرج مثالاً ، وإلا . . فجميع معاصي الأعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع !! انظر « إحياء علوم الدين » (٥/ ٣٠٧ـ٣٠٨) وما بعدها ؛ فقد أجاد وأفاد .

(١) المجازفة : البيع لشيءٍ مجهولِ القَدْر كيلاً ووزناً ، ويقال : جازف في كلامه : إذا أرسل الكلام إرسالاً من غير قانون ، والمجازفة : المخاطرة بالنَّفْس وإهلاكها ؛ فعامل اللهَ باليقين ولا تعامله بالظن ، قال سيدٌ لعبده المؤتمَن : ازرع أرض كذا قمحاً ، وكان السيد مقيماً على المعاصي ويحسِّن الظن بالله بزعمه كأكثر الناس ، فزرع العبد الأرض شعيراً ، ولما حان الحصاد . . ذهب السيد ليحضر حصاد أرضه ، فوجدها شعيراً ، فقال مغضباً : ألم أقل لك : ازرعها بُرّاً ؟! قال : يا سيدي ؛ زرعتها شعيراً ورجوتُ أن تخرج قمحاً . فقال : ويحك ؛ وهل يصير الشعير قمحاً ؟! فقال : يا سيدي ؛ فكيف تعمل المعاصي وتؤمِّل الجنة !! فتنبَّه السيد لخطئه وتاب ورجع ، ونحن والله سنحصد ما زرعنا ، فلنتنبه .

وربَّما قلَّبْتَ عشرينَ بِطِّيخةً حتَّىٰ تَصْلُحَ لكَ واحدةٌ لدهليزِ مرحاضك[1] ، وتقعد عند الأكل متربِّعاً ، وربما طوَّلتَ في الأكل ، وإذا جئتَ إلى الصَّلاةِ . . نقرْتَها نقرَ الدِّيك ، والوساوسُ والخواطرُ الرديئةُ تأتيكَ في صلاتِكَ ؟!

مثالُ مَنْ هذهِ حالتُهُ : كَمَنْ نَصَبَ نفسَهُ للهدفِ وقعد ، والرِّماحُ والسِّهامُ تقصِدُهُ من كلِّ جانب ؛ أفما هذا أحمق ؟!

ما مثالُكَ إذا سمعْتَ الحكمةَ ولم تعملْ بها إلا كمثلِ الَّذي يلبسُ الدِّرع ولا يُقاتل ، ألا فقد حصلَ النداءُ علىٰ سلعتِنا . . فهل من مُشترٍ ؟![2] .

* * *

(١) في (أ ، ب ، ط) : (لدهليز مرحاض) .

(٢) قال الإمام يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى : (الناس كثير ، والعلماء في الناس قليل ، والعلماء كثير ، والفقهاء في العلماء قليل ، والفقهاء كثير ، والحكماء في الفقهاء قليل ، وكلام العلماء يبكي العيون ، وكلام الحكماء يبكي القلوب) .

وقال بعضهم : (إذا ظهر حكيمٌ في محلةٍ . . تبيَّن فيها عشر علامات : قبحت الدنيا في أعينهم ، وحسنت الآخرة عندهم ، وسكن غليان قُدُورهم ، وارتفع غليان قلوبهم ، وذهب القال والقيل من بينهم ، وازدحم اناس في مساجدهم ، وتفرَّقوا من أسواقهم ، واسترفق فقراؤهم وسنانيرهم ـ أي : شبعوا ـ وكلابهم وحميرهم ، وطُرد عنهم الشيطان ، ورضي عنهم الرحمن) انظر « علم القلوب » المنسوب للإمام أبي طالب المكي رحمه الله تعالىٰ (ص ٣٥) .

[مقامك في ما أقامك]

قيمتُكَ قيمةُ ما أنتَ مشغولٌ به ؛ فإنِ اشتغلْتَ بالدُّنيا . . **فلا قيمةَ لكَ** ؛ فإنَّ الدُّنيا كالجيفةِ لا قيمةَ لها[1] .

أفضلُ ما يَطلبُ العبدُ مِنَ اللهِ : أنْ يكونَ مُستقيماً معه ؛ قالَ اللهُ تعالى : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة : ٦] فاطلُبْ منهُ الهدايةَ والاستقامة ؛ **وهو أن تكونَ معَ اللهِ تعالىٰ في كلِّ حالٍ بالَّذي يرضاهُ لك** : وهوَ ما جاءَ بِهِ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنِ اللهِ سبحانَهُ وتعالى .

مَنْ بذَلَ لله صِرْفَ الوُدِّ . . **سقاهُ اللهُ صِرْفَ الكَرَم**[2] .

[مثال السَّالك والمجذوب]

مثالُ السَّالكِ : كَمَنْ يحفِرُ عنِ الماءِ قليلاً قليلاً ؛ حتَّىٰ يجِدَ الماءَ بعدَ

---

(١) قال المؤلف رحمه الله تعالىٰ في « حكمه » (ص٣٢) : (**إذا أردت أن تعرف قَدْرك عنده** . . فانظر في ماذا يُقِيمُك) قال الشارح الشرنوبي رحمه الله تعالىٰ (ص٧٠) : (هذه الحكمة تشير إلىٰ قوله صلى الله عليه وسلم : « من أراد أن يعلم منزلته عند الله . . **فلينظر منزلة الله تعالىٰ في قلبه** » ومما يدور علىٰ ألسنة الناس : إذا أردت أن تعرف مقامك . . **فانظر في أي شيءٍ أقامك**) .

(٢) قال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى : (**مثقال خردلةٍ من الحُبِّ** . . أحبُّ إليَّ من عبادة سبعين سنة) .

وقال بعضهم : (**المحبة** : سُكْرٌ لا يصحو صاحبه **إلا بمشاهدة محبوبه** ، ثم السكر الذي يحصل عند الشهود لا يوصف) وأنشدوا : (من مخلع البسيط)

فأسكرَ القومَ دَورُ كأسٍ ... وكانَ سُكري منَ المديرِ

وقيل : أوحى الله تعالىٰ إلىٰ سيدنا عيسىٰ عليه الصلاة والسلام : (إني إذا اطلعتُ علىٰ قلب عبدٍ فلم أجد فيه حب الدنيا . . **ملأته من حبي**) انظر « الرسالة القشيرية » (ص٥٢٧) .

الطلب[1] ، **ومثالُ المجذوبِ** : كمَنْ أرادَ الماءَ فأمطرَتْ لهُ سحابةٌ ، فأخذَ منها ما يحتاجُ إليهِ مِنْ غيرِ تعبٍ[2] .

إذا أعطيتَ نفسَكَ كلَّ ما تشتهي وتطلبُ مِنَ الشَّهواتِ . . **كُنْتَ كمَنْ في بيتِهِ حيَّةٌ** ، يُسَمِّنُها كلَّ يومٍ حتَّىٰ تقتلَهُ .

لو جعلَ اللهُ فيكَ الرُّوحَ مِنْ غيرِ نَفْسٍ . . **لأطعتَ وما عصيتَ** ، ولو جعلَ فيكَ النَّفْسَ من غيرِ روحٍ . . **لعصَيتَ وما أطعْتَ** ؛ فلذلكَ تتلوَّنُ[3] .

---

(١) في (ج ، ط) : (على الماء قليلاً قليلاً حتَّىٰ يجد التعب ؛ فينبع له الماء بعد الطلب) .

(٢) **السالك** : من مشىٰ على المقامات بحاله ، لا بعلمه وتصوره ، فكان العلم الحاصل له عياناً ، يأمن من ورود الشُّبَه المضلة عليه ، **والمجذوب** : من جذبه الحق إلىٰ حضرته ، وأولاه من المواهب بلا كلفة ولا مجاهدة ، ولا تحصل المعرفة غالباً إلا بالمجاهدة ؛ وهي تزكية النفس عن ظلمة أخلاقها ، **وتخليتها** عن أوصاف الرذائل ، **وتحليتها** بأنوار الفضائل ؛ كالتوبة والتقوى ، والزهد والاستقامة ، وسائر الأخلاق الحميدة ، **والارتقاء** من حالٍ إلىٰ حالٍ ، **والتصاعد** من مقامٍ إلىٰ آخر ؛ حتَّىٰ تنجلي شمس صفات الجلال ، وتظهر طوالع أنوار الجمال ، ويستولي سلطان الحقيقة علىٰ ممالك الخليقة ، ويطوي بأيدي سطوات الجود سرادقات الوجود ، فما بقي لا أرض ولا سماء ، ولا ظلمة ولا ضياء ، وتلاشى العبد في كعبة العِنْدية ، **ونودي بفناء الفناء من عالم البقاء** : رفعت القبلة وما بقي إلا الله ، فأينما تولوا . . **فثم وجه الله** ، وهذا حال السالك المجذوب أو المجذوب السالك . انظر « مرقاة المفاتيح » (١/ ٤٠٣) بتصرف ، وقوله : (من غير تعب) زيادة من (ج) .

(٣) **ثبت في العلوم العقلية** : أن في الإنسان **قوىً أربعة** : قوة شهوانية بهيمية ، وقوة غضبية ، وقوة وهمية شيطانية ، وقوة عقلية ملكية ، **والمقصود من جميع العبادات** : قهر القوى الثلاثة ؛ أعني الشهوانية والغضبية والوهمية ، فإن عَلَتِ القوة الملكية . . **سما العبد بنفسه إلى الملائكية** ، وإن طغت الشهوانية . . **نزل إلى الحيوانية** .

ولكنْ جعلَ فيكَ القلبَ والروحَ ، والنَّفْسَ والهوى : كالنحلةِ جعلَ فيها اللَّسعةَ والعسلَ ؛ فالعسلُ ببرِّهِ ، واللَّسعُ بقهرِهِ ، فأرادَ اللهُ أنْ يكسِرَ دعوىٰ النَّفْسِ بوجودِ القلب ، ودعوىٰ القلبِ بوجودِ النَّفْسِ[1] .

[طلب منك العبودية الخالصة]

يا عبدَ الله ؛ طلَبَ منكَ أنْ تكونَ لهُ عبداً ، فأبيتَ أنْ تكونَ إلا ضِدّاً ، إقبالُكَ علىٰ غيرِ اللهِ إفرادٌ لَهُ بالعبادةِ . . فكيفَ يرضىٰ لكَ أنْ تعبُدَ غيرَهُ؟ ![2] .

فلو أتيتَنَا تطلبُ العطاءَ منَّا . . ما أنصفْتَنَا ؛ فكيفَ إذا أقبلْتَ علىٰ مَنْ سِوانا ؟ ![3] .

---

(١) لا يزال القلب مجاهداً للنفس ؛ فإما أن تغلبه أو أن يقهرها ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى في « طب القلوب » (ص٨٠) : (الناس على قسمين : قسم ظفرت به نفسه ، فملكته وأهلكته ، وصار طوعاً لها تحت أوامرها ، وقسم ظفروا بنفوسهم فقهروها ، فصارت طوعاً لهم ، منفذة لأوامرهم ، قال بعض العارفين : انتهى سفر الطالبين إلى الظفر بأنفسهم ، فمن ظفر بنفسه . . أفلح ونجح ، ومن ظفرت به نفسه . . خسر وهلك) ، وقال بعضهم : (من البسيط)

يا خادم الجسم كم تشقىٰ بخدمتِهِ … فأنت بالروحِ لا بالجسمِ إنسانُ

(٢) قال أهل الإشارة : إن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما ذكر محبة الله تعالى ، ونظر إلىٰ ولدٍ بعين المحبة . . لم يرضَ حبيبه بمحبةٍ مشتركة ، فقيل له : اذبح ولدك !! فلما أسلم . . قيل له : ليس المراد ذبح الولد ؛ إنما المراد : أن تردَّ قلبك إلينا ، فلما رددته إلينا . . رددنا عليك ولدك . انظر « نزهة المجالس ومنتخب النفائس » (١/ ٧٣) .

(٣) دخل هشام بن عبد الملك الكعبة فإذا هو بسالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم ، فقال له : (سَلْني حاجتك ، فقال : إني أستحيي من الله أن أسأل من بيته غيره ، فلما خرجا . . قال : الآن قد خرجت منها فاسأل ، فقال : والله ؛ ما سألتُ الدنيا ممن يملكها . . فكيف أسأل فيها من لا يملكها !!) انظر « الوافي بالوفيات » (١٥/ ٨٥) .

وقفتِ الدُّنيا في طريقِ الآخرةِ **فصرفَتِ الوصولَ إليها** ، ووقفتِ الآخرةُ في طريقِ الحقِّ **فمنعَتِ الوصولَ إليه**[1] .

إنَّ مِنْ لُطْفِ اللهِ بكَ : أنْ يكشِفَ لكَ عنْ عُيوبِ نفسِك ويَستُرَها عَنِ الناسِ .

[إذا][2] أُعطِيتَ الدُّنيا ومُنِعْتَ الشُّكرَ فيها . . **فهي محنةٌ في حقِّك** ؛ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « **قليلُ الدُّنيا** يُلهي عنْ طريقِ الآخرةِ »[3] .

---

(١) **طلبك الدنيا** ينسيك الآخرة ، **وطلبك الآخرة** ينسيك الحق سبحانه ، قال الإمام أحمد الجريري رحمه الله تعالىٰ كما في « الرسالة القشيرية » (ص٣٤٥) : (**عَبيد النِّعم** كثيرٌ عديدهم ، **وعبيدُ المنعم** عزيزٌ وجودهم) . ونقل الإمام اليافعي رحمه الله تعالىٰ في « الإرشاد والتطريز » (ص١٠٢) عن بعض الصالحين قوله : (**عُرضت عليَّ الدنيا** بشهواتها وزينتها وزخارفها ، فأعرضتُ عنها ، **ثم عُرضت عليَّ الأخرىٰ** بحُورها وقصورها وزينتها ، فأعرضت عنها ، فقيل لي : لو أقبلتَ على الأولىٰ . . **حجبناك عن الأُخرىٰ** ، ولو أقبلتَ على الأخرىٰ . . **حجبناك عنَّا** ؛ فها نحن لك ، **وقسمتك من الدارينِ تأتيك**) .

(٢) ما بين معقوفين زيادة من (ط) .

(٣) نقله الثعالبي في تفسيره « الكشف والبيان » (٣/ ٣٥٣) ونسبه لابن عطاء الله ، ولم أجده بلفظه فيما بين يديَّ من مصادر ، ويدل له ما أخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (٨٧٧) عن قتادة قال في قوله تعالى : ﴿ أَشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْأَخِرَةِ ﴾ [البقرة : ٨٦] ، قال : (**استحبُّوا قليل الدنيا** علىٰ كثير الآخرة) ، وأخرج أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٢٣٢) عن أبي حازم قال : (**إن قليل الدنيا** يشغل عن كثير الآخرة ، وإن كثيرها ينسيك قليلها ، وإن كنت تطلب من الدنيا ما يكفيك . . **فأدنىٰ ما فيها يحزنك** ـ كذا هي ، ولعله : « يكفيك » ـ وإن كان لا يغنيك ما يكفيك . . **فليس فيها شيءٌ يغنيك**) . وأخرج البيهقي في « الزهد الكبير » (١٠٣) عن سيدنا عمر رضي الله عنه قال : (من استغنىٰ بالله . . **اكتفىٰ** ، ومن انقطع إلىٰ غير الله . . **يعمىٰ** ، ومن كان من قليل الدنيا لا يشبع . . **لم ينفعه كثير ما يجمع** ، فاكتفِ منه ←

كانَ لبعضِهِمْ زوجةٌ فقالَتْ لهُ يوماً : لا أقدِرُ علىٰ أنْ تغيبَ عنِّي ، ولا أنْ تشتغِلَ بغيري . فنُودِيَ : إذا كانَتْ هذهِ لا خالقةً ولا مُوجِدةً ؛ وهيَ تحبُّ أنْ تجمعَ قلبَكَ عليها . . **فكيفَ لا أُحبُّ أنا أنْ تجمعَ قلبَكَ عليَّ ؟!**[1] .

كُنْتُ مرَّةً عندَ الشَّيخِ أبي العبَّاسِ المرسيِّ رضيَ اللهُ عنهُ فقُلْتُ : في نفسِي أشياء . فقالَ الشَّيخُ : (إنْ كانتِ النَّفْسُ لكَ . . **فاصنَعْ بها ما شِئْتَ** ولم تستطِعْ ذلكَ)[2] .

ثمَّ قالَ : (النَّفْسُ كالمرأةِ كلَّما أكثرْتَ خصامَهَا . . **أكثرَتْ خِصامَكَ** ، فسلِّمْها إلىٰ ربِّها يفعلُ بها ما يشاءُ ؛ **فرُبَّما تعِبْتَ في تربيتِها** ، فلا تنقادُ لكَ)[3] .

بالكفاف ، **وألزم نفسك بالعفاف** ، ودَعِ الغلول ؛ **فإن حسابها غداً يطول**) .

(١) جاءت امرأةٌ إلى الجُنيد فقالت : (زوجي يريد أن يتزوَّج عليَّ ؟ قال : إن لم يكن له أربعٌ . . جاز !! قالت : لو جاز النظر إلى الأجانب . . **لكشفتُ لك عن وجهي** ؛ حتَّىٰ تنظر إليَّ فتعرف أن مَن له مثلي . . **لا ينبغي له أن يتزوج غيري !!**) فوقع الجنيد مغشياً عليه ، فلما أفاق . . سُئل عن ذلك ، فقال : (**كأنَّ الحق سبحانه يقول** : لو جاز لأحدٍ النظر إليَّ في الدنيا . . **لكشفتُ له الحجاب** عن وجهي حتَّىٰ ينظرني ؛ فيعرف أن مَن له مثلي . . **لا ينبغي أن يكون في قلبه سواي**) انظر « نزهة المجالس » (١/٧٣) .

(٢) في (ط) : (ولن تستطيع ذلك) ، والعبارة سقطت من (ج) ، والمثبت من الباقي .

(٣) قال العلامة البوزيدي رحمه الله تعالى في « الآداب المرضية » (ص١٤٨) : (**واعلم** : أن الشيء الذي يصعب على النفس **هو النفس** ، فاخرج عنها ، ولا تجنح إلى الخفيف وتترك الثقيل ، وذلك كله من عدم صدقك في عبوديتك لربك ، **والنفس متلوِّنة** ، وتلوُّنها بحسب حبها للشهوات ، **ورأسُ ذلك كله** : هو حبُّ الدنيا ، **ورأس الشهوات والعوائد** : حبُّ المال والجاه ، فمَن خرج عنها . .

فالمسلمُ : مَنْ أسلمَ نفسَهُ إلى اللهِ ؛ **بدليلِ قولِهِ تعالىٰ** : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾[1] [التوبة : ١١١] .

إذا أحبَّكَ مولاكَ . . **أعرَضَ عنكَ أصحابُكَ** ؛ حتَّىٰ لا تشتغِلَ بهم عنْهُ ، وقطعَ علائِقَكَ مِنَ المخلوقينَ ؛ حتَّىٰ ترجعَ إليه .

* * *

خرج عن كثيرٍ من الأوصاف الذميمة ، والمبتلى بحبِّ المال والجاه لا تجده إلا كثير الغضب ، وصاحب الغضب فاسد القلب والجوارح لا محالة ، ومن تطهَّر من هذا الوصف الذميم . . تطهَّر من كثيرٍ من العلل ، وهو أساس الأعمال الصالحة) .

(١) ذكر الحافظ المزِّي رحمه الله تعالىٰ في « تهذيب الكمال » (٨/ ١٠١ـ ١٠٢) عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالىٰ قال : (كان خالدٌ الطحان ثقةً صالحاً في دِينه ؛ بلغني : أنه اشترىٰ نفسه من الله ثلاث مراتٍ . . . وقال الطبراني : سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول : قال أبي : كان خالد بن عبد الله الواسطي من أفاضل المسلمين ؛ اشترىٰ نفسه من الله أربع مرات ، فتصدَّق بوزن نفسه فضة أربع مرات) ، وأورد السيوطي في « الدر المنثور » (٨/ ٦٧٧) وعزاه لإبراهيم بن محمد الخيارجي في « فوائده » عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ (قل هو الله أحد) ألف مرة . . فقد اشترىٰ نفسه من الله » .

[التدرُّج في علاج النفس]

كمْ تطلُبُ نفسَكَ إلى الطَّاعةِ وهي تتقاعدُ ؟! إنَّما تحتاجُ إلىٰ معالجةِ نفسِكَ في الابتداءِ ، فإذا ذاقَتِ المِنَّةَ . . جاءَتِ اختياراً ؛ فالحلاوةُ التي كانَتْ تجدُهَا في المعصيةِ ترجِعُ تجدُهَا في الطَّاعةِ[1] .

مثالُ الإيمانِ في القلبِ : كالشَّجرةِ الخضراءِ ، فإذا كثرتْ عليها المعاصي . . يَبِسَتْ وفرَغَ مددُهَا ؛ فمَنْ أحبَّ القيامَ بالواجباتِ . . فليترُكِ المحرَّماتِ ، ومَنْ تركَ المكروهاتِ . . أُعِينَ علىٰ تحصيلِ الخيرات[2] .

ومَنْ تركَ المباحاتِ . . وَسَّعَ عليهِ توسعةً لا يَسَعُها عقلُهُ ، وأباحَ لهُ

---

(١) قال ابن السماك رحمه الله تعالىٰ في وعظه : (من أعرض عن الله بكلِّيته . . أعرض الله عنه جملةً ، ومن أقبل على الله بقلبه . . أقبل الله برحمته عليه ، وأقبل بجميع وجوه الخلق إليه ، ومن كان مرَّةً ومرَّةً . . فالله يرحمه وقتاً ووقتاً) انظر « الإرشاد والتطريز » (ص٢١٦) للإمام اليافعي رحمه الله تعالى .

(٢) ضرب العلماء مثل الإيمان بمثل شجرة لها أصل وفروع وشُعَب ، فاسم الشجرة يشمل ذلك كله ، ولو زال شيء من شعبها وفروعها . . لم يزل عنها اسم الشجرة ، وإنما يقال : شجرة ناقصة ، أو غيرها أتم منها .
وقد ضرب الله مَثَل الإيمان بذلك في قوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ * تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [إبراهيم : ٢٤ـ ٢٥] ، والمراد بالكلمة : كلمة التوحيد ، وبأصلها : التوحيد الثابت في القلوب ، وأكلها : هو الأعمال الصالحة الناشئة منه .
وضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن والمسلم بالنخلة ، ولو زال شيء من فروعها . . لم يزل بذلك اسم النخلة بالكلية وإن كانت ناقصة الفروع أو الثمر .
انظر « جامع العلوم والحكم » (١/ ١٥١) .

حضرتَهُ[1] ، ومَنْ تركَ استماعَ ما حَرَّمَ عليهِ . . **أسمَعَهُ كلامَهُ**[2] .

ولكنْ ما أهونَ القُربةَ التي فيها هوىٰ نفسِكَ عليكَ !! وما أثقلَ ما ليسَ فيهِ هوىً !! **مثالُهُ** : أنْ تحجَّ تنفُّلاً ؛ فإنْ قيلَ لكَ : تصدَّقْ بذلكَ . . شَقَّ عليكَ ؛ **لأنَّ أمرَ الحجِّ يُرَىٰ** ، فلِلنَّفْسِ فيهِ حظٌّ ، **والصَّدقةُ تُطوَىٰ وتُنسَىٰ** .

وكذلكَ درسُكَ العلمَ لغيرِ اللهِ . . **فإنَّكَ تدرسُ اللَّيلَ كلَّهُ ونفسُكَ طيِّبةٌ بذلكَ** ، فإذا قيلَ لكَ : صَلِّ باللَّيلِ ركعتينِ . . **شَقَّ ذلكَ عليكَ** ؛ لأنَّ الركعتينِ بينَكَ وبينَ اللهِ تعالى ، ليسَ فيهما للنَّفْسِ حظٌّ ، والقراءةُ والدرسُ للنفسِ فيهما حظُّ مشاركةٍ للناسِ ؛ **فلأجلِ ذلكَ خفَّ عليها**[3] .

---

(١) قال الأستاذ أبو علي الدقاق رحمه الله تعالى ؛ كما في « الرسالة القشيرية » (ص١٨٨) : (من زيَّن ظاهره بالمجاهدة . . **حسَّن الله سرائره بالمشاهدة** ، قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت : ٦٩] ، **واعلم** : أن من لم يكن في بدايته صاحب مجاهدة . . **لم يجد من هذه الطريقة شمَّة !!**) ، وقال أيضاً : (من لم يكن في بدايته قومةٌ . . **لم يكن له في نهايته جلسة**) .

(٢) ورد : أن سيدنا موسىٰ عليه وعلىٰ نبينا الصلاة والسلام لما سمع كلام الآدميين بعد سماعه كلام رب العالمين . . مقتهم ؛ لِمَا وقر في أذنيه من سماع كلام الله سبحانه وتعالى ، وفي (ط) : (استماع ما حرم عليه كلامه) ، وفي هامشها : (قوله : « **ما حرم عليه كلامه** » هو كذلك في النسخة التي بأيدينا ، ولعل فيها سقطاً والأصل : « أذاقه لذة كلامه » مثلاً . **اهـ مصححه**) .

(٣) ذكر العلامة الشيخ أبو اليسر عابدين رحمه الله تعالىٰ في كتابه « وأنيبوا إلىٰ ربكم » (ص ١٤٤) : (حُكي عن بعض الصالحين أنه قال : **كنت ليلةً في وقت السَّحَر** ، في غرفةٍ لي على الطريق أقرأ سورة « طه » ، فلما ختمتها . . **غفوتُ غفوةً** فرأيت شخصاً نزل من السماء بيده صحيفةٌ ، فنشرها بين يديَّ ، **فإذا فيها سورة « طه »** ، وإذا تحت كل كلمةٍ عشر حسنات مثبتة إلا كلمة واحدة ، **فإنني رأيت مكانها محواً** ، ولم أرَ تحتها شيئاً !! فقلت : **والله ؛ لقد قرأت هذه الكلمة** ، ولا أرىٰ ثواباً ، ولا أراها أُثبتت !! فقال الشخص : صدقتَ ، **قد قرأتَها وكتبناها** إلا أنَّا قد سمعنا منادياً ينادي من قِبَلِ العرش : **امحوها وأسقطوا ثوابها** ، فمحوناها . ←

[**هذا نعلُها فكيف وجهها ؟**]

قال بعضُهم : **تاقَتْ نفسي إلىٰ الزَّواج** ، فرأيتُ المحرابَ قدِ انشقَّ وخرجَ منهُ نعلٌ مِنْ ذهبٍ ، مكلَّلٌ باللؤلؤِ ، فقيلَ لي : **هذا نعلُها فكيفَ وجهُهَا** ؟! فانقطعَتْ شهوةُ النكاحِ من قلبي[١] .

مَنْ هُيِّئَتْ لهُ المنازلُ . . **لم يُرْضَ لهُ بالقعودِ على المزابل** ، فاعمَلِ الأعمالَ الصَّالحةَ بينَكَ وبينَ الله سِرّاً ، ولا تُطْلِعْ عليها أهلَكَ ، واجعلْهُ مُدَّخراً عندَهُ . . **تجِدْهُ يومَ القيامةِ** ؛ فإنَّ النَّفْسَ لها تمتُّعٌ بذكرِ العمل : صامَ بعضُهم أربعينَ سنةً ولم يَعلمْ بهِ أهلُهُ[٢] .

→ قال : فبكيتُ في منامي ، وقلتُ : **لِمَ فعلتُم ذلك** ؟ فقال : **مرَّ رجلٌ فرفعتَ بها صوتك لأجله** ، فذهب ثوابها) .

(١) الناس في النكاح علىٰ أربعة أقسام فصَّلها الإمام النووي في « شرح مسلم » وهو أحد أعلام الإسلام ، وقد قرَّر أحكام النكاح ومنافعه ، وما يستحبُّ في اختيار الزوجة ، **ومع ذلك عاش عزباً** ، يقول الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالىٰ في كتابه النفيس « العلماء العزَّاب » (ص١٩) مبيناً الجواب عمَّن ترك النكاح : (**والجواب عن حالهم** ـ والله أعلم ـ : أنها مسلكٌ شخصيٌّ فردي ، اختاروه لأنفسهم ، مايزوا فيه ببصيرتهم الخاصة بين خير الزواج وخير العلم الذي يقومون به ، **فرجح لديهم خيرُ العلم** علىٰ خير الزواج ، **فقدَّموا مطلوباً علىٰ مطلوب** ، ولم يَدْعُوا أحداً من الناس إلى الاقتداء بهم في هذا المسلك ، ولا قالوا للناس : التبتُّل للعلم خيرٌ من الزواج ، ولا : ما نحن عليه أفضل مما أنتم عليه . . .) إلىٰ آخره ؛ وهو كلام نفيس ، والمؤلِّف فريدٌ في بابه ، نافعٌ لطلابه ، **وسرُّ ذلك** : إخلاص مؤلفه رحمه الله تعالى .

(٢) ذكر ذلك ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالىٰ في « لطائف المعارف » (ص٢٥٢) ، وزاد : (كان له دكان ، فكان كل يوم يأخذ من بيته رغيفين ويخرج إلىٰ دكانه ، **فيتصدق بهما في طريقه** ، فيظن أهله **أنه يأكلهما في السوق** ، ويظن أهل السوق **أنه أكل في بيته قبل أن يجيء** ، وذكر أنه لما كان الصيام سراً بين ←

[الأنفاس جواهر]

لا تُنفِقْ أنفاسَكَ في غيرِ طاعةِ الله ، ولا تنظُرْ إلىٰ صغيرِ النَّفَسِ ، بلِ انظُرْ إلىٰ مِقدارِهِ ، وإلىٰ ما يُعطي اللهُ فيهِ للعبد ؛ فالأنفاسُ جواهرُ ، وهلْ رأيتَ أحداً يَرمي جوهرةً علىٰ مزبلةٍ ؟ ![1] .

أفتُصلِحُ ظاهرَكَ وتُفْسدُ باطنَكَ ؟! فمثالُكَ : كالمجذومِ لبِسَ ثياباً

← العبد وبين ربه . . اجتهد المخلصون في إخفائه بكل طريق ؛ حتىٰ لا يطلع عليه أحد ، قال بعض الصالحين : بلغنا عن عيسى ابن مريم عليه السلام أنه قال : « إذا كان يوم صوم أحدكم . . فليدهن لحيته ، ويمسح شفتيه من دهنه ؛ حتىٰ ينظر إليه الناظر فيظن أنه ليس بصائم » ، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « إذا أصبح أحدكم صائماً . . فليترجل ـ يعني : يسرح شعره ـ ويدهنه ، وإذا تصدَّق بصدقةٍ عن يمينه . . فليخفها عن شماله ، وإذا صلىٰ تطوعاً . . فليصلِّ داخل بيته ») .

(١) قال الإمام اليافعي رحمه الله تعالىٰ في « الإرشاد والتطريز » (ص٥٠ـ ٥١) : (أما بعد : فإن المتقين الموفَّقين الأكياس ، علموا أن أنفاسَهم أنفَسُ من الجواهر النِّفاس ، فلم يضيعوها في البطالة ، ولم يبيعوها بالفلوس : [من الطويل]

أرىٰ كلَّ مَن ألهاك عن كسبِ طاعةٍ ... عدواً وإن كان الصديقَ المصافيا
كما أنَّ أنفاس الحياةِ جواهرٌ ... نِفاسٌ وقد أضحىٰ لها عنك نافيا
بها غُرَفٌ في جنةٍ هان فوتُها ... عليك وفيها العيش يُهْنيك صافيا
ولو جيفةُ الدنيا تفوتُ لسارعَتْ ... يداك إلىٰ تُربٍ على الرأس سافيا
ستدري علىٰ أيِّ تُقاسي تحسُّراً ... ويبدو غداً ما كان في اليوم خافيا

باع أولو الرشد أنفاسهم النفيسة بالباقي الخطير النفيس ، ولم يبيعوها بالفاني الحقير الخسيس ، خلافاً لنا أيها الحمقاء السفهاء النحوس : [من الطويل]

بدُنيا نَبيعُ الدِّينَ فالدِّينُ ذاهبٌ ... كما بِيعَ منزوعٌ ودنيا ستُنْزَعُ
كما قالَ رأسُ الزاهدينَ ابنُ أدهمٍ ... عليُّ المقام العارفُ المتورِّعُ :
(نُرقِّعُ دُنيانا بتمزيقِ دِينِنا ... فلا دينُنا يبقىٰ ولا ما نُرَقِّعُ)

جديدةً ، ويخرجُ منهُ في الباطنِ القيحُ والصَّديدُ ، فأنتَ تُصلحُ ما ينظرُ إليهِ الناسُ ، **ولا تُصلحُ قلبَكَ الَّذي هو لربِّكَ !!**[1] .

الحكمةُ كالقيد ؛ إنْ قيَّدْتَ بها نفسَكَ . . **امتنعَتْ** ، وإنْ رميتَها . . **تسيَّبَتْ** ، ويُخافُ عليكَ ؛ **مثالُ ذلكَ** : كالمجنونِ في بيتِكَ يُخربُهُ ويُقطِّعُ الثيابَ ، فإذا قيَّدْتَهُ . . **استرحْتَ** ، وإذا طرحْتَ القيدَ وخرجْتَ . . **فالضَّررُ باقٍ**[2] .

[البياض لا يحمل الدنس]

يا أيُّها الشَّيخُ ؛ قد أفنيتَ عمرَكَ ، **فاستدرِكْ ما فاتَكَ** ؛ قد لبِسْتَ البياضَ ـ وهو الشَّيبُ ـ **والبياضُ لا يحمِلُ الدَّنَسَ**[3] .

---

(١) اعلم : أن القلب موضع نظر الرب ، **فيا عجباً ممن يهتمُّ بوجهه الذي هو محل نظر الخلق** ، فيغسله وينظفه من القَذَر والدَّنس ، ويُزيِّنه بما أمكن ؛ لكي لا يطَّلع فيه مخلوقٌ علىٰ عيب ، **ولا يهتم بقلبه الذي هو محلُّ نظر الخالق** ، فيطهِّره ويزيّنه لئلا يطلع ربه علىٰ دنس أو غيره فيه ؛ **فإزالة النجاسة المعنوية المتعلقة بالباطن** ؛ كالحسَد أو العُجْب أو الكِبْر أو نحو ذلك من المعاصي الباطنة . . **أَولىٰ** ؛ **لأن المولىٰ سبحانه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور** ، وقد ورد : أن عامة عذاب القبر من البول ؛ **مع أنه معدودٌ من النجاسة الظاهرة** ، وأيضاً : فكما لا تصح صلاة أحدنا وفي ظاهر جسده لمعة لم يصبها الماء ، أو نجاسة لا يُعفىٰ عنها . . **فكذلك القول في نجاسة الأخلاق الردية** ، نسأل الله السلامة .

(٢) أخرج أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩/ ٣٧٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٧/ ٤١٥) عن ذي النون المصري رحمه الله تعالىٰ أنه قال : (ما أعزَّ الله عبداً بعزٍّ أعزُّ له **من أن يدلَّه علىٰ ذلِّ نفسه** ، وما أذلَّ الله عبداً بذلٍّ هو أذلُّ له **من أن يحجبه عن ذلِّ نفسه**) .

(٣) قال بعض الصالحين : (**أعجبُ شيءٍ يوم القيامة** : أن ترىٰ ذا شيبةٍ بيضاء ، بيده صحيفة سوداء) ، وأنشدوا : (من مخلع البسيط)

شيـــخٌ كبيـــرٌ لـــه ذنـــوبٌ تعجـزُ عـن حملهـا المطـايـا ←

مثالُ القلبِ : كالمِرْآةِ ، **ومثالُ النَّفْسِ** : كالنَّفَسِ ؛ كلَّما تنفَّسْتَ النَّفَسَ على المرآةِ . . **سوَّدْتَها** .

قلبُ الفاجرِ كمرآةِ العجوزِ التي ضعُفَتْ هِمَّتُها أنْ تجلوَهَا وتنظُرَ فيها ، **وقلبُ العارفِ** كمرآةِ العروسِ ، كلَّ يومٍ تنظرُ فيها ، فلا تزالُ مصقولةً[1] .

هِمَّةُ الزَّاهدينَ في كثرةِ الأعمال ، **وهمَّةُ العارفينَ** في تصحيحِ الأحوال[2] .

→ قــد بيضَــتْ شعــرَهُ الليــالــي وســودَتْ قلبَــهُ الخطــايــا

وَيْلي ؛ كلما كبِرَتْ سني . . كثرت ذنوبي ، **ويلي** ؛ كلما طال عمري . . كثرت معاصيَّ ، فمن كم أتوب ، وفي كم أعود ، **أما آن أن أستحيي من ربي** ؟!

(١) أخرج ابن أبي شيبة (٣٠٩٥٧) ، والثعالبي في « الكشف والبيان » (٣/ ٢١٢) عن سيدنا علي رضي الله عنه قال : (إن الإيمان يبدأ نقطة بيضاء في القلب ؛ كلما ازداد الإيمان . . **ازدادت بياضاً** ، حتىٰ يبيضَّ القلب كله ، وإن النفاق يبدأ نقطة سوداء في القلب ؛ وكلما ازداد النفاق . . **ازدادت سواداً** ، حتىٰ يسودَّ القلب كله ، والذي نفسي بيده ؛ لو شققتم عن قلب مؤمن . . **لوجدتموه أبيض القلب** ، ولو شققتم عن قلب منافق . . **لوجدتموه أسود القلب**) .

(٢) قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ؛ كما في « الرسالة القشيرية » (ص٢٢٢) : (**الزهد علىٰ ثلاثة أوجه** : **الأول** : ترك الحرام ؛ وهو زهد العوام ، **والثاني** : ترك الفضول من الحلال ؛ وهو زهد الخواص ، **والثالث** : ترك ما يشغل العبد عن الله تعالى ؛ وهو زهد العارفين) .

والحال : هو عند القوم معنىً يَرِدُ على القلب من غير تعمدٍ ولا اجتلابٍ ولا اكتساب ؛ من بسطٍ أو قبضٍ ، أو شوقٍ أو انزعاجٍ أو هيبة ؛ **فالأحوال** مواهب ، **والمقامات** مكاسب ، **والأحوال** تأتي من الوجود نفسه ، **والمقامات** تحصل ببذل المجهود ، **وصاحب المقام** ممكَّنٌ في مقامه ، **وصاحب الحال** مترقٍّ عن حاله ، وقالوا : الأحوال كاسمها كما تحل بالقلب . . تزول .

[أربعةٌ تعين علىٰ جلاء القلب]

أربعةٌ تعينُكَ علىٰ جلاءِ قلبِك : كثرةُ الذِّكر[1] ، ولزومُ الصَّمت ، والخلوةُ ، وقلَّةُ المطعمِ والمشربِ[2] .

أهلُ الغفلةِ إذا أصبحوا . . تفقَّدوا أموالَهُم[3] ، **وأهلُ الزهدِ والعبادة** . . يتفقدون أحوالهم ، **وأهلُ المعرفةِ** : يتفقَّدونَ قلوبَهم معَ الله عزَّ وجلَّ .

ما مِنْ نَفَسٍ يُبديهِ اللهُ تعالىٰ فيكَ مِنْ طاعةٍ أو مرضٍ أو فاقةٍ . . **إلا وهوَ يُريدُ أنْ يختبرَكَ بذلك**[4] .

---

(١) اختلف العلماء : **بماذا يصير الإنسان من الذاكرين الله كثيراً** ؟ فذكر الواحدي في « تفسيره » (٣/ ٤٧١) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما قال : (إذا ذكَرَ اللهَ في أدبار الصلوات ، وغدواً وعشياً ، وفي المضاجع ، وكلما استيقظ من نومه ، وكلما غدا أو راح من منزله) .
وسُئل الشيخ أبو عمرو بن الصلاح عن القَدْر الذي يصير به من الذاكرين الله كثيراً ؟ فقال : (**إذا واظب على الأذكار المأثورة المثبتة** صباحاً ومساءً ، وفي الأوقات والأحوال المختلفة : ليلاً ونهاراً ، وهي مبينةٌ في كتاب « عمل اليوم والليلة » . . **كان من الذاكرين الله كثيراً**) انظر « الأذكار » (ص ٣٩) .

(٢) **شهوة البطن على التحقيق** ينبوع الشهوات ، ومنبت الأدواء والآفات ؛ **إذ يتبعها شهوة الفرج** وشدة الشبق إلى المنكوحات ؛ أخرج الإمام أبو موسى الأصبهاني المديني في « نزهة الحفاظ » (ص٨٨) بسنده عن ذي النون المصري رحمه الله تعالىٰ قال : (**ما شبعتُ قط . . إلا عصيتُ أو هممتُ بمعصية**) .

(٣) كذا في النسخ الخطية ، وفي (ط) : (يتفقدون أموالهم) .

(٤) في غير (ب ، ط) : (أن يختبرك ؛ لذلك . . .) فجُعلت تعليلاً ، وقال العلامة البوزيدي في « الآداب المرضية » (ص١٤٦) : (**والنفس هي لله** ، أعطاها الحق لنا **لنردَّها إليه** ، ونتأدَّب بها بين يديه ، **ونعرفه بها** ، ونحبه بها ، **ونذكره بها** ، ونتقرب إليه بها ، **وهذا كله من كرمه سبحانه** ، هي له وأعطاها لنا ؛ **لنكونَ بها له** ←

مَنْ طلبَ الدُّنيا بطريقِ الآخرةِ . . كانَ كمَنْ أخذَ ملعقةَ ياقوتٍ يغرِفُ بها العَذِرَةَ ، **أفما يُعَدُّ هذا أحمق ؟!**[1] .

لا تعتقِدْ أنَّ الناسَ فاتهُمُ العلمُ ، **بل فاتهُمُ التوفيقُ** أكثرَ منَ العلمِ .

أوّلُ ما ينبغي لكَ أن تبكيَ على عقلِكَ ، فكما يقَعُ القحطُ في الكلأ . . **فكذلِكَ يقعُ في عقولِ الرجالِ** ، وبالعقلِ عاشَ الناسُ معَ الناس ، ومعَ اللهِ تعالى ؛ **معَ الناسِ** : بحُسْنِ الخُلُق ، **ومعَ اللهِ** : باتباعِ مرضاتِهِ .

* * *

← لا لنا ، ونبيعها لله ؛ **لتصحَّ العبودية التي أراد الحق منا . . .**) فمن فهم هذه الأسرار . . **فقد نجح وجاز الاختبار** .

(١) أخرج البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٩٣١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٨/ ٤٠٥) عن بشر بن الحارث الحافي قال : سمعت فضيل بن عياض يقول : (لأن آكل الدنيا بالطبل والمزمار . . **أحبُّ إليَّ من أن آكلها بديني**) .
وقال بعض العارفين : (من تزين بشيء من الدنيا . . **فقد أظهر خساسته**) ، وقال العلماء : (**الخسيس** : من باع دينه بدنياه ، **وأخسُّ منه** : من باع دينه بدنيا غيره !!) .

[النعمة الكبرىٰ بثلاث مِنَنٍ]

إنْ مَنَّ عليكَ بثلاثٍ . . فقَدْ مَنَّ عليكَ بالنِّعمةِ الكُبرى :

الأولىٰ : الوقوفُ علىٰ حُدودِهِ ، **والثانية** : الوفاءُ بعُهودِه ، **والثالثة** : الغَرقُ في شُهُودِه[١] .

وما سببُ استغرابِكَ لأحوالِ العارفينَ إلا استغراقُكَ في القطيعة ، ولو شاركتَهُمْ في الأسفارِ . . **لشاركتَهُمْ في الأخبار** ، ولو شاركتَهُم في العَنَاءِ . . **لشاركتَهُم في الهناء**[٢] .

---

(١) **أول رتبة في القرب** : هي القرب من طاعته ، والالتزام جميعَ الأوقات بعبادته ، **وأما البُعد** . . فهو التدنس بمخالفته ، والتجافي عن طاعته ، **فأول البُعد** : بُعدٌ عن التوفيق ، ثم بعدٌ عن التحقيق ؛ فمن وقف على الحدود ، ووفىٰ بما قطعه من العهود . . **أُكرم بالغرق في مقام الشهود** ، وهو مقام الإحسان ، وهو أن تعبد الله كأنك تراه ؛ فإن لم تكن تراه . . **فإنه يراك** .

(٢) **لله قومٌ** امتثلوا ما أمروا ، وزُجروا عن الزَّلل **فانزجروا** ، فإذا لاحت لهم الدنيا . . **غابوا** ، وإذا بانت لهم الأخرىٰ . . **حضروا** ، فلو رأيتَهم في القيامة إذا حُشروا . . **إني جزيتُهم اليوم بما صبروا** ، جنَّ عليهم الليل فسهروا ، وطالعوا صحف الذنوب فانكسروا ، وطرقوا باب المحبوب واعتذروا ، **ربحوا والله وما خسروا** ، وعاهدوا على الزهد **فما غدروا** ، واحتالوا علىٰ نفوسهم **فملكوا وأسروا** ، وتفقَّدوا أنعُم المولىٰ **فاعترفوا وشكروا** . . . إني جزيتهم اليوم بما صبروا . **وها أنتم قوم** غافلون نائمون ، تبنون **ما لا تسكنون** ، وتجمعون **ما لا تأكلون** ، كونوا كيف شئتم فستُنقلون ، **ثم إنكم بعد ذلك لميتون** ، طول نهاركم **تلعبون** ، وطول ليلكم **ترقدون** ، والفرائض **ما تؤدُّون** ، ورضيتُم عن العالي بالدُّون ، وللأموال **تجمعون** ، والحق فيه **لا تخرجون** ، وللصلاة **تُضيعون** ، وإذا صليتم . . **تنقرون** ، سيأتيكم ما أنتم عنه غافلون ، **ثم إنكم بعد ذلك لميتون** ، تأكلون بالأرطال ، وتشربون بالأسطال ، وتنامون الليالي الطِّوال ، وتقولون : **نحن رجال وهم** ←

ما شأنُ نفسِكَ وقتَ الرِّضا **إلا كالبعيرِ المعقول** ، فإذا سيَّبْتَهُ . . **انطلق** ؛ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « **لَقلبُ ابنِ آدمَ أشدُّ تقلُّباً مِنَ القِدْرِ على النارِ إذا غَلَتْ** »[1] .

فكَمْ مَنْ كانَ في جمعٍ معَ اللهِ **أتَتْهُ الفُرقةُ في نَفَسٍ واحدٍ** !! وكم مَنْ باتَ في طاعةِ اللهِ ما طلَعَتْ عليه الشَّمسُ حتَّىٰ دخلَ في القطيعة[2] .

[المراد من القلب وتقلُّبه]

فالقلبُ : بمثابةِ العينِ ، والعينُ لا ترىٰ بها كلِّها ، بل بمقدارِ العَدسةِ منها . . **فكذلكَ القلبُ** لا يُرادُ منهُ اللَّحمانية ، **بل اللَّطيفةُ الَّتي أودَعَها اللهُ فيهِ** وهيَ المُدْرِكة ، وجعلَ اللهُ القلبَ معلَّقاً في الجانبِ الأيسرِ كالدَّلوِ ؛ فإنْ هبَّ عليهِ هوىٰ الشَّهوةِ . . **حرَّكَه** ، وإنْ هبَّ عليهِ خاطرُ التَّقوىٰ . . **حرَّكَه**[3] .

← **رجال** !! هذا بطَّال ، هذا بطَّال . انتهىٰ من « التبصرة » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالىٰ (ص١٧٠ـ ١٧١) بتصرف .

(١) أخرجه أحمد في « مسنده » (٦/ ٤) ، والحاكم في « المستدرك » (٢/ ٢٨٩) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢٠/ ٢٥٥) عن سيدنا المقداد بن الأسود رضي الله عنه ، ولفظه كما في « المستدرك » : « لَقلبُ ابنِ آدم أشدُّ انقلاباً من القِدْر إذا اجتمع غلياناً » .

(٢) أخرج البخاري (٦٥٩٤) ، ومسلم (٢٦٤٣) واللفظ له عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق : « إن أحدكم يُجمَع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً . . . » وفي آخره : « فوالذي لا إله غيره ؛ إنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، **فيسبق عليه الكتاب** ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، **فيسبق عليه الكتاب** ، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » .

(٣) في (أ ، ب ، د) : (وإن هب عليه خاطر الظلمة) . وأخرج الترمذي (٣٥٢٢) ←

فتارةً يغلبُ عليهِ خاطرُ الهوى ، وتارةً يغلبُ عليهِ خاطرُ التُّقى ؛ حتَّىٰ يُعرِّفَكَ مرَّةً مِنَنهُ ، ومرَّةً قهرَه ؛ فمرَّةً يغلبُ عليهِ خاطرُ التُّقىٰ لِيمدحَك ، ومرَّةً يغلبُ عليه خاطرُ الهوىٰ لِيذمَّك .

فالقلبُ بمثابةِ السَّقفِ ، فإذا أُوقِدَ في البيتِ نارٌ . . صعدَ الدُّخَانُ إلى السَّقفِ فسوَّدَهُ ؛ فكذلِكَ دُخَانُ الشَّهوةِ إذا انبثَّ في البدنِ . . صعدَ دُخَانُهُ إلى القلبِ فسوَّدَهُ[1] .

إذا ظلَمَتْكَ القِوَىٰ . . فارجِعْ إلىٰ القويِّ ، ولا تَخَفْ منهُ فيُسلِّطَ عليك[2] .

→ واللفظ له ، وأحمد (٦/ ٢٩٤) مختصراً عن شهر بن حوشب قال : قلتُ لأم سلمة : يا أمَّ المؤمنين ؛ ما كان أكثرُ دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان عندكِ ؟ قالت : كان أكثر دعائه : « يا مقلبَ القلوب ؛ ثبت قلبي علىٰ دينك » قالت : قلت : يا رسول الله ؛ ما أكثرَ دعاءَكَ : يا مقلب القلوب ثبِّت قلبي علىٰ دينك ؟ قال : « يا أم سلمة ؛ إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله ، فمن شاء . . أقام ، ومن شاء . . أزاغ » فتلا معاذٌ : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ [آل عمران : ٨] .

(١) العاصي دائماً في أَسْر شيطانه ، وسجن شهواته ، وقيود هواه ؛ فهو أسيرُ سجونٍ مُقيَّد ، ولا أسير أسوأ حالاً من أسيرٍ أسره أعدىٰ عدوٍّ له ، ولا سجن أضيق من سجن الهوى ، ولا قيد أصعب من قيد الشهوة ، فكيف يسير إلى الله والدار الآخرة قلبٌ مأسورٌ مسجون مقيد ؟! وكما أن الشاة التي لا حافظ لها وهي بين الذئاب سريعة العطب . . فكذا العبد : إذا لم يكن عليه حافظٌ من الله . . فذئبه مفترسُهُ ولا بد ، وإنما يكون عليه حافظ من الله بالتقوى ، وكلما كانت الشاة أقرب من الراعي . . كانت أسلم من الذئب ، وكلما بعدت عنه . . كانت أقرب إلى الهلاك . انظر « الجواب الكافي » (ص١٠٣ـ١٠٤) .

(٢) أخرج أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٢٢٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٠/ ٤٩٧) عن بلال بن سعد قال : (أيها الناس ؛ اتقوا الله فيمن لا ناصر له إلا الله) . وورد في التوراة : (من يظلم . . يخرب بيته) ، وفي الزبور : (إذا ←

مثالُ مَنْ يَشهدُ الأضرارَ مِنَ المخلوقينَ : كمَنْ ضربَ الكلبَ بحَجَرٍ ، فأقبَلَ الكلبُ على الحجرِ يعضُّهُ ، ولا يعرِفُ أنَّ الحجرَ ليسَ بفاعلٍ ، **فيكونُ هوَ والكلبُ سواء !!**

ومثالُ مَنْ يَشهدُ الإحسانَ مِنَ المخلوقينَ : كالدَّابَّةِ إذا رأَتْ سائِسَها . . بصبَصَتْ إليهِ بأعيُنِها ، ويدنو إليهَا مالكُهَا فلا تُلْقي إليهِ بالاً ؛ فإنْ كنْتَ عاقلاً . . **فاشْهدِ الأشياءَ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ** ، ولا تشْهَدْها مِنْ غيرِه[1] .

❊ ❊ ❊

ظلمتَ من دونك . . **فلا تأمن من فوقك**) . وقال يزيد بن حاتم : (ما هِبْتُ شيئاً قطُّ هيبتي من رجلٍ ظلمتُه وأنا أعلم أنْ لا ناصر له إلا الله ، فيقول : حسبي الله ، **الله بيني وبينك !!**) .

(١) قال بعض الصالحين ـ وقد أخرج صدقةً ليدفعها إلىٰ مسكين ـ : (**خذ لا لك**) أي : إنما أعطيك لله ، فقال المسكين : (**هاتِ لا منك**) أي : المعطي علىٰ وجه الحقيقة هو الله . **والسائس** : هو من يقوم على الدواب ويروضها ويعتني بها ، **وبصبصَتْ** : حرَّكت أذنابها طمعاً أو خوفاً .

[التَّائه الحقيقي]

ليسَ التَّائهُ مَنْ تاهَ في البرِّية ، **بلِ التَّائهُ** مَنْ تاهَ عنْ سبيلِ الهدى ؛ يطلبُ العِزَّ منَ الناسِ ولا يطلبُهُ منَ اللهِ تعالى !!

فمَنْ طلبَهُ منَ الناسِ . . **فقدْ أخطأَ الطريقَ** ، ومَنْ أخطأَ الطريقَ . . لم يزِدْهُ سيرُهُ إلاَّ بُعداً ؛ **فهذا هوَ التائهُ حقاً**[1] .

إذا قلتَ : لا إلهَ إلا اللهُ . . **طالبَكَ اللهُ** بها وبحقِّها ؛ **وهوَ** : ألا تنسبَ الأشياءَ إلا إليهِ[2] .

---

(١) **التائه في التيه القفر** لا يرىٰ لغياثه إلا مولاه ، ولا يرجو لنجاته مِن هَلَكته أحداً سواه ، **والذلة والافتقار** : أمران موجبان لإسراع مواهب الحق تعالىٰ إلى العبد المتصف بهما ، وإلىٰ ذلك الإشارة بقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ [آل عمران : ١٢٣] ، **فذلتهم** أوجبت عزتهم ونصرتهم ؛ كما قيل في هذا المعنى : (من الكامل)

وإذا تـذلَّلـتِ الـرِّقـاب تقـرُّبـاً ... منهـا إليـك فعـزُّهـا فـي ذُلِّهـا

فالتائه : من ضلَّ الطريق الصحيح ، ومالَ عنه إلىٰ غيره ، ومن تاه عن الطريق . . **يُرجىٰ له العَود إليه** إذا أبصره أو دُلَّ عليه ، أما إذا عرفها وحاد عنها عمداً . . **فمتىٰ تُرجىٰ هدايته** ؟!

(٢) **من معانيها** : لا إله معبودٌ بحقٍّ إلا الله ، **فهو نفي** ما يستحيل كونه ، **وإثبات** ما يستحيل فَقْده ، **وهي مفتاح الجنة** ، وكلمة الإخلاص ، مَن خُتِم له بها . . **دخل الجنة** ، وحديث البطاقة يُبين شيئاً من قدرها ، فقُلها من قلبك مخلصاً ؛ فمن قالها مخلصاً في الحال . . **كان داخلاً في الحال في جنته** : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن : ٤٦] : **جنة معجَّلة** ؛ وهي حلاوة الطاعات ، ولذة المناجاة ، والأُنس بفنون المكاشفات ، **وجنة مؤجَّلة** ؛ وهي فنون المثوبات ، وعلو الدرجات . انظر « التحبير في التذكير » (ص٣٠ـ ٣١) بتصرف .

[مثال القلب مع النَّفس]

مثالُ القلبِ إذا أسلمْتَهُ إلىٰ النفسِ . . كمَنْ تعلَّق بغريقٍ فغرِقَ كلُّ واحدٍ منهما ، ومثالُ النفسِ إذا أسلمْتَها للقلبِ . . كمَنْ أسلمَ نفسَهُ إلىٰ عوَّام قويٍّ فسلَّمها ، فلا تكنْ كمَنْ أسلَمَ قلبَهُ إلىٰ نفسِه ؛ هلْ رأيتَ بصيراً قلَّدَ نفسَهُ إلىٰ أعمىٰ يقودُهُ ؟ ![1] .

إنْ أمكنَكَ أنْ تُصبحَ وتمسيَ وما ظلمْتَ أحداً منَ العِبَادِ . . فأنتَ سعيدٌ ، فإنْ لم تظلِمْ نفسَكَ فيما بينكَ وبينَ اللهِ . . فقَدْ تكمَّلتْ لكَ السعادة ، فأغلِقْ عينيك ، وسُدَّ أُذنيك ، وإيَّاكَ إيَّاكَ وظلمَ العِبادِ[2] .

---

(١) العوَّام : الماهر بالسباحة ، الذي تُسلِّم نفسك إليه وأنت مطمئن ، فلو ركبت مع سائقٍ ماهرٍ يَعرف الطريق تماماً . . فإنك تخلد إلى النوم وأنت بكامل طمأنينتك ، أما إن كان غير ذلك . . فلا تغمض لك عين ؛ خوفاً من أن يتيه أو يضل ، أخرج أحمد في « الزهد » (٥٣٠) عن سفيان عمَّن أخبره : أن لقمان الحكيم قال لابنه : (أي بُني ؛ إن الدنيا بحرٌ عميق ، قد غرق فيه ناسٌ كثير ، فاْجعل سفينتك فيها تقوى الله عز وجل ، وحشوها الإيمان بالله عز وجل ، وشراعها التوكل على الله ؛ لعلك تنجو ولا أراك ناجياً) ، وذكر الملا علي القاري رحمه الله تعالىٰ في « مرقاة المفاتيح » (٩/٤٥٨) عن بعضهم قوله : [من الرمل]

إنَّ لله عبـــــــاداً فُطنـــــا	طلَّقـوا الـدنيـا وخـافـوا الفِتنـا
نظـروا فيهـا فلمـا علمـوا	أنهـا ليســت لحــيٍّ وطنـا
جعلــوهـا لُجــةً واتخــذوا	صـالـح الأعمـال فيهـا سُفنـا

قال العلامة باقشير الحضرمي رحمه الله تعالىٰ في كتابه النافع « الموجز المبين » (ص١٤٦) : (عليك بالأدعية النبوية ؛ فإنها تعرف طرق السماء) .

(٢) دعوة المظلوم تُحمَل على الغمام ، وتُفتَحُ لها أبواب السماء ، ويقول لها الحقُّ سبحانه : « وعزَّتي ؛ لأنصرَنَّكِ ولو بعدَ حين » فلا تحتقر دعاء مظلوم ؛ فشَرَرُ قلبه محمولٌ بعجيج صوته إلىٰ سقف بيتك ، ويحك ؛ نِبال أدعيته مصيبةٌ وإن تأخَّر الوقت ، قوسه : قلبه المقروح ، ووتره : سواد الليل ، احذر عداوة مَن تنام وطرفه باكٍ ، يقلِّب وجهه في السماء ، يرمي سهاماً ما لها غرضٌ سوى الأحشاء ←

ما مثالُكَ في صغرِ عقلِكَ ، وكونِكَ لا تعلمُ ما عليكَ مِنَ الملابس [إلا](1) كالمولودِ ؛ تكسُوه أمُّهُ أحسنَ الملابسِ وأفخرَهَا وهوَ لا يشعر ، وربَّما دنَّسها ونجَّسها ، فتُسرِعُ إليه أمُّهُ وتكسوهُ أُخر ؛ لئلا يراهُ الناسُ كذلك ، وتغسِلُ ما تنجَّسَ ولا يعلمُ ما فُعِلَ بهِ ؛ لِصِغَرِ عقلِهِ .

[طهِّر ثيابك من الدَّنس]

وعنِ الشَّيخِ أبي الحسنِ الشَّاذليِّ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ : قيلَ لي : (يا عليُّ ؛ طهِّرْ ثيابَكَ من الدَّنس . . تَحْظَ بمددِ اللهِ في كلِّ نَفَس)(2) .

→ منك !! لمَّا حُبس جعفر بن يحيى البرمكي ووالدُهُ في سجن الرشيد . . قال جعفرٌ : يا أبتِ ؛ بعدَ الأمر والنهي ، والأموال العظيمة . . صيَّرنا الدهر إلى القيود ولبس الصوف والحبس ؟! فقال له أبوه : يا بُني ؛ دعوة مظلوم ، سرتْ بليلٍ ، غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها ، ثم أنشأ يقول : (من الرمل)

رُبَّ قومٍ قد غدَوا في نعمةٍ ... زمناً والدهر ريَّانٌ غدِقْ
سكتَ الدهرُ زماناً عنهمُ ... ثمَّ أبكاهم دماً حينَ نطَقْ

ثم توفي في حبس الرشيد ، ووُجِد في جيبه رقعة حين مات مكتوب فيها بخطه : (قد تقدَّم الخصم ، والمدعىٰ عليه بالأثر ، والقاضي هو الحكم العدل ؛ الذي لا يجور ولا يحتاج إلىٰ بينة) ، فحُملت الرقعة إلى الرشيد ، فلم يزل يبكي يومه ، وبقي أياماً يُتبيَّن الأسىٰ في وجهه . انظر « المنتظم » (٩/ ١٩١) .

(١) ما بين معقوفين زيادة من (ط) .

(٢) أي : نَزِّه ثيابَ إيمانك وعرفانك عن لوث الطمع في الخلق ، وخصوصاً عند الدعوة ، فلا تسأل عليه أجراً ، ولا تؤمّل في جانبه عوضاً ، فتُحرم بركة إنذارك ، ويقلّ الانتفاع به . ولما كان تنزيه العبد عن الأدناس لأجل تنزيه المعبود . . قال آمراً بتطهير الظاهر والباطن باستكمال القوة النظرية في تعظيمه سبحانه ؛ ليصلح أن يكون من أهل حضرته ، وهو أول مأمور به من رفض العادات المذمومة : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ أي : وقم ، فخلص ثيابك الحسية : بإبعادها عن النجاسات بمجانبة عوائد المتكبرين من تطويلها ، وبتطهيرها ؛ لتصلح للوقوف في الخدمة بالحضرة القدسية ، والمعنوية : وهي كل ما اشتمل عليه العبد من الأخلاق المذمومة ، ←

فقلتُ : **وما ثيابي** ؟ فقيلَ لي : إنَّ اللهَ تعالىٰ كساكَ حُلَّةَ المعرفة ، ثمَّ حلَّةَ المحبة ، ثمَّ حلَّةَ التوحيد[1] ، ثمَّ حلَّةَ الإيمان ، ثمَّ حلَّةَ الإسلام[2] ؛ فمَنْ عرفَ اللهَ . . **صغرَ لديهِ كلُّ شيء** ، ومَنْ أحبَّ اللهَ . . **هانَ عليهِ كلُّ شيء** ، ومَنْ وحَّدَ اللهَ . . **لم يُشْرِكْ به شيئاً** ، ومَنْ آمنَ باللهِ . . **أَمِنَ مِنْ كلِّ شيء** ، ومَنْ أسلمَ للهِ . . **قلَّما يعصيه** ، وإنْ عصاهُ . . **اعتذرَ إليهِ** ، وإنْ اعتذرَ إليه . . **قَبِلَ عُذْرَه** .

قالَ : ففهِمْتُ مِنْ ذلكَ قولَهُ تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ [المدثر : ٤])[3] .

* * *

والعوائد السقيمة ؛ من الفترة عن الخدمة ، والضجر ، والاسترسال مع شيءٍ من عوائد النفس ، ومن جنَّب ذلك ملبسه . . **أبعده عن نفسه من باب الأولىٰ** . انظر « نظم الدرر في تناسب الآي والسور » (٢١/ ٤٣) .

(١) في (ب ، د) : (ثم حلة التوفيق) .

(٢) في (ج) : (ثم حلة الإحسان) ، وفي « لطائف المنن » (ص ٧٨) جعلها خمس خلع ، فليتنبه .

(٣) أوردها المؤلف في « لطائف المنن » (ص ٧٨ـ ٧٩) ، وانظر « الكشف والبيان » (٤/ ٣٥٩) للثعالبي ، و« البحر المديد » (٨/ ٢٦٢) لابن عجيبة ، وذكرا أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال له ذلك ، ولقد اختلف في تفسير هذه الآية علىٰ ثمانية أقوال : **أحدها** : المراد بالثياب : العمل ؛ أي : وعملَك فأصلح ، **والثاني** : القلب ؛ أي : وقلبك فطهر من الإثم والمعاصي ، أو من الغدر ، **والثالث** : النفس ؛ أي : ونفسك فطهر من الذنوب ، **والرابع** : الجسم ؛ أي : وجسمك فطهر عن المعاصي الظاهرة ، **والخامس** : الأهل ؛ أي : وأهلَك فطهرهم من الخطايا بالوعظ والتأديب ، **والسادس** : الخُلق ؛ أي : وخُلقك فحسِّن ، **والسابع** : الدِّين ؛ أي : ودينَك فطهِّر ؛ فلا تلبس ثيابك علىٰ كذبٍ ولا جورٍ ولا غدر ولا إثم ، **والثامن** : الثياب الملبوسات ؛ أي : فأنقِ ثيابك ، أو شمِّرها وقصرها عن النجاسة ، أو لا تلبس ثيابك إلا من كسب حلال . انظر « تفسير القرطبي » (١٩/ ٦٢) وما بعدها باختصار وتصرف .

[مناجاة الحق ألذُّ شيء في الدُّنيا]

يا مَنْ عاشَ وما عاش ، تخرُجُ منَ الدُّنيا وما ذُقْتَ ألذَّ شيءٍ فيها ؛ **وهيَ مُناجاةُ الحقِّ سبحانَهُ وتعالىٰ** ، ومخاطبتُهُ لك ، فأنتَ مُلقىً جيفةً باللَّيل ؛ فإنْ دُفِعْتَ عنهُ . . **فاستغِثْ باللهِ وقُلْ** : يا ملائكةَ اللهِ ربِّي ، ويا رسولَ ربِّي ، **فاتَتْني الغنيمةُ التي نالوها** مِنْ لذَّة المناجاة ، ووِدادِ المصافاة[1] .

إذا كانَ العبدُ مُعجباً بطاعته ، مُتكبِّراً علىٰ خلقِه ، مُمتلئاً عظمةً ، يطلبُ من الخلقِ أنْ يوفُّوا حقوقَه ، ولا يوفِّي حقوقَهم . . **فهذا يُخشىٰ عليه سوءُ الخاتمة** ، والعياذُ بالله[2] .

وإذا كانَ فعلَ معصيةً ، تراهُ باكياً حزيناً ، مُنكسِراً ذليلاً ، يتطارحُ علىٰ أرجُلِ الصَّالحين ، ويَزورُهم معترفاً بالتقصير . . **فهذا يُرجَىٰ له حُسنُ الخاتمة**[3] .

---

(١) ذكر العلامة فريد الدين العطار رحمه الله تعالىٰ في « تذكرة الأولياء » (١/ ٢٨٥) عن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالىٰ قال : (أُسَرُّ عندما يحلُّ الليل ؛ **لأنه خلوةٌ لي مع الحق بلا فرقة** ، وعندما يطلع الصبح أحزن ؛ **كراهية لرؤية الخلق** الذين لا ينبغي لهم الدخول عليَّ ، وإزعاجي في الخلوة) ، وقال أيضاً : (من يستوحش [من] الوحدة ويستأنس بالخلق . . **فهو بعيدٌ من السلامة**) .

(٢) قال العلامة الواسطي رحمه الله تعالىٰ : (**استحلاء الطاعات سمومٌ قاتلة**) وصدق رضي الله عنه ، **وأقل ما في ذلك** : أنك إذا فتح لك باب حلاوة الطاعة . . تصير قائماً فيها ، متطلباً لحلاوتها ، **فيفوتك صدق الإخلاص في نهوضك لها** ، وتحب دوامها لا قياماً بالوفاء ، ولكن لِمَا وجدت فيها من الحلاوة والمتعة ، **فتكون في الظاهر** قائماً لله ، **وفي الباطن** إنما تمت لحظِّ نفسك ، ويخشىٰ عليك أن تكون حلاوة الطاعة جزاء تعجلته في الدنيا ، فتأتي يوم القيامة ولا جزاء لك . انتهىٰ « لطائف المنن » (ص ١٦٨) .

(٣) قال المؤلف رحمه الله تعالىٰ في « حكمه » (ص٣٦) : (معصيةٌ أورثت ذلاً ←

[أين مَن يَدلُّ على الله]

إذا طلبتَ قارئاً . . وجدْتَ ما لا يُحصَى ، **وإن طلبْتَ طبيباً** . . وجدْتَ كثيراً ، **وإن طلبتَ فقيهاً** . . وجدتَ مثلَ ذلك ، وإنْ **طلبتَ مَنْ يدلُّكَ على الله** ، ويُعرِّفُكَ عُيُوبَ نفسِكَ . . **لم تجِدْ إلا قليلاً** ؛ فإنْ ظفِرْتَ بهِ . . فأمسِكْهُ بكِلْتَا يديك[1] .

إنْ أردْتَ أنْ تُنْصرَ . . **فكُنْ كلُّكَ ذِلّةً** ؛ قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾[2] [آل عمران : ١٢٣] .

وافتقاراً . . **خيرٌ من طاعةٍ أورثت عزاً واستكباراً**) ، وقال أيضاً : (**ربما فتح لك باب الطاعة** ، وما فتح لك باب القَبول ، وربما قضىٰ عليك بالذنب ؛ **فكان سبباً في الوصول**) .

(١) قال العلامة المناوي رحمه الله تعالىٰ في « فيض القدير » (٦/ ٤٠٥) : (صحبة الأخيار **تورث الخير** ، وصحبة الأشرار **تورث الشر** ؛ كالرِّيح إذا مرَّت على النَّتن . . **حملت نتناً** ، وإذا مرَّت على الطِّيب . . **حملت طيباً** . . . وصحبة من لا يخاف اللهَ لا يؤمن غائلتها ؛ **لتغيره بتغير الأعراض** ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف : ٢٨] ، والطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري . . . قال في « الحكم » [ص٢٥] : **لا تصحب** من لا ينهضك حاله ، ولا يدلُّك على الله مقاله ، وقال القصار : اصحب الصوفية ؛ فإن للقبيح عندهم وجوهاً من المعاذير ، وقال التستري : **احذر صحبة ثلاثة** : الجبابرة الغافلين ، والقرّاء المداهنين ، والصوفية الجاهلين ؛ أي : الذين قنعوا بظاهر النِّسبة ، وتحلَّوا للناس بالزهد والتعبُّد ، وهؤلاء على العوام فتنةٌ وبلاء) .

(٢) من اعتزَّ بالعبيد . . **أذلَّه الله** ؛ لأنه طلب العزَّ من غير الله العزيز ، وتعلَّق بالأسباب دون مُسببها ، والعبيد كلهم أذلاء تحت قهر العزيز ، فمن لجأ إلىٰ أحدٍ منهم . . **فقد تعجَّل ذلاً آخر علىٰ ذُلِّه** ، وإنما سُموا عبيداً لذُلهم ، وأياً ما كان . . **فالعزة لله** ، والاعتزاز بالعبيد . . **من الجهل به** ، وجهل العبد بذله ؛ **لأنه مفتونٌ بجميع من دونه** ، ومن اعتزَّ بعرَض الدنيا . . **فهو المخذول في دينه** ، الساقط من عين الله تعالى ، قال في « الحكم » (ص٣٤) : (إن أردت أن يكون لك عزٌّ لا يفنىٰ . .

إذا أردْتَ أن تُعطَىٰ . . فكُنْ كلَّكَ فقراً : ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾[1] [التوبة : ٦٠] ؛ تكونُ في وسطِ النَّهرِ وأنتَ عطشان[2] ، تكونُ معَهُ في الحضرةِ وأنتَ تطلبُ الاتصال !!

كأنَّ العبادَ لم يتأهَّبوا للآخرةِ إلا بكثرةِ المآكلِ والمشارب[3] ، أو قيلَ لهمْ : هذهِ تُوصِلُكم إلىٰ طريقِ الآخرة ؟!

ولكنْ ما أرخصَ نفسَكَ عليك !! لولا هوانُها عليكَ . . ما عرَّضْتَها لعذابِ اللهِ تعالى ، وما أغلاها عليكَ في طلبِ الدُّنيا وجمعِها !![4] .

→ فلا تستعزنَّ بعزٍّ يفنىٰ) ، والعطاء من الخلق حرمان ، والمنع من الله إحسان ، جلَّ ربنا أن يعامل العبدَ نقداً فيجازيه نسيئة ، إن الله حكم بحكمٍ قبل خلق السماوات والأرض : ألا يطيعه أحدٌ إلا أعزَّه ، ولا يعصيه أحدٌ إلا أذله ، فربط مع الطاعة العز ، ومع المعصية الذل ؛ فمن لا طاعة له . . لا عزَّ له . انظر « فيض القدير » (٦/ ٧٣) .

(١) قال العلامة ابن عجيبة في « البحر المديد » (٦/ ١٧٥) : (والفقر ينشأ عن التحقُّق بالفقر ظاهراً وباطناً ؛ لأن الفقر مِن وصفِ العبد ، والغنىٰ مِن وصفِ الرب ؛ فمَن تحقَّق بوصفه . . أمدَّه الله بوصفه ، تحقَّق بوصفك . . يُمدك بوصفه ، تحقق بفقرك . . يمدَّك بغناه ، تحقق بذُلِّك . . يمدك بعزِّه) .

(٢) وهذا أشبه بقول القائل : (من الكامل)

ومن العجائبِ والعجائبُ جَمَّةٌ ... قُـرْبُ الحبيـبِ ومـا إليـه وصـولُ
كالعيسِ في البيداءِ يقتلُها الظما ... والمـاءُ فـوقَ ظهـورِهـا محمـولُ

أي : كالإبل ؛ فالماء علىٰ ظهرها . . ما نفعها ، وكذلك علماء بني إسرائيل لما حُملوا التوراة ولم يعملوا بها . . كانت عليهم كمثل الأسفار علىٰ ظهر الحمار ، وهو أشبه ما يكون من ضرب المثل بالبلادة ، فيثقل ظهره بحمله ، ولا يستفيد منه شيئاً ، نسألك اللهم علماً نافعاً .

(٣) في (أ ، ب ، د ، ط) : (يتواصلوا إلى الآخرة . . .) .

(٤) أخرج أحمد في « الزهد » (١٥٩٧) عن الحسن رحمه الله تعالىٰ قال : (من عرف ربَّه تبارك وتعالىٰ . . أحبَّه ، ومن أبصر الدنيا . . زهد فيها ، والمؤمن لا يلهو حتَّىٰ ←

والعجبُ كلُّ العجبِ فيمَنْ يَسْألُ المنجِّمَ عنْ حالِهِ ، ولا يَسْألُ كتابَ اللهِ ولا سنَّةَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم !!

إذا ضَعُفْتَ عَنِ العبادةِ . . فرَقِّعْ عبادتَكَ بالبكاءِ والتضرُّعِ ، إذا قيلَ لـكَ : مَـنْ يُبْكَـىٰ عليـهِ ؟ فقُـلْ : عبـدٌ عُـوفِـي فـأنفَـقَ عـافيَتَـهُ فـي معصيةِ اللهِ !![1] .

إذا نِمْتَ علىٰ تخليطٍ . . رأيتَ التخليطَ في منامِك ، بلْ ينبغي لكَ أنْ تنامَ علىٰ طهارةٍ وتوبةٍ ، فيُفاتحَ قلبكَ بنورِه ؛ ولكنْ مَنْ كانَ في نهارِهِ لاغياً . . كانَ في ليلِهِ عن اللهِ ساهياً .

[الأدب مع الأولياء]

إذا رأيتَ وليّاً للهِ تعالىٰ . . فلا يمنعْكَ إجلالُهُ مِنْ أنْ تقعدَ بينَ يديهِ [مُتأدِّباً][2] وتتبرَّكَ به[3] .

← يغفل ، وإذا فكر . . حزن) ، وأخرج أيضاً (١٥٩٩) عن الحسن أيضاً قال : (يا بن آدم ؛ تركُ الخطيئة أيسرُ من طلب التوبة) .

(١) أخرج الديلمي في « مسند الفردوس » (٥١٤) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً قال : « أوحى الله إلىٰ أخي العُزَير : يا عزير ؛ إن أصابتك مصيبة . . فلا تشكني إلىٰ خلقي ؛ فقد أصابني منك مصائب كثيرة ، ولم أشكك إلىٰ ملائكتي ، يا عزير ؛ اعصني بقدر طاقتك علىٰ عذابي ، وسلني حوائجك علىٰ مقدار عملك ، ولا تأمن مكري حتَّىٰ تدخل جنتي ، فاهتز عزير يبكي ، فأوحى الله إليه : لا تبكِ يا عزير ؛ فإن عصيتني بجهلك . . غفرت لك بحلمي ؛ لأني حليم ، لا أعجل بالعقوبة علىٰ عبادي ، وأنا أرحم الراحمين » .

(٢) ما بين معقوفين زيادة من (ط) .

(٣) قال الأستاذ أبو علي الدقاق رحمه الله تعالى ؛ كما في « مدارج السالكين » (٢/ ٣٧٦) : (تركُ الأدبِ يوجب الطرد ؛ فمن أساء الأدب على البساط . . رُدَّ إلىٰ الباب ، ومن أساء الأدب على الباب . . رُدَّ إلىٰ سياسة الدواب) . ←

واعلمْ : أنَّ السماءَ والأرضَ لَتتأدَّبُ معَ الوليِّ ؛ كما يتأدَّبُ معَهُ بنو آدمَ .

فمَنْ فرِحَ بالدُّنيا إذا جاءَتْهُ . . **فقد ثبَتَ حُمقُهُ** ، **وأحمقُ منهُ** : مَنْ إذا فاتَتْهُ . . حزِنَ عليها ؛ **فمثالُكَ** : كمَنْ جاءَتْهُ حيَّةٌ لِتلدَغهُ ، ثمَّ مضَتْ وسَلَّمَهُ اللهُ منها ، **فحزِنَ عليها إذْ لم تضُرَّهُ**[1] .

[من علاماتِ الغفلة]

مِنْ علاماتِ الغفلةِ وصِغرِ العقلِ : أنْ تعولَ همّاً هل يَقعُ أو لا ، وتترُكَ أن تعولَ همّاً لا بُدَّ مِنْ وقوعِهِ ؛ فتُصْبِحَ وتقولَ : كيفَ يكونُ السِّعْرُ غداً ، وكيفَ يكونُ في هذهِ السَّنةِ ؟[2] **وألطافُ اللهِ تعالىٰ** تأتي مِنْ حيثُ لا تعلم ، **والشَّكُّ في الرِّزقِ** . . شكٌّ في الرازق ، وما سَرَقَ السَّارقُ ، وما غصَبَ الغاصبُ إلا رِزْقَهُ ، فما دُمْتَ حيّاً . . **لا يُنقِصُ مِنْ رِزقِكَ شيئاً**[3] .

← ونقل أيضاً عن ابن المبارك رحمه الله تعالىٰ قوله : (**نحن إلىٰ قليلٍ من الأدب** أحوج منا إلىٰ كثير من العلم) ، وقالوا : **المحروم** : من حُرم بركة أهل زمانه ؛ **لأنه خسر مجالستهم ومجانستهم** .

(١) قال شمس السابقين ، وصبح الصادقين أبو حازم المكي رحمه الله تعالى ؛ كما في « تذكرة الأولياء » (١/ ٢٥٤) : (**عليكم بالاحتراز من الدنيا** ؛ فقد ثبت لي أن العبد الذي كان قد عظَّم الدنيا . . **يُرْكَل يوم القيامة أمام الجميع** ، ثم ينادى : **انظروا هذا العبد** الذي أعزَّ ما حقَّره الله تعالى ، وأحبَّ ما عاداه الله ، وهو الذي تمسَّك بما نهى الله عنه ، وتشبَّث به) ، وقال أيضاً : (لا شيء في الدنيا تُسرُّ به **إلا وفيه شيء تحزن عليه** ؛ لأن الله لم يخلق سعادة محضة) ، وقال : (**يشغلك قليل** الدنيا عن كثير الآخرة) .

(٢) في (ج ، ط) : (وكيف يكون الحال في هذه السنة) .

(٣) قال الحكماء : من قنع . . **كان غنياً وإن كان فقيراً** ، ومن تجاوز ما له من القناعة . . ←

كفىٰ بكَ جهلاً أنْ تعولَ الهمَّ الصَّغير ، وتتركَ الهمَّ الكبير !! عُلْ همَّ : هلْ تموتُ مسلماً أو كافراً ، عُلْ همَّ : هل أنتَ شقيٌّ أو سعيدٌ ؟! عُلْ همَّ : النارِ الموصوفةِ بالأبديةِ التي لا انتهاءَ لها ، عُلْ همَّ : أخْذِ الكتابِ باليمينِ أو بالشِّمال ، **هذا هوَ الهمُّ الَّذي يُعال** .

لا تَعُلْ همَّ لُقمةٍ تأكلُها أو شربةٍ تشربُها ؛ **أيستَخدِمُكَ الملِكُ ولا يُطعِمُك** ؟! أتكونُ في دارِ الضيافةِ وتضيعُ ؟![1] .

إنَّ أحبَّ ما يُطاعُ اللهُ بهِ : الثقةُ بهِ ؛ لأَنْ تكونَ خاملاً في الدُّنيا . . **خيرٌ لكَ مِنْ أنْ تكونَ خاملاً يومَ القيامة**[2] .

← فهو فقير وإن كان غنياً ، وقالوا : ما كان لك من الدنيا . . **أتاك علىٰ ضعفك** ، وما كان منها عليك . . **لم تدفعه بقوتك** ، ومن قطع رجاءه مما فات . . **استراح بدنه** ، والراحة كلها في الرضا بالمقسوم ، والاقتصار علىٰ حال الوقت ، والإعراض عما كان ويكون . انظر « فيض القدير » (١/ ٢٢٤) .

(١) أخرج ابن أبي الدنيا في « المُحتضَرين » (١٩١) عن درست القزاز قال : (لما احتضر يزيد الرقاشي . . بكىٰ ، فقيل له : **ما يبكيك رحمك الله** ؟ قال : **أبكي والله علىٰ ما يفوتني** من قيام الليل وصيام النهار ، ثم بكىٰ وقال : **من يصلي لك يا يزيد** ، **ومن يصوم** ؟ ومن يتقرَّب لك إلى الله بالأعمال بعدك ؟ **ومن يتوب لك إليه من الذنوب السالفة** ؟! ويحَكُمْ يا إخوتاه ؛ **لا تغترُّنَّ بشبابكم** فكأنْ قد حلَّ بكم ما حلَّ بي من عظيم الأمر وشدة كرب الموت ، **النَّجاءَ النَّجاءَ** ، الحذرَ الحذرَ ، يا إخوتاه ؛ **المبادرة رحمكم الله**) .

وأخرج فيه أيضاً (١٩٢) عن عبيد الله بن محمد التيمي قال : (حدَّثني بعض أشياخنا : أن رجلاً من عِلية هذه الأمة حضرته الوفاة ، **فجزع جزعاً شديداً** ، وبكىٰ بكاءً كثيراً ، **فقيل له في ذلك** !! فقال : ما أبكي إلا علىٰ أن يصوم الصائمون لله **ولستُ فيهم** ، ويصلي له المصلُّون **ولستُ فيهم** ، ويذكر الذاكرون ولستُ فيهم ؛ **فذاك الذي أبكاني**) .

(٢) قال العلامة الشعراني رحمه الله تعالىٰ في « مختصر تذكرة القرطبي » (ص ١٥١) : (**ومن علامات أهل الجنة** : أن يكون العبد سليماً من الذنوب وأكل ←

هذهِ صفاوةُ العمرِ وغربلتُهُ ، يا مَنْ لا يأكلُ الحِنطةَ إلا مُغربلةً لا بُدَّ لكَ أنْ يُغَرْبَلَ عمرُك ، فلا يبقىٰ لكَ إلا ما أخلصْتَ فيه ، وما عدا ذلِكَ يُرْمَىٰ[1] .

[مخالطة الناس أكثر ما يُخاف عليك]

وأكثرُ ما يُخافُ عليكَ من مخالطةِ الناس ، ولا يكفيكَ أنْ تسمعَ بأذنيكَ بلْ تشاركُهُمْ في الغيبةِ وهيَ تنقضُ الوضوءَ وتُفطِّرُ الصَّائم !![2] .

الشهوات ، أبله عن معاصي الله عز وجل ؛ كما أشار إليه حديث البيهقي وغيره : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أكثر أهل الجنة البُلْه » قال العلماء : وأراد به هنا : من كان مطبوعاً على الخير وهو غافل عن النار جملة ، وقال بعضهم : الأبله : هو الذي يكون صدره سالماً من كل شيءٍ يُغضِب الله تعالى ، وحسَّن الظن بالناس ، وكذلك من علامة أهل النار : كثرة محبة الدنيا . . .) .

(١) أخرج الترمذي (٢٤٥٩) عن سيدنا عمر رضي الله عنه قال : (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وتزيَّنوا للعرض الأكبر ، وإنما يخفُّ الحساب يوم القيامة علىٰ مَن حاسب نفسه في الدُّنيا) .
وأخرجه ابن المبارك في « الزهد » (٣٠٦) عن سيدنا عمر رضي الله عنه من قوله في إحدى الخطب بلفظ : (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ؛ فإنه أهون ـ أو قال : أيسر ـ لحسابكم ، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا ، وتجهَّزوا للعرض الأكبر : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [الحاقة : ١٨]) .

(٢) أخرج هناد في « الزهد » (١١٩٧ـ ١١٩٩) عن الحسن الجمحي قال : (مرَّ بنا مخنثٌ ؛ فقال بعض القوم : إن فيه تأنيثاً ، فأتينا عطاء فسألناه ، فقال : من قال ذلك . . فليعد وضوءه وصومه) .
وأخرج أيضاً عن الحارث العكلي قال : (كنت مع إبراهيم وأنا آخذٌ بيده ونحن نريد المسجد ، فذكرت رجلاً فتنقَّصْته ، فلما انتهينا إلىٰ باب المسجد . . انتزع يده من يدي ، وقال : اذهب فتوضأ ؛ فقد كانوا يعدُّون هذا هُجْراً) .
وأخرج أيضاً عن الحارث بن سويد قال : قال سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : (لأن أتوضأ من كلمةٍ خبيثةٍ . . أحبُّ إليَّ من أن أتوضأ من طعام طيب !!) .

كفىٰ بكَ جهلاً أنْ تغارَ علىٰ زوجتِكَ ولا تغارُ علىٰ إيمانِكَ !!

كفىٰ بكَ خيانةً أنْ تغارَ عليها لأجلِ نفسِكَ ولا تغارَ علىٰ قلبِكَ لأجلِ ربِّك ، إذا كُنْتَ تحفظُ ما هوَ لكَ . . ألا تحفظُ ما هو لربِّك ؟![1] .

إذا رأيتَ مَنْ يُصْبِحُ مهموماً لأجلِ الرِّزق . . فاعلمْ أنَّه بعيدٌ مِنَ الله ؛ فإنَّهُ لو قالَ لكَ مخلوقٌ مثلك : لا تشتغِلْ غداً بسببٍ[2] ، وأنا أُعطيكَ خمسةَ دراهمَ . . وَثِقْتَ به وهوَ مخلوقٌ فقيرٌ ، أفما تكتفي بالغنيِّ الكريمِ الَّذي ضمِنَ لكَ رزقَكَ معَ أجلِكَ ؟![3] .

وأما الصوم . . فقد أخرج الإمام أحمد (٥/ ٤٣٧) قصّة المرأتين اللتين صامتا نفلاً وكادتا أن تهلكا ، فأرسل إليهما وأمرهما أن تقيئا ، فقاءتا قيحاً ودماً ولحماً عبيطاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن هاتين صامتا عمّا أحلَّ الله ، وأفطرتا علىٰ ما حرم الله عز وجل عليهما ؛ جلست إحداهما إلى الأخرىٰ فجعلتا تأكلان لحوم الناس » ، فعدَّ العلماء الغيبة حَدَثاً معنوياً ، وقد زجر الشارع عنه أشدَّ الزجر ، فينبغي لمن يهذِّب نفسه أن يطهرها عن ذلك ، وجعلوا الوضوء من الغيبة مسنوناً .

(١) نقل الإمام القشيري رحمه الله تعالىٰ في « رسالته » (ص٤٣٠) : (سمعت الشبلي يقول : الغيرة غيرتان : غيرة البشرية على النفوس ، وغيرة الإلهية على القلوب ، وقال الشبلي أيضاً : غيرة الإلهية على الأنفاس أن تضيع فيما سوى الله تعالى ، والواجب أن يقال : الغيرة غيرتان : غيرة الحق سبحانه على العبد ؛ وهو ألا يجعله للخلق فيضنَّ به عليهم ، وغيرة العبد للحق ؛ وهو ألا يجعل شيئاً من أحواله وأنفاسه لغير الحق تعالى) .

(٢) في (د) : (لا تشتغل غداً بشيء) .

(٣) نقل العلامة فريد الدين العطار رحمه الله تعالىٰ في « تذكرة الأولياء » (١/ ٢٥٤) عن أبي حازم قوله : (وجدت كل أمرٍ في شيئين : واحد لي ، وآخر ليس لي ، ما لي : إن فررتُ منه كثيراً . . يأتي إليَّ ، وما ليس لي : إن سعيتُ إليه كثيراً . . لن أدركه في الدنيا قطُّ بسعيي) .

أنشدَ إنسانٌ : [من الوافر]

إذا العُشْرون مِنْ شعبانَ ولَّتْ فواصِلْ شُرْبَ ليلِكَ بالنَّهارِ
ولا تشـرَبْ بـأقـداحٍ صغـارٍ فقَدْ ضاقَ الزَّمانُ على الصِّغارِ

ومعناهُ عندَهُ : إذا مضتِ العشرونَ مِنْ شعبانَ . . فقد قَرُبَ رمضانُ يقطعُ علينا الشَّراب .

ومعناهُ عندَ أهلِ الطريقِ : إذا خَلَّفْتَ أربعينَ سنةً وراءَ ظهرِكَ . . **فواصِلِ العملَ الصَّالحَ** بالليلِ والنهار ؛ لأنَّ الوقتَ قدْ قرُبَ إلىٰ لقاءِ اللهِ عزَّ وجلَّ[1] ، فليسَ عملُكَ كعملِ مَنْ كانَ سنّاً ولم يُضيِّعْ شبابَهُ ونشاطَه ، **وأنتَ قد ضيَّعْتَ شبابَكَ ونشاطَك** !![2] .

❋ ❋ ❋

---

(١) كان مجاهد رحمه الله تعالىٰ يقول : (من بلغ الأربعين . . **فقد آن له أن يعرف مقدار نِعَم الله تعالىٰ عليه وعلىٰ والديه** ، وأن يبالغ في الشكر ؛ لقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ . . . ﴾ الآية [الأحقاف : ١٥]) .

وكان الإمام مالك رحمه الله تعالىٰ يقول : (أدركت الناس وأهل العلم من بلدنا وهم يطلبون الدنيا ويخالطون الناس ؛ حتىٰ يبلغ أحدهم أربعين سنة ، فإذا بلغ أربعين سنة . . **اعتزل الناس ، وتفرغ للعبادة**) انظر « مختصر التذكرة » (ص ٣٢) .

(٢) أخرج البيهقي في « الزهد » (٦٣٧) عن وهب بن منبه قال : (قرأت في التوراة : أنَّ لله منادياً ينادي كل ليلة : **أبناء الأربعين** ؛ زرعٌ قد دنا حصاده ، **أبناء الخمسين** ؛ هلموا إلى الحساب : ماذا قدَّمتم وماذا أخَّرتم ؟ **أبناء الستين** ؛ لا عذرَ لكم ، **أبناء السبعين** ؛ عُدُّوا أنفسكم في الموتى) ، وذكره الإمام السيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ٥٥٢) وعزاه للحكيم الترمذي ، وزاد فيه : (**ألا ليت الخلق لم يُخلَقوا** ، فإذا خُلقوا . . **علموا لِمَا خُلقوا** ، ألا أتتكم الساعة **فخُذوا حِذركم**) .

[الذِّكر أنفعُ العلاجات وأيسرها]

هَبْ أنَّكَ تريدُ الجِدَّ ولكنْ لا تُساعدُكَ القُوى ، **فاعمَلْ علىٰ قَدْرِ حالِكَ** ، ورَقِّعِ الباقيَ بالذِّكر ؛ **فإنَّهُ لا شيءَ أسهلُ منه** ، يُمكنُكَ في حالِ القيامِ والقعود ، والمرضِ والاضطجاع ؛ **فهذا أسهلُ العبادات** ، وهيَ التي قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم فيها : « **ولْيكُنْ لسانُكَ رَطْباً بذكرِ الله** »[1] .

وأيُّ دعاءٍ أو ذكرٍ سَهُلَ عليكَ . . **فواظب عليه** ؛ فإنَّ مددَهُ مِنَ اللهِ عزَّ وجل ، فما ذكرْتَهُ **إلا ببرِّهِ** ، وما أعرضْتَ عنهُ **إلا بسطوتِهِ وقهرِه** ، فاعمَلْ واجتهِدْ ؛ **فالغفلةُ في العملِ** خيرٌ مِنَ الغفلةِ عنه[2] .

ترىٰ حالَكَ حالَ الزَّاهدينَ في الفضل[3] ؛ **لأنَّ الطَّالبَ لا ينقطعُ عنِ الأبواب** ، بلْ تجدُهُ واقفاً عليها ؛ **فمثالُه**[4] : كالثَّكلى التي ماتَ ولدُها

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٤٩٥) ، وابن حبان (٨١٤) ، والترمذي (٣٣٧٥) عن سيدنا عبد الله بن بُسْرٍ رضي الله عنه ، ولفظه : أن رجلاً قال : يا رسول الله ؛ إن شرائع الإسلام قد كَثُرتْ عليَّ ، فأخبرني بشيءٍ أتشبَّثُ به ، قال : « **لا يزال لسانك رَطْباً من ذكر الله** » .

(٢) قال المؤلف رحمه الله تعالىٰ في « الحكم » (ص٢٥ـ٢٦) : (لا تتركِ الذكر لعدم حضورك مع الله فيه ؛ **لأن غفلتك عن وجود ذكره** أشدُّ من غفلتك في وجود ذكره ، فعسىٰ أن يرفعك من ذكرٍ مع وجود غفلة **إلىٰ ذكرٍ مع وجود يقظة** ، ومن ذكرٍ مع وجود يقظة **إلىٰ ذكرٍ مع وجود حضور** ، ومن ذكرٍ مع وجود حضور **إلىٰ ذكرٍ مع غيبة عما سوى المذكور** ؛ وما ذلك على الله بعزيز) .

(٣) في (ج) : (حال الزاهدين في الفعل) .

(٤) في (ج) : (فمثالك) .

أتراها تحضُرُ الأعراسَ والأفراحَ والولائم؟! **بلْ هيَ مشغولةٌ بفقدِ ولدِها**[1] .

وكمْ يُرْسِلُ لكَ المولى الصَّنائعَ وأنتَ عبدٌ شَرود ؟! **فمثالُكَ** : كالطِّفلِ في المهْدِ كلَّما حُرِّكَ . . نامَ ؛ ولو أرسلَ لكَ الملِكُ خِلعةً . . ما أصبحْتَ إلا علىٰ بابه ، **فاغتنِمْ أوقاتَ الطَّاعاتِ** واصطبِرْ عليها .

[اعصِ مولاكَ حيث لا يراك !!]

إنْ طلبتَ أن تعصيَهُ . . فاطلُبْ مكاناً لا يراكَ فيه ، واطلُبْ قوَّةً مِنْ غيرِهِ تعصيهِ بها ، ولنْ تستطيعَ شيئاً مِنْ ذلك ؛ لأنَّ الكلَّ مِنْ نِعَمِهِ ، **أتأخُذُ نِعَمَهُ وتعصيهِ بها** ؟! بلْ تتعنَّتُ في المخالفات ؛ **مرَّةً** بالغيبة ، **ومرَّةً** بالنميمة ، **ومرَّةً** بالنَّظر ، وما بَنيتَهُ في سبعينَ سنةً . . **تهدِمُهُ في نَفَسٍ واحدٍ** ؟![2] .

---

(١) قال يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى : (ابنَ آدم ؛ **ما لك تأسف علىٰ مفقودٍ** لا يردُّه عليك الفوت ، **وما لك تفرح بموجودٍ** لا يتركه في يديك الموت !!) ، وكانت امرأةٌ من العابدات بالبصرة تصاب بالمصائب فلا تجزع ، فذكروا لها ذلك فقالت : (ما أُصابُ بمصيبةٍ فأذكر معها النار . . **إلا صارت في عيني أصغر من الذباب**) انظر « تسلية أهل المصائب » (ص٤٠) .

(٢) ذكر العلامة ابن قدامة المقدسي رحمه الله تعالىٰ في « التوابين » (ص٢٨٥) قال : (ورُوي : أن رجلاً جاء إلىٰ إبراهيم بن أدهم فقال له : يا أبا إسحاق ؛ إني مسرفٌ علىٰ نفسي ، **فاعرض عليَّ ما يكون لها زاجراً ومُستنقِذاً لقلبي** ، قال : إن قبلْتَ خمسَ خصالٍ وقدرتَ عليها . . **لم تضرَّك معصية** ، ولم تُوبقك لذة . قال : هاتِ يا أبا إسحاق .

قال : **أما الأولىٰ** : فإذا أردت أن تعصيَ الله عز وجل . . **فلا تأكل رزقه** . قال : فمن أين آكل وكل ما في الأرض من رزقه ؟! قال له : يا هذا ؛ **أفيحسنُ أن تأكل رزقه وتعصيَه** ؟! قال : لا ، **هات الثانية** . قال : وإذا أردت أن تعصيه . . فلا تسكن شيئاً من بلاده . قال الرجل : **هذه أعظم من الأولىٰ** ، يا هذا ؛ إذا كان المشرق والمغرب وما بينهما له . . **فأين أسكن** ؟! قال : يا هذا ؛ أفيحسنُ أن تأكل ←

يا هادمَ الطَّاعات ؛ ما سلَّطَ اللهُ عليكَ الفاقةَ . . إلا لِترفعَ حالتَكَ إليه ، ولِتنجمعَ عليه ، فيا مَنْ يعرضُ نفسَهُ في الشَّهواتِ والمعاصي . . ليتَكَ أعطيتَها ذلكَ في المباحاتِ[1] ؛ فمَنْ عاملْتَهُ بالدَّنايا وعاملَكَ بالمِنَنِ . . كيفَ لا تحبُّهُ ؟! مَنْ عاملَكَ بالكرمِ وعاملتَهُ باللؤمِ . . كيفَ لا تحبُّهُ ؟![2] .

ما أحدٌ يَصحبُكَ فينفعك ، وكلُّ مَنْ يصحبُكَ إنَّما يصحبُكَ لنفسِهِ : إنَّما تُحبُّكَ الزوجةُ لتجتنيَ منكَ مطايبَ العيشِ والملابس ، وكذلِكَ الولدُ يقولُ : أَشُدُّ بكَ ظهري ، فإذا كبِرْتَ ولم تَبْقَ فيكَ قوَّةٌ ولا بقيةٌ . . رفضُوكَ !![3] .

رزقه ، وتسكن بلاده وتعصيَه ؟! قال : لا ، هات الثالثة . قال : إذا أردتَ أن تعصيَه وأنت تحت رزقه وفي بلاده . . فانظر موضعاً لا يراك فيه مبارزاً له فاعصه فيه . قال : يا إبراهيم ؛ كيف هذا وهو مطَّلعٌ علىٰ ما في السرائر ؟! قال : يا هذا ؛ أفيحسنُ أن تأكل رزقه ، وتسكن بلاده ، وتعصيَه وهو يراك ويرىٰ ما تجاهره به ؟! قال : لا ، هات الرابعة . قال : إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك . . فقل له : أخِّرني حتَّىٰ أتوب توبةً نصوحاً ، وأعمل لله عملاً صالحاً . قال : لا يقبل منِّي . قال : يا هذا ؛ فأنت إذا لم تقدر أن تدفع عنك الموت لتتوب ، وتعلم أنه إذا جاء لم يكن له تأخير . . فكيف ترجو وجه الخلاص ؟! قال : هات الخامسة . قال : إذا جاءتك الزبانية يوم القيامة ليأخذوك إلى النار . . فلا تذهب معهم . قال : لا يَدَعونني ، ولا يقبلون مني . قال : فكيف ترجو النجاة إذاً ؟! قال له : يا إبراهيم ؛ حسبي حسبي ، أنا أستغفر الله وأتوب إليه ، ولزمه في العبادة حتَّىٰ فرَّق الموت بينهما) .

(١) في (ج) : (في المناجاة) .

(٢) قال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى : (إذا أحبَّ الله عبداً . . جعل ذنبه عظيماً في نفسه ، وفتح له باباً من التوبة إلىٰ رياض أنسه ، وإذا غضب علىٰ عبدٍ . . جعل ذنبه صغيراً في عينيه ، فكلما أدَّبه . . لا يتعظ) .

(٣) أخرج الطبراني في « المعجم الكبير » (١٨/ ٣٦٨) ، وأبو نعيم في « معرفة

[العزلةُ والصَّمتُ هما الدواء]

لو انقطعْتَ عَنِ الخلْقِ .. **لفُتِحَ لكَ بابُ الأُنسِ باللهِ تعالىٰ** ؛ لأنَّ أولياءَ اللهِ تعالىٰ **قهروا أنفسَهُم بالخلوةِ والعزلة** ، فسمِعُوا مِنَ اللهِ وأنِسُوا به .

فإذا أردتَ أن تستخرجَ مرآةَ قلبِكَ مِنَ الأكدارِ .. **فارفُضْ ما رفضوا** ـ وهوَ الأُنسُ بالخَلْق ـ وأيش جرىٰ لفلان ، واتفق لفلان ؟ ولا تقعُدْ علىٰ أبوابِ الحارات ؛ فمَنِ استعَدَّ .. **استمدَّ** ، فإذا هيَّأكَ للاستعدادِ .. **فتحَ**

الصحابة » (٥٧٤٢) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما قال : قدم قَبيصة بن مُخارق الهلالي علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلَّم فسلَّم عليه ، فردَّ عليه ورحَّب به ، ثم قال له : « **ما جاء بك يا قَبيصة ؟** » قال : يا رسول الله ؛ كَبِرتْ سنِّي ، ورقَّ جلدي ، وضعفَتْ قوتي ، وهُنْتُ علىٰ أهلي ، وعجزتُ عن أشياء قد كنت أعملها ، فعلِّمني كلماتٍ لعلَّ الله أن ينفعني بهنَّ وأَوجِزْ ، فقال صلى الله عليه وسلم : « يا قبيصة ؛ قُلْ ثلاث مرات إذا صليت الغداة : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم وبحمده ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ؛ فإنك إذا قلت ذلك .. **أمنتَ باذن الله من العمىٰ والجذام والبرص** ، وقل : اللهم ؛ اهدني من عندك ، وأَفِضْ عليَّ من فضلك ، وانْشُرْ عليَّ من رحمتك ، وأنزل عليَّ من بركاتك » فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولهنَّ وقَبيصة يعقد عليهم بأصابعه .

وأنشد بعضهم : (من الوافر)

أرى الإخـوان لمـا قـلَّ مـالـي	وأجحفـتِ النـوائـبُ ودَّعـونـي
فلمـا أن غنيـتُ وعـاد مـالـي	أراهـم لا أبـا لـك راجعـونـي
وكـان القـومُ خـلانـاً لمـالـي	وإخـوانـاً لمـا خـوَّلـتُ دونـي
فلمـا شـذَّ مـالـي بـاعـدونـي	ولمـا عـاد مـالـي عـاودونـي

أخرج أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٥/٧) قال يعلىٰ : (رأيت محمد بن سوقة وبين يديه جَفْنة وهو يعجن وإنَّ دموعه تسيل ؛ وهو يقول : **لما قلَّ مالي .. جفاني إخواني**) .

لكَ بابَ الاستمداد ، ومَنْ أحسنَ قرْعَ البابِ . . **فُتِحَ له** ؛ فرُبَّ طالبٍ أساءَ قرعَ البابِ فرُدَّ لسُوءِ أدبِه ، ولم يُفتَحْ له[١] .

أكثرُ ما أُتِيَ العِبادُ مِنْ قلَّةِ الصَّمت[٢] ؛ فلو نفرْتَ إلى الله[٣] . . لسمعْتَ مخاطبَتَهُ على الدَّوام : في سُوقِكَ وفي بيتِك ، ولكنْ مَنِ استيقظَ . . شَهِدَ[٤] ، ومَنْ نامَ . . **لم تسمَعْ أُذُنا قلبِهِ** ، ولم تشهَدْ بصيرتُهُ ، **ولكنَّ الحجابَ مُرخىً**[٥] .

[استفتِ قلبك]

ولو أنَّ العبادَ فطِنُوا . . **لم يُقْبِلوا إلا على اللهِ تعالىٰ** ، ولم يجلِسوا إلا بينَ يديه ، ولم يَسْتَفتوا غيرَه ؛ لقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم : « **استفتِ**

---

(١) **من عيوب النفس** : أنها تتوهم أنها قائمةٌ على باب نجاته ، تقرع الباب بقَبول الأذكار والطاعات ، والباب مفتوح ؛ ولكنه أغلق باب الرجوع على نفسه بكثرة المخالفات ، ومن أدمن قرع الباب . . **يوشك أن يفتح له** ؛ **فكيف والباب مفتوحٌ ولكنك تفرُّ منه !!**

(٢) أخرج الترمذي (٢٥٠١) ، والطبراني في « المعجم الكبير » في الجزء المفقود (١٤/٨٦) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **مَن صمتَ . . نجا** » .

(٣) في (ج ، ط) : (فلو تقربت إلى الله . . .) .

(٤) في (ج) : (ولكن من استيقظ . . لم ينم) .

(٥) أخرج الإمام أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالىٰ في « تنبيه الغافلين » (٢٥٥) بإسناده عن الأحنف بن قيس أنه قال : قال لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (يا أحنف ؛ من كثُر ضحكه . . **قلَّتْ هيبته** ، ومن مزح . . **استُخفَّ به** ، ومن أكثر من شيء . . **عُرف به** ، ومن كثر كلامه . . **كثر سقطه** ، ومن كثر سقطه . . **قلَّ حياؤه** ، ومن قلَّ حياؤه . . **قلَّ ورعه** ، ومن قلَّ ورعه . . **مات قلبه** ، ومن مات قلبه . . **كانت النار أولىٰ به**) .

قلبَكَ وإنْ أفتاكَ الناسُ وأفتَوك »[1] ؛ لأنَّ الخواطرَ الإلهاميةَ تأتي مِنَ اللهِ تعالى ، فهي موافقة ؛ وربَّما أخطأَ المفتي ، والقلبُ لا يقبلُ الخطأ ، وهذا مخصوصٌ بالقُلوبِ الطَّاهرة ، وإنَّما يُستفتَىٰ عالمٌ ، ولا عِلْمَ لمَنْ غفلَ عَنِ اللهِ تعالىٰ[2] .

كانوا رضيَ اللهُ عنهم لا يدخلونَ في شيءٍ بنفوسِهِم ، ولكنْ مِنَ اللهِ وباللهِ[3] .

---

(١) أخرجه أحمد (٤/٢٢٨) ، وأبو يعلىٰ (١٥٨٦) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢/٢٤) ولفظه : عن وابصة بن معبد رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أُريد ألا أدَعَ شيئاً من البرِّ والإثم إلا سألته عنه ، وحوله عصابةٌ ـ أي : جماعة ـ من المسلمين يستفتونه ، فجعلت أتخطَّاهم ، فقالوا : إليك يا وابصة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : دَعُوني فأدنوَ منه ؛ فإنه أحبُّ الناس إليَّ أن أدنوَ منه ، قال : « دعوا وابصة ، ادْنُ يا وابصة » مرتين أو ثلاثاً ، قال : فدنوتُ منه حتَّىٰ قعدتُ بين يديه ، فقال : « يا وابصة ؛ أُخبرك أو تسألني ؟ » قلت : لا ، بل أخبرني ، فقال : « جئتَ تسألني عن البر والإثم ؟ » فقلت : نعم ، فجمع أنامله فجعل ينكت بهنَّ في صدري ويقول : « يا وابصة ؛ استفتِ قلبك واستفتِ نفسك (ثلاث مرات) ، البرُّ : ما اطمأنَّتْ إليه النفس ، والإثم : ما حاك في النفس ، وتردَّد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتَوك » .

(٢) سُئل عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى : مَنِ الناس ؟ قال : (العلماء) ، قيل : فمن الكبراء من الناس ؟ قال : (الحكماء) ، قيل : فمن الملوك ؟ قال : (الزهَّاد) ، قيل : فمن السَّفِلة ؟ قال : (من أكل دنياه بدينه !!) .

وقال سهل بن عبد الله التُّسْتري رحمه الله تعالى : (العلماء كثير ، والحكماء من العلماء قليل ، والصالحون كثير ، والصادقون من الصالحين قليل) انظر « علم القلوب » (ص٥٠) المنسوب للإمام أبي طالب المكي رحمه الله تعالى .

(٣) من قواعد القوم المجمع عليها بينهم : أن النفس حجابٌ بين العبد وبين الله ، وأنه لا يصل إلى الله حتَّىٰ يقطع هذا الحجاب ؛ كما قال أبو يزيد : (رأيتُ ربَّ العزة في المنام ، فقلت : يا رب ؛ كيف الطريق إليك ؟ فقال : خلِّ نفسك وتعال) ←

وإنَّ المسافةَ بعُدَتْ بينَ الأولياءِ والصَّحابة ، **فجُعِلتِ الكراماتُ جبراً لما فاتَهُمْ** مِنْ قُرْبِ المتابعةِ التَّامة ؛ فإنَّ مِنَ الناسِ مَنْ يقولُ : إنَّ الأولياءَ لهمُ الكرامات ، والصَّحابةُ لم يكنْ لهم ذلك ، **بلْ كانتْ لهمُ الكراماتُ العظيمةُ بصحبتهم لهُ** صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم ، **وأيُّ كرامةٍ أعظمُ منها ؟!**[1] .

* * *

انظر « مدارج السالكين » (٢/ ٧) .

(١) **الصحابة** : هم خير القرون ، وخير أمةٍ أُخرجت للناس ، وثبتت عدالتهم جميعاً بثناء الله عليهم ، وثناء رسوله صلى الله عليه وسلم ، **ولا أعدل ممن ارتضاه الله لصحبة رسوله** ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونصرته ، واكتحلت عيونهم بالنظر لنور النبوة ، وكلهم من أهل الجنة قطعاً ؛ كما نقله الحافظ ابن حجر في « الإصابة » (١/ ١٠) عن ابن حزم ؛ **فأيُّ كرامةٍ أعظم من ذلك ؟!** رضي الله عنهم أجمعين .

[الصَّلاة تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر]

واعلمْ : أنَّ كلَّ صلاةٍ لا تنهىٰ صاحبَها عنِ الفحشاءِ والمنكرِ . . **لا تُسمَّىٰ صلاةً** ؛ لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] ، وأنتَ تَخرُجُ مِنَ الصَّلاةِ **ومِنْ مُناجاةِ الحقِّ** سبحانَه وتعالىٰ في قولِهِ تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] ، **ومناجاةِ الرسولِ** صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم في قولِكَ : (السلامُ عليكَ أيُّها النبيُّ ورحمةُ اللهِ وبركاتُه) ، وهذا في كلِّ صلاة ، **ثمَّ تخرجُ إلى الذنوبِ بعدَ هذهِ النِّعمِ التي أنسمَ اللهُ بها عليك ؟!**[1] .

عنِ الشَّيخِ أبي الحسنِ الشَّاذليِّ رضيَ اللهُ عنه : أنَّه كانَ يحضرُ عندَهُ فقهاءُ الإسكندريةِ والقاضي[2] ، فجاؤوا مرَّةً مختبرينَ للشيخ ، فتفرَّسَ فيهم ، وقالَ : (يا فقهاءُ يا فقهاءُ ؛ **هل صلَّيتُمْ قطُّ ؟**)[3] .

---

(١) أخرج الطبراني في « الكبير » (١١/ ٥٤) ، والقضاعي في « مسند الشهاب » (٥٠٩) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر . . **لم يزدد من الله إلا بُعداً** » ، والمصلي يناجي ربه ، والكلام مع الغفلة ليس بمناجاةٍ ألبتة ، ومن أراد الخشوع في صلاته . . **فليتفكَّر في ثلاثة مواقف ؛ الأول** : عند قولك مخاطباً مولاك متفهماً لما تقول : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] وأنت تطلب ممن يملك ، **والثاني** : في تشهُّدك عند قولك : (التحيات المباركات الصلوات الطيبات) انتبه فأنت تُسلِّم على الحق سبحانه ، فتأدَّب في سلامك ، **والثالث** : عند قولك : (السلام عليك أيها النبي . . .) بكاف الخطاب ؛ فإنك تُسلِّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن ذاق . . عرف ، ومن عرف . . اغترف .

(٢) في (أ ، ب) : (كان يحضر عند فقهاء . . .) .

(٣) أخرج الترمذي (٣١٢٧) ، والطبراني في « الأوسط » (٧٨٤٣) عن سيدنا ←

فقالوا : يا شيخُ ؛ **وهل يترُكُ أحدٌ الصَّلاة ؟!** فقالَ لهم : (قالَ اللهُ تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۞ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۞ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۞ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴾ [المعارج : ١٩ـ ٢٢] ، **فهل أنتم كذلِكَ** : إذا مسَّكُمُ الشَّرُّ . . **لا تجزعوا** ، وإذا مسَّكُمُ الخيرُ . . **لا تمنعوا ؟!**) قال : فسكتوا جميعاً .

فقالَ لهمُ الشَّيخُ : (**فما صليتُمْ قطُّ هذهِ الصَّلاة**)[1] .

[التوبة محضُ فضلٍ من الله]

إنْ تفضَّلَ عليكَ بالتوبةِ فتُبْتَ إليهِ . . فمِنْ فضلِهِ سبحانَهُ وتعالى : أنَّكَ تُذنبُ سبعينَ سنةً فتتوبُ إليهِ في نَفَسٍ واحدٍ ، **فيمحو ما عملْتَهُ في تلكَ المدَّة**[2] .

← أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **اتقوا فَراسة المؤمن ؛ فإنه ينظر بنور الله** » وقوله : (**فراسة**) بفتح الفاء وتكسر ، **والمعنىٰ** : اتقوا اطِّلاع المؤمن علىٰ ما في الضمائر بسواطع أنوارٍ أشرقت علىٰ قلبه ، فتجلّت له بها الحقائق ؛ فإنه ينظر بنور الله عز وجل ؛ أي : يبصر بعين قلبه المشرق بنور الله تعالى ، والكلام في المؤمن الكامل ، وفيه قيل : (من الوافر)

يرىٰ عن ظهرِ غيبِ الأمرِ ما لا ... تَـراه عيـنُ آخـر عـن عِيـانِ

أما غيره . . **فأجنبيٌّ عن هذا المقام** ، فلا عبرة بفراسته . انظر « التيسير شرح الجامع الصغير » (١/ ٣١) .

(١) أخرج الحاكم في « المستدرك » (٤/ ٣٢٦ـ ٣٢٧) عن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : جاء رجلٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ؛ أوصني وأوجز ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « **عليك بالإياس مما في أيدي الناس** ، وإياك والطمع ؛ فإنه الفقر الحاضر ، **وصلِّ صلاتك وأنت مودِّع** ، وإياك وما تعتذر منه » .

(٢) أخرج البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٧٢٣) عن إبراهيم بن شيبان رحمه الله تعالىٰ يقول : (كان عندنا شابٌّ **عَبَدَ الله عشرين سنة** ، فأتاه الشيطان فقال له : ←

التائبُ مِنَ الذَّنْبِ كمَنْ لا ذنبَ له[1] ؛ فالمؤمنُ كلَّما ذكرَ ذنبَهُ . . حزن ، وكلَّما ذكرَ طاعتَهُ . . **فرِح** ، قالَ لقمانُ الحكيمُ : (**المؤمنُ لهُ قلبانِ** : يرجو بأحدِهما ، ويخافُ بالآخر ؛ يرجو قَبولَ عملِه ، ويخافُ ألا يُقْبَلَ منه)[2] .

ولو وُزِنَ خوفُ المؤمنِ ورجاؤُهُ . . **لاعتدلا**[3] ، مَنْ أرادَ الجمعَ على اللهِ . . **فعليهِ بقيامِ أوامرِ اللهِ**[4] .

إذا اطَّلعْتَ علىٰ زوجتِكَ بخيانةٍ . . **فإنَّكَ تغضبُ عليها** ؛ فكذلِكَ نفسُكَ قد خانَتْكَ في عُمُرِكَ ، وأجمعَ العُقلاءُ علىٰ أنَّ الزوجةَ إذا خانَتْ . . لا يُؤْوِيها زوجُهَا بل يطلِّقُها ، **فطلِّقْ نفسَكَ**[5] .

→ يا هذا ؛ **أعجلتَ في التوبة والعبادة** ، وتركتَ لذَّات الدنيا ؟ فلو رجعتَ . . فإن التوبة بين يديك ، قال : فرجع إلىٰ ما كان عليه من لذَّات الدنيا ، قال : فكان يوماً في منزله قاعداً في خلوةٍ ، **فذكر أيامه مع الله** ، فحزن عليها وقال : **أترىٰ إن رجعتُ . . يقبلني** ؟ قال : فنُودي : **يا هذا** ؛ عبدتنا **فشكرناك** ، وعصيتنا **فأمهلناك** ، وإن رجعت إلينا . . **قبلناك**) .

(١) حديث أخرجه ابن ماجه (٤٢٥٠) ، والبيهقي (١٠/ ١٥٤) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه .

(٢) أخرج نحوه البيهقي في « الشعب » (١٠٤٦) .

(٣) أخرج نحوه البيهقي في « الشعب » (١٠٢٥) من كلام مُطرِّف بن عبد الله ، ولم يثبت مرفوعاً .

(٤) **الجمع والفرق** : من اصطلاحات أهل المعرفة ، **فما يكون كسباً للعبد** : من إقامة العبودية وما يليق بأحوال البشرية . . فهو فرق ، **وما يكون من قِبَلِ الحق** : من إبداء معانٍ وإسداء لطفٍ وإحسان . . فهو جمع ، فمن أشهده الحق أفعاله من طاعاته ومخالفاته . . فهو عبدٌ يوصف بالتفرقة ، ومن أشهده الحق سبحانه ما يوليه من أفعال نفسه سبحانه . . فهو عبدٌ يشاهد الجمع ؛ فالجمع أعلىٰ وأرقى ، والفرق قبله ، فلا بدَّ من الترتيب .

(٥) أي : قبل فوات الأوان ؛ قال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى : (**الدنيا** : ←

[أكثرُ ما يُدخِلُ الجنة]

سُئِلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم : ما أكثرُ ما يُدْخِلُ الناسَ الجنةَ ؟ فقالَ عليهِ الصَّلاةُ والسلامُ : « تقوى اللهِ ، وحُسْنُ الخُلُق » فقيلَ لهُ : فما أكثرُ ما يُدخِلُ الناسَ النَّار ؟ فقالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : « الأجوفانِ : الفمُ والفَرْجُ »[١] .

فاغسلْ قلبَكَ بالندم على ما فاتَكَ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ[٢] .

غلِطُوا واللهِ في النَّوائحِ على زوجةٍ أو زوجٍ أو ولدٍ[٣] ، بلْ كانَ حقُّهُم أنْ يُقيموا النوائحَ على فُقْدانِهم تقوى اللهِ مِنْ قلوبِهِم[٤] .

← خمر الشيطان ، مَن سكر منها . . لم يقف إلا في عسكر الموتىٰ نادماً مع الخاسرين) ، وكان سيدنا عيسىٰ عليه السلام يقول لأصحابه : « يا عباد الله ؛ بحقٍّ أقول لكم : إنكم لا تدركون ما تتمنون إلا بترك ما تشتهون من الدنيا ، دخلتم إلى الدنيا عراة ، وستخرجون منها عراة ، فاصنعوا بين ذلك ما شئتم !! » انظر « الزمرد الفائق في الأدب الرائق » (١/ ٧) .

(١) أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (٢٨٩) ، وأحمد (٢/ ٣٩٢) ، وابن حبان (٤٧٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) الندم توبة ؛ كما ورد ، فمن أرد النجاة . . فليغسل بعَبرته آثار حَوبته ، وليمرِّغ الخد على باب مولاه . . لعله يقبله ويرضاه ، قبل فوات الأوان ؛ وعندها : ولات حين مناص ، أخرج ابن ماجه (٤١٩٧) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من عبدٍ مؤمنٍ يخرج من عينيه دموعٌ وإن كان مثل رأس الذباب من خشية الله ، ثم تصيب شيئاً من حر وجهه . . إلا حرَّمه الله على النار » ، وأخرج ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٢/ ٢٦) عن أبي معشر قال : (رأيت أبا حازم في مجلس عون بن عبد الله وهو يقصُّ في المسجد ويبكي ، ويمسح بدموعه وجهه ، فقلت له : يا أبا حازم ؛ لِمَ تفعلُ هذا ؟ قال : بلغني أن النار لا تصيب موضعاً أصابه الدموع من خشية الله !!) .

(٣) في (ط) زيادة : (أو والد أو ولد) .

(٤) ابكِ علىٰ نفسك قبل أن يُبكىٰ عليك ، وتفكَّر في سهمٍ قد صُوِّب إليك ، وإذا رأيتَ ←

[الورع يحجزك عن المعاصي]

تَقَهْقَهُ بالضَّحكِ كأنَّك قدْ جاوزْتَ الصراطَ وعَبَرْتَ النِّيران !![1] إنْ لم يكُنْ بينَكَ وبينَ اللهِ وَرَعٌ يحجُزُكَ عنْ معاصي اللهِ إذا خلَوتَ ، وإلا . . فضَعِ التُّرابَ علىٰ رأسِكَ ؛ لقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم : « مَنْ لم يكنْ لهُ ورَعٌ يحجزُهُ عنْ معاصي اللهِ إذا خلا . . لم يعبأِ اللهُ بشيءٍ مِنْ عملِه »[2] .

لا شيءَ يُخجِلُكَ يومَ القيامةِ مثلُ درهمٍ أنفقْتَهُ في حرامٍ[3] .

جنازةً . . فاحسبها أنت ، وإذا عاينتَ قبراً . . فتوهَّمه قبرك ، وعُدَّ باقي الحياة ربحاً ، أيها الباكي علىٰ أقاربه الأموات ؛ ابكِ علىٰ نفسك ، فالماضي قد فات ، وتأهَّب لنزول البلايا وحلول الآفات ، وتذكَّر قول من إذا ذكرك . . قال : مات ، كأنك بما أتى الماضين قد أتاك ، ولقد صاح بك نذيرهم : أنت غداً كذاك ، وليخرسنَّ الموت بسطوته فاك إذا وافاك ، إنما اليوم لهذا وغداً لذاك .

(١) روىٰ أبو إسحاق عن أبي ميسرة : أنه كان إذا أوىٰ إلىٰ فراشه . . قال : (يا ليت أمي لم تلدني) ، فقالت له امرأته : يا أبا ميسرة ؛ إن الله قد أحسن إليك ، هداك للإسلام ؟! قال : (أجل ، إن الله يُبيِّن لنا أنَّا واردو النار ، ولم يبين أنَّا صادرون منها) . وعن الحسن قال : (كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا التقوا . . يقول الرجل منهم لصاحبه : هل أتاك أنك وارد النار ؟ فيقول : نعم ، فيقول : هل أتاك أنك خارجٌ منها ؟ فيقول : لا ، فيقول : ففيمَ الضحك ؟!) انظر « التخويف من النار » (ص٢٥٠) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢/٣٨٦) ، والديلمي في « مسند الفردوس » (٢٩٦٤) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه بلفظ : « خشية الله : رأس كل حكمة ، والورع : سيد العمل ، ومن لم يكن له ورع . . . » . وأخرج الطبراني في « الأوسط » (٤٨٤٨) عن سيدنا علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من لم يكنَّ فيه . . فليس مني ولا من الله » قيل : وما هنَّ ؟ قال : « حلم يردُّ به جهل الجاهل ، أو حسن خلق يعيش به في الناس ، أو ورع يحجزه عن معاصي الله » .

(٣) أشد الناس خجلاً يوم القيامة : من أنفق نعمة الله في معصية الله !! أخرج ابن ←

[احذر موالاة الذنوب]

ليسَ الشَّأنُ مَنْ يرفُقُ بكَ إذا وافقْتَهُ ، **بلِ الشَّأنُ** في مَنْ يرفُقُ بكَ إذا خالفْتَهُ ، **وممَّا يُخافُ عليكَ** : موالاةُ الذُّنوبِ لِيستدرِجَكَ فيها ، ويُمكِّنَكَ منها ، قالَ اللهُ تعالى : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] [القلم : ٤٤] .

إنْ كانَتْ معَكَ عنايةٌ . . **ينفَعكَ القليل** ، وإنْ لم تكُنْ معَكَ عنايةٌ . . **لم ينفَعْكَ الكثير**[2] ، لو كُشِفَ عنْكَ الحجابُ . . **لرأيتَ كلَّ شيءٍ ناطقاً مُسبِّحاً للهِ تعالى** ؛ ولكنَّ النَّقصَ فيكَ ، والحجابَ منْكَ !![3] .

أبي حاتم في « تفسيره » (٧٩٦٢) عن مجاهد قال : (لو أنفقت مثل أبي قُبيس ذهباً . . **لم يكن إسرافاً** ، ولو أنفقت صاعاً في معصية الله . . **كان إسرافاً**) .

(١) قال الإمام يحيى بن المثنى رحمه الله تعالى في هذه الآية ؛ كما في « الدر المنثور » (٣/ ٦١٨) : (كلما أحدثوا ذنباً . . **جدَّدنا لهم نعمةً تنسيهم الاستغفار**) ، وقال الإمام سفيان رحمه الله تعالى فيها أيضاً : (**نسبغ عليهم النِّعم ونمنعهم شكرها**) .

(٢) قال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى : (إن وضع عدله . . **لم تبقَ لهم حسنة** ، وإن نالهم فضله . . **لم تبقَ لهم سيئة**) .

وما أحسن قول سيدي أبي الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى في دعائه ومناجاته : (**واجعل سيئاتنا** سيئات مَن أحببت ، **ولا تجعل حسناتنا** حسنات مَن أبغضت ؛ **فالإحسان لا ينفع** مع البغض منك ، **والإساءة لا تضر** مع الحبِّ منك) انتهى من « غيث المواهب العلية » (ص٦٦) لابن عباد رحمه الله تعالى .

(٣) قال تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٤] ، وقد ثبت : أن الصحابة الكرام رضي الله عنهم **كانوا يسمعون تسبيح الطعام** ، وهم يأكلون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحديث الجذع الذي كان يخطب عليه النبي صلى الله عليه وسلم كلها في « الصحيح » ، **ومن ذلك** : تسبيح الحصىٰ في كفِّه صلى الله عليه وسلم ، **فسماعهم** : هو إظهار للتسبيح لا ابتداؤه ، **وحجابنا** : يمنعنا من سماع ذلك .

[إياك أن تُرخص دينَك]

ما أكثرَ احترازَكَ علىٰ بدنِكَ ، **وما أرخصَ دينَكَ عليك** !! لو قيلَ لكَ : إنَّ هذا الطعامَ مسمومٌ . . **لامتنعْتَ منه** ، ثمَّ لو حلفَ لكَ بالطَّلاقِ أنَّهُ ليسَ بمسمومٍ . . **لتوقَّفتَ عنه** ، بلْ لو غسلْتَ الوعاءَ الَّذي هوَ بهِ مِراراً . . لنفَرَتْ نفسُكَ منه ؛ **فلِمَ لا تكُنْ كذلكَ في دِينِك** ؟ ![1] .

وكمْ للهِ عليكَ مِنْ أيادٍ أكثرَ مِنْ أُمِّك !! إنَّها إذا أخذتْكَ وأنتَ صغيرٌ . . تُلبِسُكَ أحسنَ الملابسِ ، فإنْ وسَّخْتَها . . تخلَع عليكَ ثياباً أُخَرَ في الوقت[2] ، وأنتَ تأتي إلىٰ مملكةٍ مُزينةٍ ليسَ فيها موضعُ شِبرٍ إلا ويصلُحُ للسجودِ عليه ، **تكشفُ ثيابَكَ وتوسِّخُهُ بالمعصية** ؟ ![3] .

---

(١) دخل أبو العتاهية على الخليفة هارون الرشيد يوماً ، فقال له : أنشدني ، فقال : **اجعل لي الأمان** !! فقال له : **أنت آمن** ، فأنشد : (من البسيط)

لا تأمَنِ الموتَ في طَرْفٍ ولا نفَسٍ	وإنْ تستَّرْتَ بالحُجَّابِ والحرسِ
واعلم بأنَّ سهامَ الموتِ قاصدةٌ	لكــلِّ مــدَّرعٍ منَّــا ومتَّــرسِ
ما بالُ دينك ترضىٰ أنْ تُدنِّسَه	وثوبك الدهرَ مغسولٌ من الدنسِ
ترجو النجاةَ ولم تسلك مسالكها	إن السفينة لا تجري على اليبسِ

قال : **فخرَّ الرشيد مغشياً عليه** .

(٢) أخرج البخاري (٥٦٥٣) ، ومسلم (٢٧٥٤) واللفظ له عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : قدم علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبيٍ فإذا امرأةٌ من السَّبْيِ قد تَحَلَّب ثديَها ـ أي : امتلأ وتهيأ للحلب ـ تسعىٰ إذا وجدَتْ صبياً في السبي . . أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته ، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أترون هذه المرأة طارحةً ولدها في النار** ؟ » قلنا : لا والله ؛ وهي تقدر علىٰ أن تطرحه ؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **للهُ أرحمُ بعباده من هذه بولدها** » .

(٣) أخرج البخاري (٤٣٨) ، ومسلم (٥٢١) عن سيدنا جابر رضي الله عنه قال : ←

هكذا فِعْلُك ، **تُجْلَىٰ عليكَ المحاسنُ** فتجعلُ فيها ما يُكدِّرُها مِنَ المعصية !![1] .

ليسَ كلُّ مَنْ صحِبَ الأكابرَ اهتدىٰ بصُحبتِهِم ، فلا تجعلْ صحبةَ المشايخِ عِلَّةً في أمنِكَ ، فمَنِ اغترَّ باللهِ . . **فقدْ عصَاه** ؛ **لأنَّك أمِنْتَ عقوبتَهُ** ؛ كما يقولُ الجاهلُ : صحبْتُ سيدي فلاناً ، ورأيتُ سيدي فلاناً ، ويَدَّعونَ دعاوىٰ كاذبةً باطلة ، **بل كانَ ينبغي لهم أنْ تزيدَهُمْ صحبةُ المشايخِ خوفاً ووَجَلاً** ؛ فقد صحِبَ الصَّحابةُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم وكانوا أكثرَ وجلاً ومخافة[2] .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أُعطيت خمساً لم يُعطهن أحد من الأنبياء قبلي** : نُصرت بالرعب مسيرة شهر ، **وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً** ، وأيما رجل أدركته الصلاة . . فليصل . . . » الحديث ، **والأرض ستحدث أخبارها** ، فهنيئاً لمن شهدت له ولم تشهد عليه ، **والعاقل** من اتعظ بغيره .

(١) لما اتُّهم شاعر الزهد أبو العتاهية رحمه الله تعالى بالزندقة . . قال : **والله ؛ ما ديني إلا التوحيد** ، ثم أنشد : (من المتقارب)

ألا إنَّنـــا كلنـــا بـــائـــدُ ... وأي بنـــي آدم خـــالـــدُ
وبَــدْؤهــم كــان مــن ربهــم ... وكـــلٌّ إلــىٰ ربهــم عـــائـــدُ
فيــا عجبــاً كيــف يُعصَــى الإلــ ... ــه أم كيـف يجحـده الجاحـدُ
ولله فـــي كـــلِّ تحـــريكـــةٍ ... وفـــي كـــل تسكينـــةٍ شـــاهـــدُ
وفـــي كـــل شـــيءٍ لـــه آيـــةٌ ... تـــدلُّ علـــىٰ أنَّـــه واحـــدُ

(٢) أخرج مسلم (٢٧٥٠) عن سيدنا حنظلة الأُسَيدي رضي الله عنه قال : لقيني أبو بكر فقال : **كيف أنت يا حنظلة** ؟ قال : قلت : **نافق حنظلة** ، قال : سبحان الله ؛ ما تقول !! قال : قلت : نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم **يُذكِّرنا بالنار والجنة حتىٰ كأنَّا رأيَ عين** ، فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . . عافَسْنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيراً ، قال أبو بكر : فوالله ؛ **إنَّا لنلقىٰ مثل هذا** ، فانطلقتُ أنا وأبو بكر حتىٰ دخلنا علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم . . قلت : **نافق حنظلة يا رسول الله** ، فقال رسول الله ←

وربَّما كانَ **الغِنىٰ دفعاً والفقرُ جمعاً** ؛ لأنَّ الفاقةَ تُحوِجُكَ أنْ تتضرَّعَ إلى الله ، ولَفاقةٌ تجمعُكَ على اللهِ . . **خيرٌ مِنْ غنىً يقطعُكَ عنه**[1] .

[أعرض عن العصاة وادعُ لهم]

كما أُمِرْتَ أنْ تُعرِضَ عنِ المعصية . . **أُمِرتَ أنْ تُعرضَ عمَّنْ عصىٰ** ، وتدعوَ لهُ في الغَيبة ، والناسُ اليومَ على العكس ، وما عسىٰ أنْ ينفَعَكَ صومُكَ وصلاتُكَ **وأنتَ تقَعُ في عِرضِ أخيكَ المسلم** ؟![2] .

❋ ❋ ❋

صلى الله عليه وسلم : « **وما ذاك ؟** » قلت : يا رسول الله ؛ نكون عندك تذكِّرنا بالنار والجنة حتىٰ كأنا رأي عين ، فإذا خرجنا من عندك . . **عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً** ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده ؛ إن لو تدومون علىٰ ما تكونون عندي وفي الذِّكر . . **لصافحتكم الملائكة علىٰ فُرُشكم وفي طُرقكم** ؛ ولكن يا حنظلة ؛ **ساعة وساعة** » ثلاث مرات .

(١) أخرج أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٥/ ٢٣٦) عن يزيد بن ميسرة رحمه الله تعالىٰ قال : (**لا تضر نعمة معها شكر** ، **ولا بلاء معه صبر** ، **ولَبلاءٌ في طاعة الله** خيرٌ من نعمةٍ في معصية الله) .

(٢) أخرج مسلم (٢٧٣٣) عن صفوان قال : قدمتُ الشام فأتيتُ أبا الدرداء في منزله فلم أجده ، ووجدت أم الدرداء فقالت : أتريد الحج العام ؟ فقلت : نعم ، قالت : **فادعُ الله لنا بخير** ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : « **دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة** ؛ عند رأسه ملَكٌ موكَّل ، كلما دعا لأخيه بخير . . **قال الملك الموكل به** : **آمين** ، **ولك بمثل** » .

قال الإمام النووي رحمه الله تعالىٰ في « شرحه علىٰ مسلم » (١٧/ ٤٩) : (ولو دعا لجماعةٍ من المسلمين . . **حصلت هذه الفضيلة** ، ولو دعا لجملة المسلمين . . **فالظاهر** : حصولها أيضاً ، وكان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه . . **يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة** ؛ لأنها تُستجاب ويحصل له مثلها) .

[جدِّدوا إيمانكم]

قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم : « **جدِّدُوا إيمانَكم بقولِ : لا إلهَ إلَّا الله** »[1] ، فدلَّ ذلكَ علىٰ أنَّه يحصلُ لهُ غبارُ المعصيةِ ، ودنسُ المخالفة ، **وما كلُّ غِشٍّ يُطهِّرُهُ الماء** ، بل رُبَّ غشٍّ لا يطهرُهُ إلا النار ؛ كالذَّهبِ إذا كانَ فيه الغِشُّ ، فكذلكَ العصاةُ من هذهِ الأمَّةِ **لا يَصلحونَ لدخول الجنةِ حتَّىٰ تُطهِّرَهُمُ النَّار**[2] .

لا تحسدْ إلا عبداً قد لُفَّ في ملابسِ التقوىٰ[3] ، **هذا هوَ العيش** ، وما أطيبَ عيشَ المحبِّ معَ الحبيبِ إذا لم يطَّلعْ عليهِ رقيب !! فإنْ أحبَّ

---

(1) أخرجه الحاكم (٤/٢٥٦) ، وأحمد (٢/٣٥٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/٣٥٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(2) أخرج أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١/٣١) عن زيد بن أرقم قال : كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه مملوك يغلُّ عليه ، فأتاه ليلة بطعام ، **فتناول منه لقمة** ، فقال له المملوك : ما لك كنت تسألني كل ليلة ولم تسألني الليلة ؟! قال : (**حملني علىٰ ذلك الجوع ، من أين جئتَ بهذا ؟**) قال : مررت بقومٍ في الجاهلية ، فرقيتُ لهم فوعدوني ، فلما كان اليوم مررتُ بهم ، فإذا عرسٌ لهم ، فأعطوني ، قال : (**إن كدتَ أن تهلكني**) فأدخل يده في حلقه ، فجعل يتقيَّأ ، وجعلَتْ لا تخرج ، فقيل له : إن هذه لا تخرج إلا بالماء ، فدعا بطستٍ من ماء ، فجعل يشرب ويتقيأ حتَّىٰ رمىٰ بها ، فقيل له : يرحمك الله ؛ **كل هذا من أجل هذه اللقمة ؟!** قال : (**لو لم تخرج إلا مع نفسي .. لأخرجتها** ؛ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **كلُّ جسدٍ نبتَ من سُحتٍ .. فالنار أولىٰ به** » فخشيتُ أن ينبت شيءٌ من جسدي من هذه اللقمة) .

(3) أخرج البخاري (٧٣) ، ومسلم (٨١٦) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لا حسد إلا في اثنتين** : رجل آتاه الله مالاً فسلَّطه علىٰ هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله حكمةً فهو يقضي بها ويعلِّمها » ، وهذا يسمىٰ حسد الغبطة .

أنْ يطَّلعَ عليهِ رقيبٌ . . فما صدقَ في حبِّه ، وكلُّ مَنْ أحبَّ أنْ يَعلمَ أحدٌ بحالِهِ . . فقد خُدِعَ[1] .

[طلِّق الدُّنيا قبل أن تطلِّقك]

ولا تكُنْ كأربابِ الدُّنيا الَّذينَ طلَّقتْهُم الدُّنيا ، **بلْ كُنْ مِنَ الَّذينَ طلَّقوها** وفارقوها قبلَ افتراقِهم .

فمثالُكَ إذا آثرْتَ الدُّنيا على الآخرة : كمَنْ كانَتْ لهُ زوجتان ؛ **إحداهما** : عجوزٌ خائنة ، **والأخرىٰ** : شابَّةٌ وفيَّة ، فإذا آثرْتَ العجوزَ الخائنةَ على الشَّابةِ الوفيةِ . . **أفما تكونُ أحمقَ ؟!**[2] .

ربَّما قضىٰ عليكَ بالذَّنْبِ ؛ ليُخرجَ منكَ الكِبْرَ والعُجْب ، فقد رُوِيَ :

---

(١) كان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالىٰ يقول : (أهلُ الليل في ليلهم . . **ألذُّ من أهل اللهو في لهوهم** ، ولولا الليل . . **ما أحببتُ البقاء في الدنيا**) ، ومَن لم يشاركهم في هواهم ، وذوق حلاوة نجواهم . . **لم يدرِ ما الذي أبكاهم** ، من لم يشاهد جمال يوسف . . **لم يدرِ ما الذي آلم قلبَ يعقوب** ، صحائفُ التائبين **خدودهم** ، ومدادُهم **دموعهم** ، إذا بكىٰ الخائفون . . **فقد كاتبوا الله بدموعهم** . انظر « لطائف المعارف » (ص٩٦) .

(٢) دخل ضرار بن ضمرة الكناني علىٰ معاوية رضي الله عنه فقال له : (**صِفْ لي علياً**) فقال : أوَتعفيني يا أمير المؤمنين ؟
قال : (**لا أعفيك**) فأخذ يصف ، ومما قاله : فأشهد بالله ؛ لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، يميل في محرابه ، قابضاً علىٰ لحيته ، ويتململ تململ السليم ، ويبكي بكاء الحزين ، فكأني أسمعه الآن وهو يقول للدنيا : (**إليَّ تغررتِ** ، إليَّ تشوفتِ ، **هيهاتَ هيهاتَ** ، غُرِّي غيري ، **قد بتَتُّكِ ثلاثاً** ؛ فعمركِ قصير ، ومجلسكِ حقير ، وخطركِ يسير ، **آهِ آه من قِلَّة الزاد** ، وبُعْدِ السفر ، ووحشة الطريق) **فوكفَتْ دموع معاوية** رضي الله عنه علىٰ لحيته ما يملكها ، **وجعل ينشِّفها بكُمِّه** ، وقد اختنق القوم بالبكاء ، فقال : (**كذا كان أبو الحسن** . . .) انظر « حلية الأولياء » (١/ ٨٤ ـ ٨٥) .

(رُبَّ ذنبٍ أدخلَ صاحبَهُ الجنةَ)[1] .

يصلِّي الرَّجُلُ ركعتينِ فيعتمدُ عليهما ، ويركنُ إليهما ، ويُعجَبُ بهما ؛ فهذهِ حسنةٌ أحاطَتْ بها سيئاتٌ ، وآخرُ يفعلُ المعصيةَ فتُكْسِبُهُ الذِّلَّةَ والانكسار ، وتُديمُ المسكنةَ والافتقار ؛ فهذهِ سيئةٌ أحاطَتْ بها حسناتٌ[2] .

[اشتغل بإساءتك عن إساءة غيرك]

كفىٰ بكَ جهلاً : نظرُكَ إلىٰ صغيرِ إساءةِ غيرِكَ ، وتعاميكَ عنْ كبيرِ إساءَتِك !![3] .

لا تنتقدْ على الناسِ بظاهرِ الشَّرعِ ، ولا تُنكرْ عليهم ؛ فلو خُوطِبَ الناسُ اليومَ بما كانَتْ عليهِ الصَّحابةُ والسَّلفُ الصَّالحُ . . لم يستطيعوا ؛

---

(١) أخرج ابن المبارك في « الزهد » (١٦٢) عن الحسن مرسلاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة » قيل : كيف ؟! قال : « يكون نُصْب عينيه ثابتاً قاراً حتَّىٰ يدخل الجنة » .
وأخرج هناد في « الزهد » (٨٩٧) عن الحسن قال : (إن الرجل ليذنب الذنب ما يزال به كئيباً حتَّىٰ يدخل الجنة) .

(٢) قال بعضهم كما في « لطائف المعارف » (ص٥٨) : (ذنبٌ أفتقرُ به إليه . . أحبُّ إليَّ من طاعةٍ أدلُّ بها عليه ، أنينُ المذنبين . . أحبُّ إليه من زَجَل المُسَبِّحين ؛ لأن زجل المسبِّحين ربَّما شابهُ الافتخار ، وأنين المذنبين يزينه الانكسار والافتقار) .

(٣) أخرج ابن حبان (٥٧٦١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يبصر أحدكم القَذَاة في عين أخيه ، وينسى الجِذْع في عينه !! » .
وأنشد بعضهم : (من الطويل)

عجبتُ لمن يبكي علىٰ عيبِ غيرِهِ — دموعاً ولا يبكي علىٰ عيبه دما
وأعجبُ مِنْ هذا يرىٰ عيبَ غيره — صغيراً وفي عينيه مِن عيبه عمى

لأنَّ أولئكَ حُجَجُ اللهِ علىٰ خَلْقِهِ[1] .

مثالُ [الدُّنيا] عندَ أربابِ البصائرِ : كجيفةٍ أدخلَتِ الكلابُ خراطيمَها فيها[2] ، أرأيتَ إذا غمَسَ رجلٌ فمَهُ في جيفةٍ . . أفما تعيبُ عليه ؟

فإذا كانَ الحقُّ سبحانَهُ وتعالىٰ قد جعلَ ميزاناً للبيعِ والشِّراء . . أفما جعلَ[3] ميزاناً للحقائق ؟!

المتنجِّسُ القَدَمِ : لا يصلحُ للمحاضرة ؛ فكيفَ بمَنْ تنجَّسَ فمُهُ ؟!

* * *

---

(١) أخرج الترمذي (٢٢٦٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنكم في زمانٍ : من ترك منكم عُشر ما أُمر به . . هلك ، ثم يأتي زمانٌ من عمل منكم بعُشر ما أُمر به . . نجا » .

وأخرج الطبراني في « الكبير » (١٠/ ١٨٢) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن من ورائكم زمان صبر ، للمتمسك فيه أجر خمسين شهيداً » فقال عمر : يا رسول الله ؛ منّا أو منهم ؟ قال : « منكم » .

(٢) في النسخ كلها : (مثال الذنبِ . . .) ، وفي (ب) : (أدخلت الكلاب فراطيسها) وهما بمعنىً ، والمراد : أنوفها .

(٣) في (ج ، ط) : (أفما تجعلُ) .

[من خان هان]

مَنْ خانَ . . هان ؛ قيمةُ اليدِ خمسُ مئةِ دينار ، فإذا خانَتْ . . **قُطِعَتْ في ربعِ دينار**[1] ، ومَنْ تجرَّأَ علىٰ صغيرةٍ . . **وقعَ في كبيرةٍ**[2] .

اعرفْ كمائنَ نفسِكَ ولا تثِقْ بها ، إذا قالَتْ لك : زُرْ فلاناً . . **فربَّما**

---

(١) لقد صان الله سبحانه الإنسان ، وفرض الحدود لحماية الحقوق ؛ فمن تعدَّىٰ علىٰ يد أخيه . . **وجب عليه نصف دية** ، ولو سرقَتْ هذه اليدُ ربع دينار . . قُطِعت ، **والسؤال** : لِمَ هذا التفاوت بين الدية والحد ؟ وفي هذا إشارة إلى الشُّبهة التي نُسِبت إلىٰ أبي العلاء المعري في قوله : (من البسيط)

بخمسِ مئينَ عَسْجدٍ وُدِيَتْ ... ما بالُها قُطِعَتْ في رُبعِ دينارِ ؟

فأجابه القاضي عبد الوهاب المالكي رحمه الله تعالىٰ بقوله :

عزُّ الأمانةِ أغلاها وأرخَصَها ... ذلُّ الخيانة فافهم حكمةَ الباري

وبعضهم أجاب : (لما كانت أمينة . . **كانت ثمينة** ، فلما خانت . . **هانت**) .

(٢) ويقال : **إن استصغار الذنب كبيرة** ، وقد ورد : **المؤمن** : الذي يرىٰ ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه ، **والمنافق** : الذي يرىٰ ذنبه كذبابٍ مرَّ علىٰ أنفه فأطاره ، **فلا تنظر إلىٰ قلَّة الهدية** ، وانظر إلىٰ عظمة مُهديها ، **ولا تنظر إلىٰ صغر الخطيئة** ، وانظر إلىٰ كبرياء مَنْ واجهْتَهُ بها ؛ **فإنما عظمت الذنوب** من تعظيم المواجَه بها ، وكبرت في القلوب لمشاهدة ذي الكبرياء ومخالفة أمره إليها ، فلم يصغر ذنبٌ عند ذلك ، **وكانت الصغائر** عند الخائفين كبائر .

ومن هذا قول سيدنا أنس رضي الله عنه ؛ كما في « صحيح البخاري » (٦٤٩٢) للتابعين : (**إنكم لتعملون أعمالاً** هي أدقُّ في أعينكم من الشَّعْر ؛ **إنْ كُنَّا لنعدُّها في عهد النبي** ـ صلى الله عليه وسلم ـ **من الموبقات**) ليسوا يعنون أن **الكبائر** التي كانت علىٰ عهد النبي صلى الله عليه وسلم صارت بعده صغائر ، **ولكن كانوا يَسْتعظمون الصغائر** ؛ لعظمة الله تعالىٰ في قلوبهم ؛ لعظيم نور الإيمان ، ولم يكن ذلك في قلوب مَن بعدهم ، وأوحى الله تعالىٰ إلىٰ بعض أوليائه : (**كم من ذنب رأيته منك** ؛ قد أهلكت بدونه أمةً من الأمم !!) .

رُحتَ إلىٰ نارٍ تتأجّجُ ، ترمي نفسَكَ فيها عمداً ، فما هذا زمانُ اجتماعٍ ، قلَّما تجلسُ مجلساً إلا وتعصي اللهَ فيه ؛ فكثيرٌ مِنَ السَّلفِ آثروا الجلوسَ في بُيوتِهم ، وتركوا صلاةَ الجماعة[1] .

فإنْ طالبتْكَ النَّفسُ بالخروجِ . . فاشغلْهَا بالقُعودِ في الدارِ بشيءٍ مِنَ الطَّاعات[2] ؛ فإنَّ الغيبةَ أشدُّ مِنَ ثلاثينَ زنيةً في الإسلام[3] ، ولكنَّ الكلابَ لا ترقدُ في دارٍ عاليةِ الحِيطانِ بل على المزابلِ .

---

(١) تكثر الفتن في آخر الزمان ، ويكثر القتل والظلم وسفك الدماء ، وتكون النجاة في العزلة ولو في رأس جبل ، أخرج الترمذي (٢٤٠٦) عن سيدنا عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ؛ ما النجاة ؟ قال : « أمسِكْ عليك لسانك ، ولْيَسعْكَ بيتُك ، وابكِ علىٰ خطيئتك » .
قال العلامة عبد الغني النابلسي رحمه الله تعالىٰ في كتابه النافع « تكميل النعوت في لزوم البيوت » (ص٦٤) : (واعلم : أن الزمان قد أصبح في فسادٍ عظيم ، وأصبح الناس في ضرٍّ كثير ؛ فإنهم يشغلونك عن عبادة الله تعالىٰ ، حتىٰ لا يكاد يحصل لك منها شيء ، ثم يفسدون عليك ما حصل لك حتىٰ لا يكاد يَسْلَم لك منه شيء ، فلزمتك العزلة والتفرُّد عن الناس ، والاستعاذة بالله تعالىٰ من شر هذا الزمان وأهله ، والله تعالى الحافظ بفضله ورحمته) ، أما صلاة الجماعة . . فلا تُترك ، وقد سبق التعليق علىٰ ذلك (ص ٥٧ـ٥٨) .

(٢) أخرج البيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٦٥٦) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه قال : (نِعمَ صومعة الرجل بيته ؛ يكفُّ فيها بصره ولسانه ، وإياكم والسُّوق ؛ فإنها تلغي وتلهي) .

(٣) أخرج البيهقي في « شعب الإيمان » (٥١٣٥) ، وذكره السيوطي في « الدر المنثور » (١٠٢/٢) وعزاه لابن أبي الدنيا والبيهقي عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر الربا وعظَّم شأنه ، فقال : « إن الرجل يصيب من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ستٍّ وثلاثين زنيةً يزنيها الرجل ، وإن أربى الربا عِرضُ الرجل المسلم » .

[أمثلة القلوب كالدِّيار]

مَنْ أرادَ أن ينظرَ إلىٰ أمثلةِ القلوبِ . . **فلينظُرْ إلى الدِّيارِ** : **فدارٌ خربَتْ** قدْ بقيَتْ مِبولةً للبوَّالينَ ، وقلبٌ كالدَّارِ العامرة ، **وقلبٌ كالدَّارِ الخرابِ** لا تطهرُ حتَّىٰ تعاملَ اللهَ تعالىٰ[1] .

فتصدَّقْ كلَّ يومٍ ولو بربُعِ درهمٍ أو بلُقمةٍ ؛ حتَّىٰ يكتبَكَ اللهُ في ديوانِ المتصدِّقينَ[2] ، **واتْلُ مِنَ القرآنِ** ولو آيةً حتَّىٰ يكتبَكَ الله في ديوانِ

---

(١) **واعلم** : أنَّ القلوبَ ثلاثةٌ : **قلبٌ خالٍ من الإيمان وجميع الخير** ، فذلك قلبٌ مظلمٌ ، قد استراح الشَّيطان من إلقاء الوساوس إليه ؛ لأنه قد اتَّخذه بيتاً ووطناً وتحكَّم فيه بما يريد ، وتمكَّن منه غاية التمكُّن . **الثَّاني** : قد استنار بنور الإيمان وأوقد فيه مصباحه ، لكن عليه ظلمة الشَّهوات وعواصف الأهواء ، فللشيطان هناك إقبالٌ وإدبار ، ومجاولات ومطامع ، فالحرب دُوَل وسِجال . **الثالث** : قلب محشو بالإيمان ، قد استنار بنور الإيمان ، وانقشعت عنه حُجب الشهوات ، وأقلعت عنه تلك الظلمات ، فلنوره في صدره إيقادٌ وإشراق ، لو دنا منه الوسواس . . **لأدركه الاحتراق** ، فهو كالسماء المحروسة بالنجوم ، فليس للشيطان عليه سلطان ولا هجوم ، وليست السماء بأعظم حرمة من المؤمن ؛ التي حرسها بالنجوم المؤمنُ المهيمن . انظر « غذاء الألباب شرح منظومة الآداب » للعلامة السفاريني (١/ ٤٨) .

(٢) أخرج ابن أبي شيبة (٣٥٣٥٣) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١/ ٢٦٣) عن أبي بردة قال : لما حضر أبا موسى الوفاة . . قال : (يا بَنيَّ ؛ **اذكروا صاحب الرغيف** ، قال : كان رجلٌ يتعبَّد في صومعة ـ أُراه قال : سبعين سنة ـ لا ينزل إلا في يوم واحد ، قال : فشبه أو شب ـ أي : حسَّن ـ الشيطان في عينه امرأةً ، **فكان معها سبعة أيام أو سبع ليال** ، قال : ثم كُشف عن الرجل غطاؤه ، **فخرج تائباً** ، فكان كلما خطا خطوة . . صلىٰ وسجد ، فآواه الليل إلىٰ دكان **كان عليه اثنا عشر مسكيناً** ، فأدركه العَياء ، فرمىٰ بنفسه بين رَجُلينِ منهم ، وكان ثَمَّ راهب **يبعث إليهم كل ليلة بأرغفة** ، فيعطي كل إنسانٍ رغيفاً ، فجاء صاحب الرغيف ، فأعطىٰ كل إنسان رغيفاً ، ومرَّ علىٰ ذلك الرجل الذي خرج تائباً ، فظن أنه مسكين فأعطاه ←

التَّالينَ[1] ، **وصَلِّ من الليلِ** ولو ركعتينِ حتَّىٰ يكتبَكَ اللهُ معَ القائمينَ .

وإياكَ تغلط وتقول : مَنْ عندَهُ قوتُ يوم بيوم كيفَ يتصدَّقُ ؟! قالَ اللهُ تعالى : ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ﴾ [الطلاق : ٧] ؛ **فمثالُ المسكينِ** : إذا تُصدِّقَ عليهِ . . كالمطيةِ تحمِلُ زادَكَ إلى الآخرةِ[2] .

مَنْ أرادَ النِّهاياتِ . . **فعليهِ بتصحيحِ البداياتِ**[3] .

❋ ❋ ❋

رغيفاً ، فقال المتروك لصاحب الرغيف : **ما لك لم تعطني رغيفي** ، ما كان بك عنه غنىً ؟ فقال : أتراني أمسكته عنك ، سَلْ **هل أعطيت أحداً منكم رغيفين** ؟ قالوا : لا ، قال : تراني أمسكته عنك ؟ والله ؛ **لا أعطيك الليلة شيئاً** ، فعمد التائب إلى الرغيف الذي دفعه إليه **فدفعه إلى الرجل الذي ترك** ، فأصبح التائب ميتاً ، قال : **فوُزنت السبعون سنة** بالسبع الليالي ، **فرجحت السبع الليالي** ، ثم وزنت السبع الليالي بالرغيف ، **فرجح الرغيف** ، فقال أبو موسى : يا بَنيَّ ؛ **اذكروا صاحب الرغيف**) .

(١) أخرج الدارمي (٣٤٥٨) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه موقوفاً عليه قال : (من قرأ في ليلةٍ عشرَ آياتٍ . . **كُتب من الذاكرين** ، ومن قرأ بمئة آيةٍ . . **كُتب من القانتين** ، ومن قرأ بخمس مئة آيةٍ إلى الألف . . **أصبح وله قنطارٌ من الأجر**) قيل : وما القنطار ؟ قال : (**ملء مسك الثور ذهباً**) .

(٢) نقل الإمام الشعراني في كتابه « العهود المحمدية » (ص١٣٩) : أن شخصاً سأل سيدنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين شيئاً ، **فأخرج بَدْرةً فيها عشرة آلاف دينار** وقال : (والله ؛ **ما وجدت لك غيرها**) فقال له الشخص : أعطني أجرة حملها إلىٰ منزلي ، **فأعطاه طيلسانه** ، فولَّىٰ وهو يقول : **أشهد أنك من أولاد المرسلين حقاً** . وكان علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم إذا وجد علىٰ بابه سائلاً يقول : (**مرحباً بمن يحمل زادي إلى الآخرة** بغير أجرة مني حتىٰ يضعه بين يدي الله عز وجل) .

(٣) لأن من أشرقت بدايته . . **أشرقت نهايته** ؛ كما قاله المؤلف رحمه الله تعالىٰ في « الحكم العطائية » (ص ٢٠) .

[الشِّفاء بمُرِّ الدواء]

مَنْ صدَقَ معَ اللهِ . . **كفاهُ اللهُ مضرَّةَ الأعداءِ** ، وحمل عنهُ مؤنةَ الأدواء[1] ؛ **لأنَّه قدْ هانَ كلَّ الهوانِ** مَنِ احتاجَ إلى الخَلْقِ .

أتظنُّ أنَّ الدَّواءَ حلوىٰ تأكلُهُ ؟ إنْ لم تهجُمْ عليهِ هجماً . . **لم يحصُلْ لكَ الشِّفاء** ، **فاهجُمْ على التَّوبة**[2] ، ولا تغلبنَّكَ حلاوةُ المعصية ، وإذا رأيتَ نفسَكَ متطلِّعةً إلى الشَّهوةِ . . فاهربْ إلى اللهِ واستغِثْ بهِ ؛ **فإنَّهُ يُنجيكَ منها** .

[أين البصيرة ؟]

بدلَ ما تقولُ : أينَ أصحابُ الخطوةِ ؟ أينَ الأولياءُ ؟ أينَ الرِّجالُ ؟ قُلْ : **أينَ البصيرةُ ؟**[3] .

---

(١) **الأدواء** : جمع داء ؛ وهو المرض جسدياً كان أو قلبياً ، ومن التجأ إلى الله بصدقٍ . . **كفاه ما أهمَّه وأغمَّه** .

(٢) **وذلك بالأسىٰ** علىٰ ما فات ، **وإصلاح** ما هو آت ، **والاستغفار باللسان** من الذنوب التي مضت ، **وحل الإصرار** من القلب ، **والعزم علىٰ ترك العود** إلىٰ ما لا يَحلُّ ، **والندم علىٰ ما كان منه** مع الاستغفار ، فإذا دام علىٰ ذلك . . **كان من الراجين لقَبول العذر بالتوبة** . انظر كتاب « القصد والرجوع إلى الله » (ص١٤٦) للإمام الحارث المحاسبي رحمه الله تعالى .

(٣) **البصر** : نور العين ؛ وهو ما يبصر به المرئيات ؛ **كما أن البصيرة** : قوة القلب المدركة ، أو نور القلب ؛ وهو ما يستبصر ويتأمل ، **فكأنهما جوهران لطيفان** ، خلقهما الله تعالىٰ آلتين للإبصار وللاستبصار ، ويقال للضرير : **بصير** ؛ لما له من قوة بصيرة القلب . وقال بعض أهل الوفاء : **البصيرة** : فقه القلب في حل إشكال مسائل الخلاف فيما لا يتعلق العلم به تعلق القطع ، **وحقيقتها** : نورٌ يُقذف في القلب ، يستدل به العقل الخابط خبط عشواء علىٰ سبيل الإصابة ، **وعين البصيرة** ←

هلْ يصلُحُ للمتلطِّخِ بالعَذِرَةِ أن يَرىٰ بنتَ السُّلطانِ ؟ ![1] .

عَنِ الشَّيخِ مكينِ الدِّينِ الأسمرِ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ : كُنتُ بالإسكندريةِ **فرأيتُ شمساً** قد طلَعَتْ معَ الشَّمسِ ، **فتعجبْتُ مِنْ ذلكَ** ، فدنوتُ فإذا شابٌّ كما خطَّ عِذارُهُ[2] ، **قد غلَبَ نورُهُ علىٰ نورِ الشَّمسِ** ، فسلَّمْتُ عليهِ ، فردَّ عليَّ السَّلامَ .

فقلتُ لهُ : **مِنْ أينَ** ؟ فقالَ : صليتُ الصُّبحَ في المسجدِ الأقصىٰ ببيتِ المقدس ، وأُصلِّي عندَكُمُ الظهرَ ، وأُصلِّي العصرَ بمكةَ ، والمغربَ بالمدينةِ .

أتم في النظر من عين البصر ؛ لأن جميع ما حواه العالم تتصرف في جميعه ، والحكم عليه حكماً يقيناً صادقاً ، والعين لا تبصر ما بعُد ولا ما قرُب قرباً مفرطاً ، قال الإمام الشبلي رحمه الله تعالىٰ : استنار قلبي يوماً **فشهدت ملكوت السماوات والأرض** ، فوقعت مني هفوة فحُجب عني شهود ذلك ، **فعجبت كيف حجبني هذا الأمر الصغير** عن هذا الأمر الكبير !! فقيل لي : (**البصيرة كالبصر أدنىٰ شيء يحل فيها يعطل النظر**) انظر « فيض القدير » (١/ ٢٦٠) .

(١) أي : مَن تنجَّس بالقاذورات . . **لا يُسمح له بمخاطبة الناس ومجالستهم** ، ومن تنجَّس باطنه . . **كيف يناجي مولاه** ؟!
حُكي عن محمد بن واسع رحمه الله : **أنه ما رآه أحدٌ قط ضاحكاً** ، وأنه كان يبكي حتىٰ يرحمه الناس ، فذُكر له ذلك ، فقال : (يا أحبائي ؛ **وكيف يضحك** من لا يدري ما أثبت عليه في كتابه ، **ولا يدري بما يختم له** ؟) ، وكان رجلٌ يكلِّمه في حاجةٍ ، فقال له محمد بن واسع : (ادنُ منّي ؛ **فلو كانت للذنوب رائحة . . لما قدرْتَ أن تدنوَ مني**) ، فيا معشر المذنبين مثلي ـ ونفسي أعني وكلنا مذنب ـ لا تغترُّوا بستر الله تعالىٰ عليكم ؛ فإن له يوماً يهتك فيه الأستار ، ويحاسب عباده علىٰ ما عملوا في الليل والنهار ؛ **فقومٌ إلى الجنة ، وقومٌ إلى النار** . انتهىٰ من « بستان الواعظين » (ص١٣٦ـ ١٣٧) .

(٢) كناية عن صغر سنه ، وأن لحيته لم تنبت بعدُ .

فقلتُ لهُ : تكونُ ضيفِي ؟ فقالَ : لا سبيلَ إلىٰ ذلكَ ، ثمَّ ودَّعني وانصرفَ[1] .

[إكرام المؤمن وإيذاؤه]

مَنْ أكرمَ مؤمناً . . فكأنَّما أكرمَ اللهَ تعالىٰ ، ومَنْ آذاهُ . . فقدْ آذىٰ سيِّدَهُ ومولاهُ ، فإيَّاكَ أنْ تُؤذيَ مؤمناً ؛ فإنَّ نفسَكَ قدِ امتلأتْ بمساويها ، فيكفيها حِملُكَ[2] .

ما مثالُكَ إلا كالبصلةِ : إذا قُشرَتْ . . خرجَتْ كلُّها قشوراً .

* * *

(١) هذه من الكرامات التي يكرم الله بها عباده الصالحين ؛ بأن يطويَ لهم البعد في المسافات ، كما حدث مع سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما نادىٰ علىٰ سارية ، وسمعه وبينهما مفاوز ؛ فقد رأىٰ أرض المعركة ، ومركز الأعداء ، ووصل صوته مع بُعد المكان ، وسمعوه وعملوا بأمره وهو في المدينة المنورة ، والمكرِم والمعطِي هو الله سبحانه ، وهذا لا يُنال إلا بالاستقامة ، فمن أطاع الله . . أطاعه كل شيء . انظر « الرسالة القشيرية » (ص٥٦٥) .

(٢) قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب : ٥٨] ، قال الحسن وقتادة : (إيَّاكم وأذى المؤمن ؛ فإنه حبيب ربه ، أحبَّ الله فأحبَّهُ ، وغضب لربه فغضب الله له ، وإنَّ الله يحوطه ويؤذي مَن آذاه) انظر تفسير « الكشف والبيان » للثعالبي (٨/ ٦٣) .

[طريقة لتنظيف القلب]

إذا أردْتَ تنظيفَ الماءِ . . قَطعْتَ عنهُ أسبابَهُ الخبيثة ، **فمثالُ الجوارحِ** : كالسَّواقي تجري إلى القلبِ ، **فإيَّاكَ أنْ تسقيَ قلبَكَ بالرديءِ** ؛ كالغِيبةِ والنميمةِ والكلامِ السيِّءِ ، والنَّظرِ إلىٰ ما لا يحِلُّ ، وغيرِ ذلك[1] .

فإنَّ القلبَ لا يحجبُهُ ما خرجَ منهُ ، وإنَّما يحجبُهُ ما أقامَ فيهِ ؛ **فاستنارةُ القلبِ** : بأكلِ الحلالِ[2] ، والذِّكرِ وتلاوةِ القرآن ، وصونِهِ عنِ

---

(١) قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالىٰ في « التبصرة » (٢/ ٥٧٦ـ ٥٧٧) وهو يتحدَّث عن ضروب الطهارة : (**والضرب الثاني** : تطهير الجوارح عن الآثام ، قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء : ٣٦] ، **واعلم** : أن الجوارح كالسَّواقي **توصل إلى القلب الصافيَ والكدر** ؛ فمن كفَّها عن الشر . . **جلت معدة القلب بما فيها من الأخلاط فأذابتها** ، وكفىٰ بذلك حمية ، فإذا جاء الدواء . . **صادف محلاً قابلاً** ، ومن أطلقها في الذنوب . . **أوصلت إلى القلب وسخ الخطايا وظُلَم المعاصي** ، فلو وضع الدواء . . **كان بينه وبين القلب حجاب** ، فلا تكاد الجوارح تسلم من الخطايا إلا بالعزلة ، فمن أمكنه . . **فما أحسنه** ، ومن لم يمكنه . . تحفَّظ في مخالطته للخلق تحفُّظ المجاهد في الحرب ، **والضرب الثالث** : تطهير القلب عن الأخلاق المذمومة ؛ من الحرص والحقد والحسد والكبر وغير ذلك ، ولا يمكن معالجته من أدوائه بدوائه **حتىٰ تقع الحمية التي وصفناها في كف الجوارح** ، ثم يعالج كل داء بدوائه . . .) .

(٢) قال العلامة الحارث المحاسبي في كتابه « الوصايا » (ص٦٧) وهو يتكلم عن نُدرة الحلال في زمانه ، وقد توفي سنة (٢٤٣هـ) رحمه الله تعالى : (**واعلموا** : أن الحلال الذي لا شك فيه **عزيزٌ منذ زمان** ، وإنَّما هي شبهات ممزوجات بالحرام والسُّحت ، **فيا لها شبهات مستورة** ؛ لكنها من التخاليط التي تعلمون ، **فمتىٰ يكون لأمثالنا ورع** ، أو متىٰ يصفو لنا عمل ؟ ونحن نمتلىء من الشهوات ، ونلبس الزينة من الشبهات ، وبلغنا أن بعض أهل العلم قال : بعث الله عز وجل يوم القيامة ←

النَّظرِ إلى الكائناتِ المباحات ، والمكروهاتِ والمحرَّمات ، **فلا تُطلقْ صائدَ بصرِكَ** إلا لمزيدِ علمٍ أو حكمةٍ .

[اتَّهِم نفسك]

عِوَض ما تقولُ : هذهِ المرآة صدِئَتْ ، **قُلْ** : عيني بها رمدٌ .

يكونُ بكَ حبُّ الرِّياسةِ والجاهِ وغيرِهما ، وتقولُ : ما يجذبُ الشَّيخُ قلوبَنا !! ولكنْ قُلِ : **العائقُ منِّي** ، لوِ استعددْتَ في أولِ يومٍ . . **لم تحتَجْ إلىٰ حضورِ مجلسٍ ثانٍ** ، وإنَّما احتجْتَ إلى التَّكرارِ **لقوةِ صدأ قلبِكَ** ، حتَّىٰ تكونَ لكلِّ جلسةٍ صقلةٌ[1] .

عليكَ بالحوالةِ علىٰ مولاكَ ، واترُكْ مَنْ لا يستطيعُ أنْ ينفعَ غيرَهُ[2] .

← **أقواماً من قبورهم أنتن من الجيف** ؛ وهم الذين يتلذَّذون بفضول أموالهم من الشبهات !!) ، فماذا يقول أهل هذا الزمان ؟!

(١) أخرج البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٨١٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦/ ٢٩٧) عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالىٰ قال : (**قلب المؤمن** أبيض نقي مجلي مثل المرآة ، فلا يأتيه الشيطان من ناحية من النواحي بشيء من المعاصي إلا نظر إليه كما ينظر إلىٰ وجهه في المرآة ، وإذا أذنب ذنباً . . **نُكت في قلبه نكته سوداء** ؛ فإن تاب من ذنبه . . **مُحِيت النكتة من قلبه وانجلىٰ** ، وإن لم يتب وعاود أيضاً وتتابعت الذنوب ذنبٌ بعد ذنب . . **نُكِتَ في قلبه نكتة حتىٰ يسودَّ القلب** ؛ وهو قول الله عز وجل : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين : ١٤] ، قال : الذَّنب بعدَ الذَّنب حتىٰ يسودَّ القلب ، **فما أبطأ ما تنجع في القلب المواعظ** ، فإن تاب إلى الله . . **قبله الله وانجلىٰ عن قلبه كجلاء المرآة**) .

(٢) أخرج البخاري (٢٢٨٧) ، ومسلم (١٥٦٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مُطل الغني ظلمٌ ، **وإذا أُتبع أحدكم علىٰ مليءٍ . . فليتبع** » .

والمراد : أن تجعل أمورك كلها بباب الغني سبحانه ، ودَعْ عنك مَن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً .

اقطَعْ إياسَكَ مِنَ الخلقِ ، **ووجِّهْ رجاءَكَ إلى الملكِ الحقِّ** ، وانظُرْ ماذا عملَ معكَ من أوَّلِ نشأتِكَ ؟ **ما صنعَ معكَ** إلا جوداً وإحساناً ، **وانظرْ ماذا صنعتَ معهُ** فلا ترىٰ إلا جفاءً وعصياناً [١] .

ما أكثرَ موالاتَكَ للمخلوقينَ ، وما أقلَّ موالاتكَ للهِ عزَّ وجلَّ !!

* * *

---

(١) **والحق سبحانه ينادي عليك** : اترك نفسك وتعال ، **اترك الحظوظ والخلق** إن أردت الخالق ، واخلع نعليك ـ دنياك وآخرتك ـ وتجرَّد عن الأكوان والموجودات وما سيوجد والأماني بأسرها ، **وتعرَّ عن الجميع وافْنَ عن الكل** ، وتطيَّب بالتوحيد ، واترك الشرك ، وصدِّقِ الإرادة ، **وأقبِلْ علىٰ باب مولاك** ، عساك تكون من الفائزين .

[الجوارح والقلب]

جوارحُكَ غنمُكَ ، وقلبُكَ هوَ الرَّاعي ، والله هوَ المالكُ ؛ فإنْ رعيتَها في المرعى الخصيبِ حتَّىٰ أرضيتَ المالكَ . . استوجبْتَ الرِّضا ، وإنْ رعيتَها في المرعى الوخيمِ حتَّىٰ أعجفَ أكثرُها[1] ، ثمَّ جاءَ الذِّئبُ فأخذَ بعضَها . . استوجبْتَ العقوبةَ مِنَ المالكِ ؛ فإنْ شاءَ . . انتقمَ منكَ ، وإنْ شاءَ . . عفا عنكَ[2] .

[فجوارحُكَ] : إمَّا أبوابٌ إلى الجنةِ ، وإمَّا أبوابٌ إلى النارِ ؛ فإنْ صرفتَها فيما يرضاهُ . . كنتَ ساعياً في طريقِ الجنةِ ، وإلا . . كنتَ ساعياً في طريقِ النارِ[3] .

---

(١) أي : صار نحيلاً هزيلاً من قلة الطعام .

(٢) أخرج البخاري (٥٢) ، ومسلم (١٥٩٩) عن سيدنا النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ـ وأهوى النعمان بإصبعيه إلىٰ أذنيه ـ : « إن الحلال بيِّن ، وإن الحرام بيِّن ، وبينهما مشتبهاتٌ لا يعلمهنَّ كثيرٌ من الناس ؛ فمن اتقى الشبهات . . استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات . . وقع في الحرام ؛ كالراعي يرعىٰ حول الحِمىٰ يُوشك أن يرتعَ فيه ، ألا وإن لكل ملكٍ حمىً ، ألا وإن حمى الله محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلَحت . . صلح الجسد كله ، وإذا فسدت . . فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب » .

(٣) ذكر الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالىٰ في « تنوير الغبش في فضل السودان والحبش » (ص٢٣١) عن ذي النون المصري رحمه الله تعالىٰ أنه طلب موعظةً من امرأةٍ حكيمةٍ ، فقالت : (يا أبا الفيض ؛ ضع علىٰ جوارحك ميزان القسط حتىٰ يذوب كل ما كان لغير الله عز وجل ، ويبقى القلب مصفىً ليس فيه غير الرب جل وعز ؛ فعند ذلك يقيمك علىٰ الباب ، ويوليك ولاية جديدة ، ويأمر الخيرات لك ←

[ميزان الآخرة]

فهذهِ موازينُ الحكمةِ ، **فزِنْ بها عملَكَ**[1] كما تزنُ بها الأشياءَ المحسوساتِ ؛ فإنْ أردتَ أنْ تعرفَ كيفَ تمرُّ على الصِّراطِ . . **فانظُرْ حالَكَ في الإسراعِ إلى المساجدِ** ؛ فحَريٌّ أنْ يكونَ الَّذي يأتي المسجدَ قبلَ الأذانِ **أنْ يمرَّ على الصِّراطِ كالبرقِ الخاطفِ** ، والَّذي يأتي في أولِ الوقتِ **يمرُّ عليه كأجاويدِ الخيلِ**[2] .

وهٰهنا صراطُ الاستقامةِ لا يُشهَدُ بالأبصارِ ، **ولكنْ تَشهدُهُ القلوبُ** ؛ قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] ، ولم يُشِرْ إلا إلىٰ موجودٍ ؛ فمَنْ أضاءتْ لهُ الطريقُ . . **يتبعها** ، ومَنْ كانَتْ طريقُهُ مظلمةً . . **لم يشهدْهَا فيبقىٰ متحيِّراً** .

فإنْ كنتَ قد أطلقْتَ سمعَكَ وبصرَكَ ولسانَكَ برهةً مِنْ عُمرِكَ . . **فقَيِّدِ**

بالطاعة ، فقلت : يا أختاه زيديني ، فقالت : يا أبا الفيض ؛ **خذ من نفسك لنفسك** ، وأطع ربك إذا خلوت . . **يجيبك إذا دعوت**) .

(١) في غير (أ) : (فزن بها عقلك) .

(٢) أخرج البخاري (٧٤٣٩) ، ومسلم (١٨٣) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه من حديث طويل ، ومنه : قيل : يا رسول الله ؛ **وما الجسر** ؟ قال : « دَحْضٌ مَزِلَّةٌ ، **فيه خطاطيفُ وكلاليبُ وحَسَكٌ** تكون بنجد ، فيها شويكةٌ يقال لها : السعدان ، **فيمرُّ المؤمنون** كطرف العين ، وكالبرق وكالريح ، وكالطير ، وكأجاود الخيل والركاب ؛ **فناجٍ مسلَّمٌ** ، ومخدوش مرسل ، ومكدوس في نار جهنم . . . » وقال الإمام النووي رحمه الله تعالىٰ في « شرحه علىٰ مسلم » (٣/ ٢٩) : (**معناه** : أنهم ثلاثة أقسام : **قسمٌ يَسْلَم** فلا يناله شيءٌ أصلاً ، **وقسمٌ يُخدَش** ثم يُرسل فيخلص ، **وقسمٌ يُكردس** ويلقى ، فيسقط في جهنم) نسأل الله السلامة والعافية ، والستر والنجاة .

الآنَ ما أطلقْتَ[١] ؛ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يَدخُلُ فقراءُ المؤمنينَ الجنةَ قبلَ الأغنياءِ بخمسِ مئةِ عامٍ »[٢] .

وذلكَ لأنَّهم سبقُوا في الدُّنيا بالعباداتِ وأنتَ تتركُ الجماعةَ وتُصلِّي وحدَكَ ، وإذا صلَّيتَها . . نقرْتَها نقرَ الدِّيكِ ؟![٣] ، وهلْ يُهدَىٰ للمُلوكِ إلا ما حسُنَ وانتُخِبَ ؟!

فما سبقَ الفُقراءُ إلى الجنَّة . . إلا لأنَّهم سبقُوا إلىٰ خدمةِ المولىٰ في الدُّنيا .

---

(١) أخرج ابن أبي شيبة (٢٧٠٣٠) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١/ ١٣٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (والله الذي لا إله إلا هو ؛ ما على ظهر الأرض شيء أحوج إلىٰ طول سجنٍ من لسان !!) ، وأخرج الطبراني في « الكبير » (١/ ٢٨١) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٥٨٣) قال أسود بن أصرم رضي الله عنه : يا رسول الله أوصني ، قال : « هل تملك لسانك ؟ » قلت : فما أملك إذا لم أملك لساني ؟! قال : « فهل تملك يدك ؟ » قلت : فما أملك إذا لم أملك يدي ؟! قال : « فلا تقل بلسانك إلا معروفاً ، ولا تبسط يدك إلا إلىٰ خير » .

(٢) أخرجه ابن حبان (٦٧٦) ، والترمذي (٢٣٥٤) ، وابن ماجه (٤١٢٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، ولفظه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم ؛ خمس مئة سنة » .

(٣) أخرج الطبراني في « الأوسط » (٥٩٩١) من حديث طويل فيه ضعف عن سيدنا أنس رضي الله عنه : ثم قال لي : « يا بني ؛ إذا ركعتَ . . فضع كفَّيك علىٰ ركبتيك ، وفرِّج بين أصابعك ، وارفع يديك عن جنبيك ، فإذا رفعت رأسك من الركوع . . فمكِّن لكل عضوٍ موضعه ؛ فإن الله لا ينظر يوم القيامة إلىٰ من لا يقيم صلبه » ثم قال لي : « يا بني ؛ إذا سجدت . . فلا تنقر كما ينقر الديك ، ولا تُقْعِ كما يُقعي الكلب ، ولا تفرش ذراعيك الأرض افتراش السَّبُع ، وافرش ظهر قدميك بالأرض ، وضع إليتيك علىٰ عقبيك ؛ فإن ذلك أيسر عليك يوم القيامة في حسابك . . . » .

والمرادُ بالفقراءِ : الصُّبَّر الَّذين صبرُوا علىٰ مُرِّ الفاقة[1] ؛ حتَّىٰ إنَّ أحدَهم ليفرحُ بالشِّدَّة كما تفرحُ أنتَ بالرَّخاءِ[2] [**فدخولُ الفقراءِ الجنَّة يدلُّ علىٰ تحضيضِهِم على الفاقةِ**][3] .

كفىٰ بكَ جهلاً : أنْ تتردَّد إلى المخلوقِ وتتركَ بابَ الخالق ؛ فقدِ ارتكبْتَ المعاصي من كلِّ جانبٍ ، **أفلا تكونُ مَحزوناً علىٰ نفسِكَ** ؟!

والعجبُ كلُّ العجبِ : من عبدٍ يُقبلُ علىٰ صحبةِ نفسِهِ ولا يأتيهِ الشَّرُّ إلا منها ، **ويتركُ صحبةَ اللهِ** ولا يأتيهِ الخيرُ إلا منهُ[4] .

---

(١) أخرج هناد في « الزهد » (٧٧٣) عن الزهري : أن رجلاً من أهل الشام قال : لو أتيت المدينة فأحدثت بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عهداً ، فسألتهم عن حاجتي ، فقدم المدينة ، فتقرَّاهم رجلاً رجلاً ، وأتىٰ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، فسأل عنه ، فقيل : إنه قد خرج إلىٰ حائط أو زراعة ، فأتاه فإذا هو قد وضع رداءه ، وأخذ المسحاة وهو يهيىء سُبل الماء ، فلما رآه عبد الرحمن . . **استحيا منه فوضع المسحاة** ، وأخذ رداءه فسلَّم عليه الرجل ، ثم قال : لقد جئت لأمرٍ فرأيت ما هو أعجب منه ، فقال : وما ذاك ؟ قال : **ما لنا نرغب في الجهاد** وتتثاقلون عنه ، **ونزهد في الدنيا** وترغبون فيها ؛ وأنتم أصحاب نبينا وخيارنا في أنفسنا ؟! فهل تقرؤون غير الذي نقرأ ، أو سمعتم غير الذي نسمع ؟! فقال : (ما نقرأ غير الذي تقرؤون ، ولا سمعنا إلا ما سمعتم ؛ **ولكنَّا ابتلينا بالضراء** فصبرنا ، **وابتلينا بالسراء** فلم نصبر) ، وفي (د) : (والمراد من الفقراء : الفقراء الصبر) والباء في قوله : (بالفقراء) زيادة من (ط) .

(٢) أخرج البيهقي في « شعب الإيمان » (٩٥٠٢) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١/ ١٣٢) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : (**حبذا المكروهان** : الموت والفقر ، وايم الله ؛ ما هو إلا الغنىٰ والفقر ، **وما أبالي بأيهما ابتُليتُ** ؛ لأن حقَّ الله في كل واحدٍ منهما واجب ، إنْ كان الغنىٰ . . **إن فيه للعطف** ، وإنْ كان الفقر . . **إن فيه للصبر**) .

(٣) ما بين معقوفين زيادة من (ج ، ط) .

(٤) قال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى ؛ كما في « سير أعلام النبلاء » ←

[صحبة كلِّ شيءٍ علىٰ حسبه]

فإن قيلَ : كيفَ صُحبتُك لله ؟ فاعلم : أنَّ صحبةَ كلِّ شيءٍ علىٰ حسبِهِ ؛ فصحبةُ اللهِ تعالىٰ : بامتثالِ أوامرِهِ واجتنابِ نواهيهِ ، وصحبةُ الملَكَيْنِ : بأنْ يُملِيَهما الحسنات ، وصحبةُ الكتابِ والسُّنَّة : أن يَعمَلَ بهما ، وصحبتُكَ السَّماءَ : بالتَّفكُّر فيها ، وصحبتُكَ الأرض : بالاعتبارِ لِما فيها .

وليسَ مِنْ لازمِ الصُّحبةِ وجودُ الرُّتبة ؛ فالمعنىٰ في صُحبةِ اللهِ : صحبةُ أياديهِ ونِعَمِهِ ؛ فمَنْ صَحِبَ النِّعمَ بالشُّكر[1] ، وصحِبَ البَلايا بالصَّبر[2] ،

(١٣/ ١٥) : (مسكينٌ ابن آدم ؛ قلعُ الأحجار أهونُ عليه من ترك الأوزار ، لا تستبطىء الإجابة وقد سددْتَ طريقها بالذنوب ، الدنيا لا تعدل عند الله جناح بعوضة ، وهو يسألك عن جناح بعوضة) .

(١) نقل العلامة ابن مفلح رحمه الله تعالىٰ في « الآداب الشرعية » (٣/ ٢٢٢) عن أبي حازم الأعرج التابعي رحمه الله تعالىٰ قال : (كل نعمةٍ لم يُشكر الله عليها . . فهي بلية) ، وقال أيضاً : (إذا رأيتَ الله يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه . . فإنما هو استدراجٌ فاحذره) ، وقال بعضهم : (من الطويل)

إذا كانتِ الأقدارُ من مالكِ الملكِ ... فسِيَّانَ عندي ما يسرُّ وما يُبكي

وقالوا : ليس العجب ممن يلتذُّ بالنعيم . . إنما العجب ممن يلتذ بالعذاب الأليم ؛ وذلك لا يكون إلا بخرق عادة النفس حتىٰ تلتذَّ بما يتألم به الناس !!

(٢) قال ابن علان رحمه الله تعالىٰ في « الفتوحات المكية » (٤/ ٤٥٧) : (يقول عمر بن الخطاب : « ما ابتلاني الله بمصيبةٍ . . إلا رأيتُ لله فيها عليَّ ثلاثَ نِعَم : إحداها : أنْ لم تكن في ديني ، الثانية : حيث لم تكن أكبر منها ، الثالثة : ما وعد الله عليها من الثواب » ومن كان في مصيبةٍ واحدةٍ يرىٰ ثلاث نِعَم . . فقد انتقل إلىٰ مصيبةٍ أعظم من تلك المصيبة ؛ فإنه يتعيَّن عليه إقامة ميزان الشكر علىٰ ثلاث نِعَم ، فابتلاه الله بمصيبةٍ واحدةٍ ليصبر عليها ، وابتلتْهُ معرفته في تلك المصيبة بثلاث مصائب ؛ كلَّفه الله الشكر عليها حيث أعلمه بتلك النِّعم في تلك المصيبة الواحدة ، فانظر إلىٰ معرفة عمر رضي الله عنه كيف أوجب علىٰ نفسه مثل

وصحِبَ الأوامرَ بالامتثالِ ، والنَّواهيَ بالانزجَارِ ، والطَّاعةَ بالإخلاصِ . . فقَدْ صحبَ اللهَ تعالىٰ ، فإذَا تمكَّنَتِ الصُّحبةُ . . صارَتْ خلَّة[1] .

إيَّاكَ أنْ تقولَ : ذهَبَ الخيرُ وطُوِيَ بِسَاطُهُ ؛ فلسْنَا نُريدُ مَنْ يُقنِّطُ النَّاسَ مِنْ رحمةِ اللهِ تعالىٰ ويُؤيِّسُهُم مِنَ الله ؛ ففِي زبورِ داوودَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : « أرحمُ ما أكُونُ بعبدِي : إذَا أعرَضَ عنِّي ؛ فرُبَّ مُطيعٍ هلَكَ بالعُجْبِ ، ورُبَّ مُذنبٍ غُفِرَ لَهُ بسببِ كَسْرِ قلبِهِ » .

[عبدٌ سبق سيده]

عنِ الشَّيخِ مكينِ الدِّينِ الأسمرِ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ أنَّه قالَ : رأيتُ بالإسكندريةِ عبداً معَ سيِّدِهِ وعليهِما لواءٌ قد أطبَقَ ما بينَ السَّماءِ والأرضِ ، فقُلْتُ : يا تُرىٰ هذا اللواءُ للسَّيِّدِ أو للعبدِ ؟ فتبعْتُهُمَا حتَّى اشتَرَىٰ لَهُ سيِّدُهُ حاجةً وفارقَهُ .

فلمَّا ذهبَ العبدُ . . ذهبَ معَهُ اللِّواءُ ، فعلمْتُ أنَّه وليٌّ مِنْ أولياءِ اللهِ

← هذا ، وانظر إلىٰ ما فيها من الأدب حيث عدل عن النظر فيها من كونها مصيبة إلىٰ رؤية النعم فتلقَّاها بالقَبول ؛ لأن النعمة محبوبةٌ لِذاتها ، فرضي ، فكان له مقام الرضا والاستسلام والتفويض والصبر والاعتماد على الله ، وأين الناس من هذا الذوق الشريف ؟!) .

(١) ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله تعالىٰ في « الجواب الكافي » (ص٢٣٤ـ ٢٣٥) : أن أنواع المحبة أربعة ؛ أحدها : محبة الله ، الثاني : محبة ما يحب الله ؛ وهي التي تدخله في الإسلام ، الثالث : الحب لله وفيه ، الرابع : المحبة مع الله ؛ وهي المحبة الشركية ، وأما الخلة . . فهي تتضمَّن كمالَ المحبة ونهايتها ؛ بحيث لا يبقىٰ في قلب المحب سعةٌ لغير محبوبه ، وهي منصبٌ لا يقبل المشاركة بوجهٍ ما ، وهذا المنصب خاصٌّ بالخليلينِ صلوات الله وسلامه عليهما : سيدنا إبراهيم وسيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام ؛ كما قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً » أخرجه مسلم (٥٣٢) .

تعالى ، فجئْتُ إلىٰ سيِّدِهِ وقلْتُ له : أتبيعُنِي هذا العبدَ ؟ فقالَ : لماذَا ؟ **فما زالَ بي حتَّىٰ ذكرتُ لَهُ أمرَهُ** ، فقالَ لي : يا سيِّدي ؛ والَّذي تطلبُهُ أنتَ أنا أولىٰ بِهِ ، فأعتقَهُ ، **وكانَ ولياً كبيراً**[1] .

فمنهُمْ مَنْ يَعرِفُ الأولياءَ بالشَّمِّ مِنْ غيرِ وجودِ طيبٍ ، **ومنهُمْ** مَنْ يَعرِفُهُمْ بالذَّوقِ : إذَا رأىٰ وليّاً . . **ذاقَ طعمَ الحلاوةِ في فمِهِ** ، وإذَا رأىٰ صاحبَ قطيعةٍ . . **ذاقَ طعمَ المرارةِ في فمِهِ** ! ![2] .

* * *

---

(١) أورد الإمام المقريزي في « مختصر قيام الليل » للحافظ محمد بن نصر المروَزي رحمهما الله تعالىٰ (ص٦٦) قوله : (وكان هشام الدستوائي لا يطفىء سراجه بالليل ، فقالت له امرأته : **إن هذا السراج يضرُّ بنا إلى الصباح** ، فقال : ويحكِ إنكِ إذا أطفأتيه . . **ذكرتُ ظلمة القبر فلم أتقارّ** . وكان مملوكٌ تقول له مولاته : **ألا تَدَعُنا ننام** ؟ فيقول : إنما لكِ نهاري وليس لكِ ليلي ؛ إني إذا ذكرتُ النار . . **طار نومي** ، وإني إذا ذكرتُ الجنة . . **طال حُزني**) ، وزاد الشيخ عبد الرحمن السنجري في كُتيبه اللطيف النافع « تعال نبكِ لنطفىء بحاراً من نار » (ص٤٨) : أن القصة مع سيدٍ وعبده ، والعبد لا يَدَع السيد ينام من شدة بكائه ، ولما سأله عن ذلك . . قال : (يا مولاي ؛ إذا جنَّ عليَّ الليل . . **ذكرتُ ظلمة القبر وظلمة جهنم** فيطير نومي ، فإذا ذكرت الوقوف بين يدي ربي . . **عَظم غمُّ قلبي** ، وإذا ذكرتُ الجنة ونعيمها . . **تضاعف شوقي إليها ؛ فكيف لي بالنوم** ؟! فلما سمع سيده منه ذلك . . خرَّ مغشياً عليه ، فلما أفاق . . قال : يا غلام ؛ مِثلي لا يصلح أن يملك مثلك ، **اذهب فأنت حرٌّ لوجه الله**) .

(٢) قال العلامة علي بن عبد الله باراس اليمني رحمه الله تعالىٰ في شرحه على الحكم المسمىٰ « شفاء السقم وفتح خزائن الكلم » (ص٦٦٠) رقم الحكمة (١٨٧) : (**وذوو البصائر** سماسرة الحق ، نقَّادُ خالصِ الحق من زيفه ، **يعرفون المتكلِّم في الكلام** ، **ويعرفون السالك في النظام** ، لا يخفىٰ عليهم الحق بتلبيس الباطل ؛ **فبعضهم** يعرف الحديث النبوي من كلام الصحابي من كلام التابعي ، **وبعضهم** يعرف الشريف العلوي ـ أي: من ساداتنا أهل البيت ـ بكلامه وإن لم يره ، ويميزون كلام أهل كل مقامٍ في فحوى الكلام ؛ **فللصادقين أعلام** يعرفها أولو الأفهام) .

[الحمية أصل الدواء وعمرُ الغافل ذاهبٌ هباء]

مَنْ لم يترُكِ المحرَّماتِ.. لم ينفَعْهُ القِيامُ بالواجباتِ ، مَنْ لم يَحْتَمِ.. لم ينفَعْهُ الدَّواءُ[1] .

ما أقلَّ بركةَ مالٍ وقعَتْ فيهِ أيدِي النَّاهبينَ !! فهذا ـ واللهِ ـ عُمُرُ الغافلِ منهوبٌ[2] .

---

(١) أخرج أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٧/ ٢٨٨) عن سفيان بن عيينة رحمه الله تعالىٰ قال : (كان يقال : أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة : رجلٌ كان له عبدٌ فجاء يوم القيامة أفضل عملاً منه ، ورجلٌ له مالٌ فلم يتصدَّق منه فمات فورثه غيره فتصدَّق منه ، ورجلٌ عالم لم ينتفع بعلمه فعلَّمه غيره فانتفع به) ، وفي النسخة (أ) : (ومن لم ينفعه الدواء.. لم يزل عنه الداء ، ومن لم يحتم...) وهما بمعنىً .

(٢) قال المؤلف رحمه الله تعالىٰ في « حكمه » : (ما فات من عمرك.. فلا عوض له ، وما حصل لك منه.. لا قيمة له) ، قال العلامة علي بن عبد الله باراس اليمني رحمه الله تعالىٰ في شرحه على الحكم المسمىٰ « شفاء السقم وفتح خزائن الكلم » (ص٧١٤) علىٰ هذه الحكمة رقم (٢٠٨) : (عمر العبد : هو مدة إمكانه وفسحة زمانه ، وهو مزرعة السعادات ، وبذر المكاشفات ، وأصل دوحة القربات ، ومنها تمتدُّ أفنان الدرجات ، ومن الذي يحيط بما تحت ذلك فضلاً عن أن يكون له ثمناً ، كيف وموضعُ سَوط في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها ـ كما في « صحيح البخاري » (٣٢٥٠) ـ وأقل جزاء من يدخلها.. يُعطىٰ مثل الدنيا مرات ـ كما في « صحيح مسلم » (١٨٧) ـ هذا في حق العوام ، وأما الخواص.. فيتحسَّرون علىٰ فوات مجالسة المحبوب ؛ كما ورد : أن سيدنا داوود عليه السلام بكىٰ طويلاً ، فقال له الحق : « ممَّ البكاء ؛ إن كان من الذنب.. فقد غفرتُه ، وإن كان من الخصم.. فقد أرضيتُه ؟ » فقال : « يا ربِّ ؛ ليس من ذلك ، ولكن الساعة التي واقعتُ فيها ما واقعته.. هل تعود ؟ » فقال : « يا داوود ؛ قد فات ما فات ») انتهىٰ بتصرف واختصار .

مثالُ الدُّنيا : كعجوزٍ جذماءَ برصاءَ سُتِرَتْ بثوبِ حريرٍ ، فالمؤمنُ نافرٌ ومُنَفِّرٌ عنها ؛ لانكشافِها لَهُ .

وما لبِسَ أحدٌ لباساً أنْتَنَ مِنْ لباسِ الدَّعوىٰ ؛ بأنْ يقولَ في المخاصمَةِ : أنتَ مثلي وأنتَ يصلُحُ لكَ أنْ تُكلِّمَني ؟ ومَنْ أنتَ حتَّىٰ أُكلِّمَكَ ؟[1] .

فأوَّلُ مَنْ هلَكَ بذلكَ إبليسُ ؛ فإيَّاكَ وهذا ولَوْ كانَ أعرجَ أجذمَ أجربَ . . فلا تَحقِرْهُ ؛ لحُرمَةِ : (لا إلٰهَ إلا اللهُ) في قلبِهِ ، وحَسِّنْ ظنَّكَ بكلِّ أحدٍ . . تُفلح[2] .

[حقيقة حسن الخُلُق]

أتحسبُ أنَّ حُسْنَ الخُلُقِ هوَ أنْ يكونَ الإنسانُ حَسَنَ الملقى ؟ ومَنْ أكرمَ النَّاسَ وضيَّعَ حقوقَ اللهِ تعالىٰ . . ليسَ هذا بخُلُقٍ حسَنٍ ، بل

---

(١) ذكر الإمام القرطبي رحمه الله تعالىٰ في « تفسيره » (١٨/ ٢٩٤ـ ٢٩٥) : أن مُطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير رأى المهلب بن أبي صفرة يتبختر في مطرفِ خزٍّ وجُبَّة خز ، فقال له : (يا عبد الله ؛ ما هذه المشية التي يبغضها الله ؟! فقال له : أتعرفني ؟ قال : نعم ؛ أولُكَ : نطفةٌ مَذرة ، وآخِرُك : جيفةٌ قذرة ، وأنت فيما بين ذلك : تحمل العَذِرة ، فمضى المهلب وترك مشيته) ، زاد أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٨٤) : فقال المهلب : (الآن عرفتني حقَّ المعرفة) ، ونظم هذا الكلام الشاعر محمود الوراق رحمه الله تعالىٰ فقال : (من المنسرح)

عجبتُ من مُعجبٍ بصورته ... وكان في الأصل نطفةً مذِرةْ
وفي غدٍ بعدَ حسنِ صورته ... يصير في اللَّحد جيفةً قذرةْ
وهو علىٰ تيهه ونخوته ... ما بين ثوبيه يحملُ العذرةْ

ففكِّرْ في حالاتك الثلاث ، ولا تتكبَّر علىٰ عباد الله .

(٢) وإنما أُخفيتْ عنا ليلة القدر كما أُخفِيتْ ساعة الإجابة يوم الجمعة ؛ لنجتهد في جميعه بالعبادة ، وكما أُخفي الولي في الخَلْق ؛ لنحسِّن الظن بكل مسلم .

لا تكونُ ممدوحاً بحُسْنِ الخُلقِ **حتَّىٰ تكونَ قائماً بحقوقِ اللهِ تعالىٰ** ، وقائماً بأحكامِهِ ، مُستسلماً لأوامرِ اللهِ تعالىٰ مُجتنباً لنواهِيهِ ؛ فمَنْ مَنعَ نفسَهُ معاصيَ اللهِ وأدَّىٰ حقوقَ اللهِ تعالىٰ . . **فقَدْ حسُنَ خلُقُه**[1] .

ما سلَّطَ اللهُ عليكَ ألسنةَ العبادِ **إلا لترجعَ إليه**[2] .

لا تزالُ لكَ قيمةٌ عندَ اللهِ تعالىٰ حتَّىٰ تعصِيَ ، فإذا عصيْتَ . . **فلا قيمةَ لكَ** ، **التَّقوىٰ** : هِيَ تركُ معصيةِ اللهِ حيثُ لا يَراكَ أحدٌ[3] .

* * *

---

(١) أخرج الترمذي (١٩٨٧) عن سيدنا أبي ذر وسيدنا معاذ رضي الله عنهما ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اتقِ الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، **وخالق الناس بخلق حسن** » ، وقال الحارث المحاسبي رحمه الله تعالى : (**ثلاثة أشياء عزيزة أو معدومة** : حسن الوجه مع الصيانة ، وحسن الخلق مع الديانة ، وحسن الإخاء مع الأمانة) انظر « جامع العلوم والحكم » (١/ ٤٥٤) .

(٢) قال بعض الصالحين : (**ألسنة الخلق أقلام الحق**) سبحانه وتعالىٰ ـ وهذا ليس بحديث ـ ولكن الله جل وعلا ينطقهم بالحق ، ومن أسرَّ سريرة . . **ألبسه الله رداءها** ، فيعطي كل عامل بركات أعماله ، فيلقي على ألسنة الخلق مدحه ، وعلىٰ قلوبهم هيبته ، والعكس بالعكس ، نسأله الستر في الدنيا والآخرة .

(٣) قال بعضُهم : عجِبْتُ من ضعيفٍ يعصِي قوياً !! وورد : « **أفضلُ الإيمانِ** : أن يعلمَ العبدُ أنَّ الله معه حيثُ كان » فيوجبُ ذلكَ الحياءَ منه في السرِّ والعلانيةِ ، قال بعضُهُم : **خَفِ الله** علىٰ قدرِ قدرتِهِ عليكَ ، **واستحِ منه** علىٰ قدرِ قُربِهِ منكَ ، وقال بعضُهم لمن استوصَاهُ : **اتَّقِ الله أن يكونَ أهونَ الناظرينَ إليكَ** !! وفي هذا المعنىٰ يقولُ بعضُهم : (من السريع)

يـا مـدمـنَ الـذنـب أمـا تستَحِي ... والله فـي الخلـوةِ ثـانيكـا
غـرَّكَ مـن ربِّـكَ إمهـالُـهُ ... وستـرُهُ طـولَ مسـاويكـا

انظر « تفسير ابن رجب الحنبلي » رحمه الله تعالىٰ (١/ ٧٠٣ـ ٧٠٤) .

[من أدب النبوة]

كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم إذا شرِبَ الماءَ .. قالَ : « **الحمدُ للهِ الَّذي جعلَهُ عَذْباً فُراتاً برحمَتِهِ ، ولم يجعَلْهُ مِلحاً أُجاجاً بذُنوبِنا** »[1] .

وهوَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم **مقدَّسٌ عن الذُّنوب** ، ولكِنْ تواضعاً منْهُ وتَعليماً ، وكانَ يُمكِنُ أنْ يقولَ : (بذنوبِكُم) ، وما أكَلَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم ولا شربَ .. **إلا ليعلِّمَنا الأدبَ** ؛ وإلا .. فكانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم يُطعَمُ ويُسْقَىٰ[2] .

فالعارفُ يُنكِّسُ رأسَهُ إذا شرِبَ ، وربَّما تقطُرُ عيناهُ بالدُّموعِ ويقولُ : **هذا تودُّدٌ مِنَ اللهِ تعالىٰ** .

كانَ بعضُهُمْ لا يَخرُجُ لصلاةِ الجماعة ؛ **لما يَعرِضُ لهُ في طريقِهِ** ،

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٣٧) ، والبيهقي في « الشعب » (٤١٦٢) عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين ، والحديث مرسل .

(٢) للنفس طعام ، وللقلب طعام ، وللسرِّ طعام ؛ أخرج البخاري (١٩٦٥) ، ومسلم (١١٠٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال : نهىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال ، فقال رجلٌ من المسلمين : فإنك يا رسول الله تواصل ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **وأيكم مثلي ؟ إني أبيتُ يطعمني ربي ويسقيني** » يعني : يطعم سري معانيَ ، يطعم روحي الروحانية ، يغذيني بغذاء يخصُّني ؛ **في الأول** عرج بقالبه وقلبه ، **ثم بعد ذلك** صار يعرج بقلبه وسرِّه وهو حاضر بين الناس ، صلى الله عليه وسلم .

وهكذا وُرَّاثه على الحقيقة الذين جمعوا بين العلم والعمل ، والإخلاص والتعليم للخلق . انظر « الفتح الرباني » للشيخ الجيلاني رحمه الله تعالىٰ (ص٢٠٨) .

منهُمْ : مالكُ بنُ أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، **لأنَّ الجماعةَ رِبْحٌ** ، والرِّبحُ بعدَ رأسِ المالِ لا يُحسَبُ .

ليسَ السِّباعُ في البرِّيَّةِ ، **بلِ السِّباعُ في الأسواقِ والطُّرُقِ** ، وهيَ الَّتي تنهشُ القلوبَ نَهْشاً[1] .

مثالُ مَنْ يُكثِرُ مِنَ الذُّنوبِ والاِستغفارِ : كمثلِ مَنْ يُكثِرُ شُرْبَ السُّمِّ ، ويُكثرُ استعمالَ التِّرياقِ ، فيُقالُ لهُ : قَدْ لا تصلُ إلى التِّرياقِ مرَّةً ، **فيهجُمُ** عليكَ الموتُ قبلَ الوصولِ إليهِ[2] .

[مرض القلب وعلاجه]

مَنْ مرضَ قلبُهُ .. **مُنعَ أنْ يلبسَ لباسَ التَّقوىٰ** ، فلو صحَّ قلبُكَ مِنْ مرضِ الهوَىٰ والشَّهوةِ .. **تحمَّلْتَ أثقالَ التَّقوىٰ**[3] ؛ فمَنْ لم يجِدْ حلاوةَ

---

(١) أخرج النسائي في « الكبرى » (٧٨٩١) عن سيدنا أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال : دخلتُ المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، فجئت فجلستُ إليه ، قال : « يا أبا ذر ؛ **تعوَّذْ بالله من شرِّ شياطين الجن والإنس** » قلت : **أوَ للإنس شياطين** ؟ قال : « نعم » . وقد تقدم نحو هذا الحديث .

(٢) تقول العرب : (**في الصيف ضَيَّعَتِ اللَّبن**) وهو مثلٌ مشهور ، **وقصته** : أن دختنوس بنت لقيط بن زرارة كانت تحت عمرو بن عمرو ، **وكان شيخاً كبيراً فكرهته** ، فطلقها ، ثم تزوجها فتىً ، **وأجدبت وافتقرت عنده** ، فبعثت إلىٰ عمرو تطلب منه حَلوبة ، فقال عمرو : (في الصيف ضيعت اللبن) **فذهبت مثلاً** ، وإنما خص الصيف ؛ لأن سؤالها الطلاق كان في الصيف ، **وهذا المثل يضرب** لمن يطلب شيئاً قد فوَّته علىٰ نفسه ؛ **فالحذر الحذر قبل** ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر : ٥٦] ، ﴿ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ [ص : ٣] .

(٣) أخرج البيهقي في « شعب الإيمان » (٤٩٨١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن الإيمان سربالٌ يسربله الله من يشاء** ، فإذا زنى العبد .. **نُزع منه سربال الإيمان** ، فإن تاب .. **رُدَّ عليه** » .

الطَّاعة . . دلَّ علىٰ مرضٍ في قلبِهِ منَ الشَّهوة ، وقَدْ سمَّى اللهُ تعالى الشَّهوةَ مرضاً بقولِهِ تعالى : ﴿ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾ [الأحزاب : ٣٢] .

ولكَ في علاجِهِ طريقانِ : استعمالُ ما هوَ لكَ نافعٌ ؛ وهوَ الطَّاعةُ ، واجتنابُ ما هوَ لكَ مُضِرٌّ ؛ وهوَ المعصيةُ .

فإنْ فعلْتَ ذَنْباً وأعقَبْتَهُ بالتَّوبةِ والنَّدمِ والانكسارِ والإنابةِ . . كانَ ذلكَ سببَ وصلتِكَ بهِ ، وإنْ فعلْتَ طاعةً وأعقبْتَهَا بالعُجبِ والكِبْرِ . . كانَ ذلكَ سببَ القطيعةِ عنهُ[1] .

عجباً لكَ ؛ كيفَ تطلبُ صلاحَ قلبِكَ وجوارِحُكَ تفعلُ ما شاءَتْ مِنَ المحرَّماتِ ؛ كالنَّظرِ والغِيبةِ والنَّميمةِ وغيرِ ذلِكَ ؟![2] .

قال الشاعر : (من الطويل)

إذا المرءُ لم يَلبَسْ ثياباً مِن التُّقى	تقلَّبَ عرياناً ولو كان كاسيا
وخيرُ لباسِ المرءِ طاعةُ ربِّه	ولا خيرَ فيمن كان لله عاصيا

وقال تعالى : ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف : ٢٦] فبيَّن أن التقوىٰ خيرُ لباس ، وقال ابن عباس : (لباس التقوىٰ : هو العمل الصالح) .

(١) ذكر الإمام الغزالي رحمه الله تعالىٰ في « الإحياء » (٦/ ٤٨٧) : (عن عمر بن شبَّة قال : كنت بمكة بين الصفا والمروة ، فرأيتُ رجلاً راكباً بغلةً وبين يديه غلمان ؛ وإذا هم يُعنِّفون الناس ، قال : ثم عُدْتُ بعدَ حينٍ فدخلتُ بغداد فكنتُ على الجسر ؛ فإذا أنا برجلٍ حافٍ حاسرٍ طويل الشعر ، قال : فجعلت أنظر إليه وأتأمَّله ، فقال لي : ما لك تنظر إليَّ ؟ فقلت له : شبَّهتُك برجلٍ رأيتُه بمكة ، ووصفتُ له الصفة ، فقال له : أنا ذلك الرجل ، فقلت : ما فعل الله بك ؟! فقال : إني ترفَّعتُ في موضعٍ يتواضع فيه الناس ، فوَضَعَني الله حيث يترفَّع الناس) .

(٢) أخرج أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠/ ٤٠١) عن سعيد بن العباس رحمه الله تعالىٰ قال : (إذا تواضعتَ . . فقد أدركتَ جميع الفضائل ، وإذا حفظتَ لسانك . . فقد حفظتَ جميع جوارحك ، وإذا أخلصتَ الأعمال . . فقد أحكمتَ جميع عملك) .

فمثالُكَ : كمَنْ يَتداوَىٰ بالسُّمِّ ، أو كمَنْ أرادَ تنظيفَ ثوبِهِ بالسَّوادِ ، **فعليكَ بالخَلوةِ والعُزلةِ** ، فمَنْ كانَتِ العُزلةُ دأبَهُ . . **كانَ العِزُّ لَهُ** ، فمَنْ صدقَتْ عزلتُهُ . . **ظفِرَ بمواهبِ الحقِّ له بالمِنَنِ**[١] .

وعلامتُهَا : كشفُ الغِطاءِ ، وإحياءُ القلبِ ، وتحقيقُ المحبةِ .

[المعوَّل علىٰ حسن العمل لا كثرته]

عليكَ بحُسنِ العملِ لا بكثرتِهِ ؛ **فمثالُ كثرةِ العملِ معَ عدمِ الحُسْنِ فيهِ** : كالثِّيابِ الكثيرةِ الوضيعةِ الثَّمنِ[٢] ، **ومثالُ قلَّةِ العملِ معَ حُسنِهِ** : كالثِّيابِ القليلةِ الرَّفيعةِ الثَّمن ؛ كالياقوتةِ صغيرٌ جِرْمُها ، كثيرٌ ثمنُها[٣] .

---

(١) **واعلم** : أن العزلة لا ينبغي أن تقطع عن العلم والجماعات ومجالس الذكر والاحتراف للعائلة ، **وإنما ينبغي أن يعتزل الإنسانُ ما يؤذي** ، ومن خاف من المخالطة المباحة أذىً . . **فيجتهد في ترك ما يخاف عواقبه** .

(٢) أخرج الخطيب في « المتفق والمفترق » (٢٨١) ، وسَمُّويه في « فوائده » كما في « الدر المنثور » (٦/ ٢٤٧) عن سالم مولىٰ أبي حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَيُجاء يوم القيامة بقومٍ معهم حسناتٌ مثال جبال تهامة ؛ حتىٰ إذا جيء بهم . . **جعل الله تعالىٰ أعمالهم هباءً** ، ثم قذفهم في النار » قال سالم : بأبي وأمي يا رسول الله ؛ **حلِّ لنا هؤلاء القوم** ؟ قال : « كانوا يصلون ويصومون ويأخذون سنة من الليل ؛ **ولكن كانوا إذا عرض عليهم شيء من الحرام** . . **وثبوا عليه** ، فأدحض الله تعالىٰ أعمالهم » .

(٣) قال الإمام أبو طالب المكي رحمه الله تعالىٰ في « قوت القلوب » (٢/ ٢٧١) : (وروينا في الإسرائيليات : أنَّ رجلاً مرَّ بكثبان من رملٍ في مجاعةٍ ، فقال في نفسه : لو كان لي هذا الرمل طعاماً . . **لقسمتُه بين الناس** ، قال : فأوحى الله تعالىٰ إلىٰ نبيهم : أن قل له : **إن الله تعالىٰ قد قَبِل صدقتك** ، وقد شكرَ حُسن نيتك ، **وأعطاك ثواب ما لو كان طعاماً فتصدَّقتَ به** !! وفي أخبار كثيرة : « من همَّ بحسنةٍ فلم يعملها . . **كُتبت له حسنة** ») فلا تعجزكم النيات الصالحة الصادقة .

فمَنْ أشغلَ قلبَهُ باللهِ ، وعالجَهُ ممَّا يطرأُ عليهِ من الهوىٰ . . **كانَ أفضلَ ممَّنْ يُكثِرُ مِنَ الصَّومِ والصَّلاةِ** .

مثالُ مَنْ صلَّى الصَّلاةَ بغيرِ حضورِ قلبٍ : كانَ كمَنْ أهدَىٰ للمَلِكِ مئةَ صُندوقٍ فارغةٍ ، فيستحِقُّ العقوبةَ مِنَ الملِكِ ، ومَنْ صلاها بحضورِ القلبِ . . **كانَ كمَنْ أهدَىٰ لهُ ياقوتةً تُساوِي ألفَ دينار** ؛ فإنَّ الملِكَ يَشكرُهُ عليها دائماً .

إذَا دخلْتَ في الصَّلاةِ . . **فإنَّكَ تُناجي اللهَ** سبحانَهُ وتعالى ، **وتُكلِّمُ رسولَ اللهِ** صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم ؛ **لأنَّكَ تقولُ** : (السَّلامُ عليكَ أيُّها النبيُّ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ) ، ولا يُقالُ : (أيُّها الرَّجلُ) عند العرب إلا لمن يكونُ حاضراً [١] .

❊ ❊ ❊

---

(١) قال بعضهم : (**الصلاة من الآخرة** ، فإذا دخلت في الصلاة . . **خرجت من الدنيا**) ، وقيل لآخر : **هل تحدِّث نفسك في الصلاة بشيء من الدنيا** ؟ قال : (لا ، لا في الصلاة ، ولا في غيرها) ، وسُئل بعضهم : **هل تذكر في الصلاة شيئاً** ؟ قال : (وهل شيء أحب إليَّ من الصلاة فأذكره فيها ؟!) انظر « مسطور الإفادة بما يعين على الحضور في العبادة » (ص ١٧٥) الطبعة الأولى .

[ركعتان في جوف الليل]

ركعتانِ باللَّيلِ خيرٌ مِنْ ألفِ ركعةٍ بالنَّهارِ[١] ، وأنتَ لا تُصلِّي فيهِ ركعتينِ فتجد ذلكَ في ميزانِكَ[٢] ، وهل يُشترَى العبدُ إلا للخدمةِ ؟! هل رأيتَ عبداً يُشترَىٰ ليأكلَ وينامَ ؟! ما أنتَ إلا عبدٌ اشتُرِيتَ ؛ قالَ اللهُ تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾[٣] [التوبة : ١١١] .

مَنْ لم يُلزِمْ نفسَهُ . . لزمَتْهُ ، مَنْ لم يُطالِبْهَا . . طالبَتْهُ ، فلو جعلْتَ

---

(١) أخرج عبد بن حميد ؛ كما في « الدر المنثور » (٦/ ٢٧١) عن قتادة : أن سلمان جاءه رجلٌ فقال : لا أستطيع قيام الليل ؟ قال : (إن كنت لا تستطيع قيام الليل . . فلا تعجز بالنهار) ، قال قتادة : ذُكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : « والذي نفس محمد بيده ؛ إن في كل ليلةٍ ساعةً لا يوافقها رجلٌ مسلمٌ يصلِّي فيها يسأل الله فيها خيراً . . إلا أعطاه إياه » قال قتادة : فأروا الله من أعمالكم خيراً في هذا الليل والنهار ؛ فإنهما مطيتان تحملان الناس إلىٰ آجالهم ، تقرِّبان كلَّ بعيد ، وتبليان كل جديد ، وتجيئان بكل موعود إلىٰ يوم القيامة) .

(٢) في (ط) : (لا تصلي فيه ركعتين إلا لتجد . . .) .

(٣) قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالىٰ في « سير أعلام النبلاء » (٩/ ٢٥٣) : (عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام ، الإمام الرباني ، أبو الحارث الأسدي المدني ، أحد العُبَّاد ، قال أحمد بن حنبل : حدثنا سفيان : أن عامر بن عبد الله اشترىٰ نفسه من الله ستَّ مرات ؛ يعني : يتصدَّق من كل مرةٍ بدِيَته) ، وأورد السيوطي في « الدر المنثور » (٦/ ٤٨٩) وعزاه لابن مردويه والخرائطي في « مكارم الأخلاق » عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال حين أصبح : سبحان الله وبحمده ألف مرة . . فقد اشترىٰ نفسه من الله ، وكان آخر يومه عتيقاً من النار » . فكم مرة اشتريتَ نفسك من الله ؟!

عليهَا الأثقالَ بالطَّاعةِ . . **لمَا طالبتْكَ بالمعصيةِ** ، ولما كانَتْ تتفرَّغ لها ، هلْ رأيْتَ الصَّالحينَ والعُبَّادَ يتفرَّجونَ في الأعيادِ ؟

مَنْ شغَلَ نفسَهُ بالمباحاتِ والفرحِ . . **شُغِلَ عَنْ قيامِ اللَّيلِ** ، فيُقالُ له : شغَلْتَ نفسَكَ عنَّا **فشغلناكَ عن عبادتِنَا**[1] .

ركعتانِ في جوفِ اللَّيلِ أثْقَلُ عليكَ مِنْ جبلِ أُحُدٍ ، فأعضاءٌ يَبِسَتْ عنِ الطَّاعةِ لا تصلُحُ إلا للقطعِ ؛ فإنَّ الشَّجرةَ إذا يَبِسَتْ لا تصلُحُ إلا للنَّارِ[2] .

مَنْ أحبَّ الدُّنيا بقلبِهِ . . **كبناءٍ حسنٍ بُنِيَ فوقَهُ مِرْحاضٌ**[3] ، فرَشَحَ عليهِ ، فلا يَزَالُ كذلِكَ يُرَىٰ ظاهرُهُ كباطنِهِ ، **ومنهُمْ** : مَنْ يُنقِّيهِ ، فلا يَزَالُ قلبُهُ أبيضَ ، **وتنقيتُهُ** بالتَّوبةِ والأذكارِ ، والنَّدمِ والاستغفارِ . . **كذلِكَ أنتَ**

---

(١) قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالىٰ لرجلٍ يطلب النصيحة حتىٰ يقوم الليل : (لا تعصِهِ بالنهار **وهو يُقيمك بين يديه في الليل** ؛ فإن وقوفك بين يديه في الليل من أعظم الشرف ، والعاصي لا يستحق هذا الشرف) ، وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى : (ما ترك أحدٌ قيام ليلةٍ إلا بذنبٍ أذنبه ، **تفقَّدوا نفوسكم عند كل ليلة** ، وتوبوا إلىٰ ربكم ؛ لتقوموا الليل) ، وقال أيضاً : (**إن الرجل لَيُحرمُ قيام الليل بذنبٍ وقع منه**) نسأل الله العفو والعافية من جميع الذنوب والآثام ، انظر « قيام الليل وأسراره » (ص٥١) .

(٢) قال الإمام أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (١/ ٧٦) : (وفي الخبر : « إن الرجل إذا نام حتىٰ يصبح . . **بال الشيطان في أُذنه** » ، وقد روينا في الخبر الآخر : « إن للشيطان سعوطاً ولعوقاً وذروراً ؛ فإذا أسعط العبدَ . . **ساء خلقه** ، وإذا ألعقه . . **ذرب لسانه بالشر** ، وإذا ذرَّه . . **نام بالليل حتىٰ يصبح** » ، **ويستعان علىٰ قيام الليل بثلاثٍ** : أكل الحلال ، والاستقامة على التوبة ، وغم خوف الوعيد أو شوق رجاء الموعود ، **والذي يحرم العبد به قيام الليل أو يعاقب معه بطول الغفلة ثلاث** : أكلُ الشبهات ، أو إصرار على الذنب ، وغلبة هم الدنيا على القلب) .

(٣) في (ط) : (كان كمَنْ بنىٰ بناءً حسناً فوقه ميحاض) .

في حضرةِ اللهِ ، مُلوَّثٌ بمعصيتِكَ ؛ تأكُلُ المحرَّمَ وتنظرُ إلى المحرَّمِ ، فمَنْ يفعَلُ المخالفاتِ والشَّهواتِ . . **يُظْلِمُ قلبُهُ**[١] ، فإنْ لم تَتُبْ في وقتِ الصِّحةِ . . **ربَّما ابتلاكَ بالأمراضِ والمِحَنِ** ؛ حتَّىٰ تخرجَ نقيّاً مِنَ الذُّنوبِ كالثَّوبِ إذا غُسِلَ[٢] .

فاصقلْ مرآةَ قلبِكَ بالخَلوةِ والذِّكْرِ ؛ حتَّىٰ تلقَى اللهَ تعالى ، ولْيَكُنْ قلبُكَ ذاكراً مُوحِّداً[٣] **فتنبعُ لكَ الأنوارُ**[٤] ، ولاَ تَكُنْ كمَنْ يُريدُ أنْ يحفِرَ

---

(١) قال سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما : (**لا يقبل الله صلاة امرىءٍ في جوفه حرام**) ، ويقال : (من أكل الشبهة أربعين يوماً . . **أظلم قلبه**) ؛ وهو تأويل قوله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين : ١٤] ، وقال ابن المبارك رحمه الله تعالى : (رَدُّ درهمٍ من شبهةٍ . . **أحبُّ إليَّ من أن أتصدَّق بمئة ألف درهم** ، ومئة ألف ، ومئة ألف حتىٰ بلغ إلىٰ ست مئة ألف) انظر « إحياء علوم الدين » (٣/ ٣٥٤) .

(٢) أخرج الحاكم (١/ ٤١) عن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم : **مَن أشدُّ الناس بلاء** ؟ قال : « النبيون ثم الأمثل فالأمثل ؛ **يُبتلى الرجل علىٰ حسب دينه** ، إن كان صلب الدين . . **اشتدَّ بلاؤه** ، وإن كان في دينه رِقَّةٌ . . **ابتُلي علىٰ حسب دينه** ؛ فما يبرح البلاء على العبد **حتىٰ يَدَعه يمشي على الأرض ليس عليه خطيئة** » .

(٣) في غير (ج) : (وليكنْ ذكراً واحداً) ، وفي (ط) : مثل (ج) دون قوله : (موحداً) .

(٤) قال الإمام النووي رحمه الله تعالىٰ في « بستان العارفين » (ص١٥٩) عن الإمام الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه قوله : (من أحبَّ أن يفتح الله تعالىٰ قلبه ويرزقه العلم . . **فعليه بالخلوة وقلة الأكل** ، وترك مخالطة السفهاء وبعضِ أهل العلم ؛ الذين ليس معهم إنصاف ولا أدب) ، **وقد ذكروا من علامات محبة الله** : حب رسوله صلى الله عليه وسلم ، وطاعتهما ، وأن يكثر من ذكره ؛ فإن مَن أحبَّ شيئاً . . **أكثر من ذكره** ، **ومنها** : أن يكون أنسه بالخلوة ، ومناجاة الله تعالى ، وتلاوة كتابه ، فيواظب على التهجد ، ويغتنم هدوء الليل وصفاء الوقت بانقطاع العوائق ، **فإن أقلَّ درجات الحب** التلذُّذ بالخلوة بالحبيب ، والتنعم بمناجاته .

بئراً ؛ فيحفرُ ذراعاً هُنا وذراعاً هُنا . . **فلا ينبعُ لكَ ماءٌ أبداً** ، بلِ احفِرْ في مكانٍ واحدٍ ، **فينبعُ لكَ الماءُ** .

[دينك هو رأس مالك]

يا عبدَ اللهِ ؛ دينُكَ هوَ رأسُ مالِكَ ، فإنْ ضيَّعْتَهُ . . **ضيَّعْتَ رأسَ مالِكَ**[١] ؛ **فاشْغَلْ لسانَكَ** بذِكْرِهِ ، **وقلبَكَ** بمحبَّتِهِ ، **وجوارحَكَ** بخدمَتِهِ ، **واحرُثْ وجودَكَ** بالمخاوفِ حتَّىٰ تجنيَ البِذرَ فينْبُت ، ومَنْ عَمِلَ في قلبِهِ كمَا يعمَلُ الفلاحُ في أرضِهِ . . **أنارَ قلبُهُ** .

مثالُكَ مثالُ رجُلَيْنِ : اشترَيَا أرضاً قِياساً واحداً ، **فأخذَها الواحدُ** فنقَّاها مِنَ الشَّوكِ والحشيشِ ، وأجرىٰ بها الماءَ ، وبذَرَهَا فنبتَتْ ، وجَنَىٰ منهَا وانتفعَ بهَا ؛ **فهذا كمَنْ نشأَ في الطَّاعة** ، قد أشرقَتْ أنوارُ قلبِهِ ، **وأمَّا الآخَرُ** . . فإنَّه أهملَهَا حتَّىٰ نبتَ فيها الشَّوكُ والحشيشُ ، وبقيَتْ مأوىً للأفاعي والحيَّات ؛ **فهذا قَدْ أظلَمَ قلبُهُ بالمعاصِي**[٢] .

---

(١) أخرج الحاكم (٤/٣١٦) ، والترمذي (٢٤٤٨) عن سيدتنا أسماء بنت عميس الخثعمية رضي الله عنها قالت : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بئس العبدُ عبدٌ **تخيَّل واختال ونسي الكبير المتعال** ، بئس العبدُ عبدٌ **تجبَّر واعتدىٰ ونسي الجبار الأعلىٰ** ، بئس العبدُ عبدٌ **سها ولها ونسي المقابر والبِلىٰ** ، بئس العبدُ عبدٌ **عتا وطغىٰ ونسي المبتدا والمنتهىٰ** ، بئس العبدُ عبدٌ **يختِلُ الدنيا بالدِّين** ، بئس العبدُ عبدٌ **يختِلَ الدين بالشبهات** ، بئس العبدُ عبدٌ **طَمَعٌ يقوده** ، بئس العبدُ عبدٌ **هوىً يُضلُّه** ، بئس العبدُ عبدٌ **رَغَبٌ يُذلُّه** » .

(٢) **إنما يتسلَّط الخراب على الأبنية والمباني بالمعاصي** ؛ أما رأيت المواضع الخراب ؟ **معاصي أهلِها خرَّبتها** ؛ لأن المعاصي تخرِّب البلاد ، وتُهلك العباد ؛ **كذا أنت بِنْيتُك بلدة** ، إذا عصيتَ فيها . . **جاءها الخراب** ، إذا عصيت . . **يجيئك الخراب إلىٰ جسدك** ، **ثم إلىٰ جسد دينك** ، يجيئك العمىٰ والزمن والطرش وذهاب القوة ، **تجيئك الأمراض المختلفة** ، يجيئك الفقر فيخرب بيت مالك ، ويحوجك إلىٰ ←

[مرض أربعين سنة لا يشفىٰ بساعة]

إذا حضرْتَ المجلسَ وخرجْتَ إلى المخالفاتِ والغفلاتِ . . فإيَّاكَ أنْ تقولَ : **ماذَا يُفيدُ حُضُورِي** ؟ بلِ احضرْ : أيكون بكَ مرضٌ أربعينَ سنةً **وتُريدُ أنْ يزولَ عنكَ** في ساعةٍ واحدةٍ ، أو في يومٍ واحدٍ ؟!

فمثالُكَ : كزبلٍ رُمِيَ في موضعِ أربعينَ سنةً . . **أفتريدُ أنْ يَزُولَ في ساعةٍ واحدةٍ أو في يومٍ واحدٍ** ؟ فمَنْ فعَلَ المعاصي وتقلَّبَ في الحرامِ لوِ انغمَسَ في سبعةِ أبحُرٍ . . لم تُطهِّرْهُ **حتَّىٰ يَعقِدَ معَ اللهِ تعالىٰ عقْدَ التَّوبة**[1] .

للظَّاهرِ جنابةٌ تمنعُكَ مِنْ دُخولِ بيتِهِ وتلاوةِ كتابِهِ ، **وللباطنِ جنابةٌ** تمنعُكَ مِنْ دخولِ حضرتِهِ وفهمِ كلامِهِ ؛ وهيَ الغفلةُ[2] .

أصدقائك وأعدائك . انظر « الفتح الرباني » (ص٢٠٩) .

(١) **يا غلام** ؛ لا تكن مع النفس ولا مع الهوى ، ولا مع الدنيا ولا مع الآخرة ؛ **ولا تتابع سوى الحق عز وجل** ، قد وقعتَ بالكنز الذي لا يفنىٰ أبداً ؛ **حينئذٍ تجيئك الهدايا من الحق** عز وجل التي لا ضلال بعدها ، **تُبْ عن ذنوبك وهرول عنها إلىٰ مولاك عز وجل** ، إذا تبت . . **فليتب ظاهرك وباطنك** ، التوبة قلب دولة ـ أي : تغيير حال ـ **اخلع ثياب المعاصي بالتوبة الخالصة** والحياء من الله عز وجل حقيقةً لا مجازاً ؛ **وهذا من أعمال القلوب** بعد طهارة الجوارح بأعمال الشرع . انظر « الفتح الرباني » (ص٤٦) .

(٢) قال العلامة الشعراني رحمه الله تعالىٰ في « العهود المحمدية » (ص٦٦٧) : (سمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله يقول : أجمعَ الأئمة علىٰ وجوب الخلوص من النجاسات الباطنة ، **وعدُّوها من الكبائر** كما يدلُّ لذلك ما ورد من الأحاديث ؛ كعقوق الوالدين والكِبر والشك في الله والحقد والغل وغير ذلك ، وقد ورد : « **لا يُرفع للعاق عملٌ إلى السماء ولا للمشاحن** » فعدمُ رفع العمل **يدلُّ** علىٰ عدم صحته ؛ كما لو تعاطىٰ مُبطلاً ظاهراً بترك شرطٍ من شروط الصلاة ، ←

فإذا طلبَتِ النَّفسُ الشَّهواتِ.. فالجمْهَا بلجام الشَّرْع ؛ فمثالُها : كـالـدَّابَـةِ إذا مـالَـتْ لـزرْعِ غيـرِكَ ، فغُـضَّ الأبصـارَ عـنْ مَيلِهَـا إلـى المستحسناتِ ، والقلوبَ عنْ ميلِهَا إلى الشَّهواتِ ؛ فليكُنْ قلبُكَ معموراً على الدَّوام[1] .

والحقُّ سبحانَهُ وتعالى اختارَ لحضرتِهِ مَنْ يصلُحُ لهَا ، ومَنْ لا يَصلُحُ لهَا.. رماهُ للكائناتِ ، فمثالُهُمْ : كالعَبيدِ يُعرَضونَ على الملِكِ ؛ فمَنْ أخذَهُ الملِكُ.. عَزَّ ، ومَنْ لا يَصلحُ.. بقِيَ للرَّعيَّة .

ما أتيتَ لموطنِ حكمةٍ أو معصيةٍ[2] .. إلاَّ وفي عُنقِكَ سلسلةٌ نورانيَّةٌ

← قال : وما جعل الشرع الطهارة على الأعضاء الظاهرة إلا ليتنبَّه المكلَّف على الأخذ في طهارة محلٍّ نظر الله من باب أولىٰ كلما تطهَّر ؛ فإن الحضرة محرَّمٌ دخولها علىٰ مَن كان عليه نجاسة ظاهرة أو باطنة ، ولو أراد أن يدخل.. لما قَدَر ، وقد أغفل هذا غالبُ الناس اليوم ، فترىٰ أحدهم يأكل حراماً ، ويستغيب الناس ، ويقع في أعراضهم ، ويقع في النميمة وغير ذلك ، ثم يصير يدلك يده بالماء ويتوسوس في الوضوء ؛ حتىٰ ربما غسل العضو أكثر من ثلاث مرات ؛ لغلبة نظره إلىٰ ظاهره دون باطنه ، ومعلومٌ : أن من كمال الإيمان المطابقة بين الظاهر والباطن في الطهارة) .

(١) قال الإمام البوصيري رحمه الله تعالىٰ في « بردته » : (من البسيط)

مَن لي بردِّ جماحٍ من غَوايتها	كما يُردُّ جماح الخيل باللُّجمِ
فلا ترُم بالمعاصي كسر شهوتها	إن الطعام يقوي شهوةَ النَّهمِ
والنفسُ كالطفل إن تُهمله شبَّ على	حب الرضاع وإن تفطمه ينفطمِ
فاصرفْ هواها وحاذر أن تُوَلِّيه	إن الهوىٰ ما تولَّى يُصْمِ أو يَصِمِ

من عرف نفسه وغلبها.. صارت راحلة له ، تحمل أثقاله ، ولا تخالفه في أمره ، لا خير فيك حتىٰ تعرف نفسك ، وتمنعها حظها وتعطيها حقها ؛ فحينئذٍ تطمئن إلىٰ القلب ، ويطمئن القلب إلى السرِّ ، ويطمئن السر إلى الحق عز وجل .

(٢) في (ب ، ج) : (لموطىء حكمة) .

أو ظُلمانيةٌ ؛ فإنْ كنتَ لاَ تشهدُهَا أنتَ . . فغيرُكَ يشهدُهَا ، ألا ترَىٰ أنَّ الشَّمسَ يَشهدُهَا النَّاسُ أجمعونَ إلا مَنْ كانَ أعمىٰ ؟![1] .

❀ ❀ ❀

---

(١) أخرج الطبراني في « الكبير » (٢/ ١٧١) عن جندب بن سفيان البجلي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أسرَّ عبدٌ سريرةً . . إلا ألبسه الله رداءها ؛ إنْ خيراً فخيرٌ ، وإنْ شراً فشرٌّ » ، وأخرج ابن المبارك في « الزهد » (٧٢) عن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : (لو أن عبداً دخل بيتاً في جوف بيتٍ فأدمن هناك عملاً . . أوشك الناس أن يتحدَّثوا به ، وما من عاملٍ يعمل . . إلا كساه الله رداء عمله ؛ إن خيراً فخيرٌ ، وإن شراً فشرٌّ) ، وأنشدوا في المعنى : (من الرمل)

وإذا أظهـــرت شيئـــاً حسنـــاً ... فليكـــن أحســنَ منــه مــا تُســرّ

فمســـرُّ الخيـــر مـــوســـومٌ بـــه ... ومســرُّ الشــر مــوســومٌ بشــرّ

والمعنىٰ : أن الطاعة وإن اجتهد العبد في إخفائها . . لا بد أن تظهر مخايلها علىٰ شمائله ، وكذا المعصية .

[فائدة العلم العمل]

ما فائدةُ العِلمِ إلا العملُ بهِ ؛ مثالُهُ : كملِكٍ كتبَ إلىٰ نائبهِ بثغرٍ كتاباً ؛ فما فائدةُ الكتابِ أنْ يقرأَهُ فقط . . إنَّما فائدتُهُ : العملُ بما فيهِ[1] .

مثالُ مَنْ يَشتغِلُ بالعِلمِ وليسَ لهُ بصيرةٌ كمثَلِ مئةِ ألفِ أعمىٰ سلكُوا طريقاً مُتحيِّرينَ فِيها ، فلو كانَ فيهِم واحدٌ بعينٍ واحدةٍ . . لتبعَهُ النَّاسُ أجمعونَ ، وتركُوا مئةَ ألفِ أعمىٰ[2] .

ومثالُ العِلمِ معَ تركِ العملِ كالشَّمعةِ تُضيءُ للنَّاسِ بإحراقِ نفسِهَا ، عِلمٌ فيهِ الغفلةُ عَنِ اللهِ . . الجهلُ خيرٌ منهُ[3] .

فمَنْ أثمرَتْ جوارحُهُ . . فقَدْ أمطرَ قلبُهُ لسانَهُ بالذِّكر ، وعينَيْهِ

---

(١) قال الحسن رحمه الله تعالى : (كان الرجل إذا طلب العلم . . لم يلبث أن يُرىٰ ذلك في تخشُّعه ولباسه ، وبصره ولسانه ، وصلاته وهديه وزهده ، وإن كان الرجل ليصيب الباب من أبواب العلم ، فيعمل به ، فيكون خيراً له من الدنيا بما فيها لو كانت له ؛ ليضعفها في الآخرة ، وليأتينَّ على الناس زمان يشتبه الحق والباطل ، فإذا كان ذلك . . لم ينفع فيه إلا دعاء كدعاء الغريق) انتهىٰ من « غيث المواهب العلية » (ص٢١٤) .

(٢) قال العلامة الإمام الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالىٰ في كتابه « الفتح الرباني » (ص٤٢) : (يا غلام ؛ عظ نفسك أولاً ، ثم عظ نفس غيرك ، عليك بخويصَّة نفسك ، لا تتعدَّ إلىٰ غيرك وقد بقي عندك بقيةٌ تحتاج إلىٰ إصلاحها ، ويحك ؛ أنت لاتعرف السباحة كيف تُخلِّص غيرك ؟! أنت أعمىٰ كيف تقود غيرك ؟! إنما يقود الناسَ البصيرُ ، إنما يخلصهم من البحر السابح الجمود ـ أي : المتمرس ـ إنما يردُّ الناسَ إلى الله عز وجل مَن عرفه ، أما من جهله . . كيف يدل عليه ؟!) .

(٣) من ازداد علمه . . ينبغي أن يزداد خوفه من مولاه سبحانه وتعالى ، وطاعته له ، يا من يدَّعي العلم ؛ أين بكاؤك من خوف الله ، أين اعترافك بذنوبك ، أين تأديبك لنفسك ومجاهدتها ؛ وإلا . . فأين ثمرة العلم ؟!

بالغَضِّ ، وأُذُنيهِ بالاستماعِ إلى العِلمِ ، ويديهِ ورِجْليهِ بالسَّعيِ إلى الخيراتِ .

[مجالسة أهل الزمان تعرُّض لمعصية الدَّيَّان]

مَنْ أكثرَ مِنْ مُجالسةِ أهلِ هذا الزَّمان . . فقَدْ تعرَّضَ لمعصيةِ اللهِ تعالىٰ ، مثالُهُ : كمَنْ جعلَ الحطبَ اليابسَ في النَّارِ ، ويُريدُ ألا يتَّقِدَ . . فقَدْ أرادَ مُحالاً ؛ لأنَّه قد ورَدَ : « خُصَّ بالبلاءِ مَنْ عرفَ النَّاسَ ، وعاشَ فيهِمْ مَنْ لم يَعرِفْهُم »[1] ؛ فرُبَّما جالسْتَ غيرَ مُتَّقٍ ، وكنتَ أنتَ مُتَّقياً فجَرَّكَ إلى الغيبةِ ، وقهرَكَ في نفسِكَ[2] .

[أسباب خراب القلوب]

ما خرَّبَ القلوبَ إلاَّ قلَّةُ الخوفِ ، القلبُ الحَسَنُ : هوَ الَّذي لا يَشغلُهُ عَنِ اللهِ حَسَنٌ ، إنْ أردْتَ شفاءَ قلبِكَ . . فاخرُجْ إلىٰ صحراءِ التَّوبةِ ،

---

(١) أخرجه القضاعي في « مسند الشهاب » (٥٨٨) ، وابن الأعرابي في « معجمه » (٥٧٥) ، وأورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٢٩٥٨) عن محمد بن علي مرسلاً أو معضلاً ، انظر « كشف الخفا » (١/ ٣٧٧) .

(٢) قال الإمام العلامة الحارث المحاسبي رحمه الله تعالىٰ في كتابه النافع « الوصايا » (ص٧٠) : (إخواني : وأحذركم مخالطة الناس ؛ فإن جميع التعدي والأوزار مجموع في مخالطتهم ومعاشرتهم وما تشعرون ، وإنما يعلم ذلك أهل الورع والمحاسبة ، ولسنا مما نسلم بديننا إذا اجتمع شياطين الإنس والجن ونحن كبعضهم يُوحي بعضُنا إلىٰ بعضٍ زُخرفَ القول غروراً ، ألا فعاشروا من الناس رجلين ؛ أحدهما : يعين على البر والتقوى ، والآخر : يعين علىٰ أحوالك من الدنيا ؛ فإن جمع الله المعونة على الدين والدنيا في رجل واحد . . فتمسَّك به وجانب من سواه ؛ فإن جميعهم ضررٌ إلا المعين على البر ، ألا وإن فضل السلامة في مجانبة الناس ، وهي أجزل ثواباً وأعظم مما تخشون ، وكذلك بلغنا : أن العبادة عشرة أجزاء ؛ واحد منها : في الصمت ، وتسعة : في مجانبة الناس) .

وحَوِّلْ حالَكَ مِنَ الغَيْبةِ إلى الحضورِ ، والبَسْ ثيابَ الذِّلَّةِ والمسكنةِ ؛ **فإنَّ القلبَ يُشفىٰ**[1] ، ولكنَّكَ تحشُو بطنَكَ وتتفاخَرُ بالسِّمَنِ ، **فمثالُكَ** : كالخروفِ الَّذي يُسمَّنُ للذَّبحِ ، **ألا فقَدْ ذبحْتَ نفسَكَ وأنتَ لا تشعُرُ** .

لا يَفُتْكَ مجلسُ الحكمةِ ولو كنْتَ علىٰ معصيةٍ فتقولُ : ما الفائدةُ في سماعِ المجلسِ ، ولا أقدِرُ علىٰ تركِ المعصيةِ ؟ **بلْ على الرَّامي أنْ يرميَ** ، فإنْ لم يأخُذِ اليومَ . . **يأخُذْ غداً** .

لو كنتَ كيِّساً فَطِناً . . **لكانَتْ حقوقُ اللهِ عندَكَ** أحظىٰ منْ حظوظِ نفسِكَ[2] .

---

(١) قال الإمام الرباني سيدي عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالىٰ في كتابه « الفتح الرباني » (ص١١٦ـ ١١٧) : (**الحقُّ عزَّ وجلَّ أهلٌ أن يُخاف ويُرجىٰ** ولو لم يخلق جنةً ولا ناراً ، **أطيعوه طلباً لوجهه** ، ما عليكم من عطائه وعقابه ؛ **طاعته** في امتثال أمره ، والانتهاء عن نهيه ، والصبر مع أقداره ، **توبوا إليه** ، ابكوا بين يديه ، **ذِلُّوا له بدموع أعينكم وقلوبكم** ، البكاء عبادة ؛ **وهو مبالغة في الذل** ، إذا متَّ على التوبة والنية الصالحة والأعمال الزكية . . **نفعك الحق تعالىٰ** ، وتولَّىٰ مجازاة المظلومين . . .) ، ثم قال : (**يا غلام ؛ لازم الخوف** ، ولا تأمن حتىٰ تلقىٰ ربك عز وجل ، ويستقر قدما قلبك وبنيتك بين يديه ، ويوضع توقيع الأمان في يديك . . **حينئذٍ ينبغي لك أن تأمن** ، إذا آمنك . . **رأيتَ عنده خيراً كثيراً** ، إذا آمنكَ . . **فاستقر** ؛ لأنه إذا وهب شيئاً . . **لا يرجع فيه الحق عز وجل** ، إذا اصطفىٰ عبداً . . **قرَّبه وأدناه** ، وكلما غلب عليه الخوف . . **ألقىٰ عليه ما يزيل ذلك** ويسكن قلبه وسرَّه ، فيكون ذلك بينك وبينه) .

(٢) أخرج الحاكم في « المستدرك » (١/ ٥٧) ، والترمذي (٢٤٥٩) عن شدَّاد بن أوسٍ رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « **الكيس** : من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، **والعاجز** : من أتبع نفسه هواها وتمنَّىٰ على الله » أي : **الموت** عاقبة أمر الدنيا ؛ **فالكيس** : مَن أبصر العاقبة ، **والأحمق** : مَن عمي عنها **بحُجب الشهوات** التي قامت بين يدي قلبه ، وطلبت منه إنجازها ، **وجاءته الأماني بمواعيدها الكاذبة** تقول له : خذها ثم تتوب ، وأتته الشهوة وتقول له : ←

ما يَطّلعُ على الأسرارِ إلا أمينٌ ، وأنتَ تُعطِي نفسَكَ حظَّهَا مِنَ المآكلِ والمشاربِ حتَّىٰ تملأَ بيتَ الخلاءِ ، ويَكفيكَ حبُّ الدُّنيا ، ومَنْ أحبَّ الدُّنيا . . **فقَدْ خانَ** ، ومَنْ خانَ . . **فهلْ يُطلِعُهُ الملِكُ علىٰ أسرارِهِ** ، فاستعمِلِ الأفكارَ ، **وعليهِ إنزالُ الأنوارِ**(١) .

❋ ❋ ❋

خذني إليك ثم تستغفر ؛ فإن الله غفورٌ للمذنبين ، وحبيب للتائبين ؛ **فهذه حجبٌ كثيفة** ، دون العاقبة فلا يراها ، **والكيس** : من سعد بجميل نظر الله تعالى ، وأعطي النور الزائد علىٰ نور الموحدين ؛ **وهو نور اليقين** ، يهتك هذا النور الحجب والدخان والظُّلمة التي في الصدر من الشهوات ، فيسكن الدخان ، وتنقشع الظلمة ، ويستنير الصدر ، فيبصر عاقبة الأمر ، **فالكيس** نظر بالنور الذي مَنَّ الله تعالىٰ عليه به ؛ **فأبصر أن الموت قاطعٌ** لكل لذة ، **حائل** بينه وبين التوبة ، فانكسر قلبه ، وذبلت نفسه ، وخمدت نار شهوته ، واكفهرَّ الحق في وجه أمنيته ، واستعد لكل ذنب **توبة واعتذاراً** ، ومكان كل سيئة **حسنةً واستغفاراً** ؛ لتكون الحسنة غطاء للسيئة ، والتوبة محاء للخطيئة .

(١) قال الإمام أبو طالب المكي رحمه الله تعالىٰ في كتاب « علم القلوب » المنسوب له (ص٢٢٤ـ ٢٢٥) من قول بعض الصالحين : (**أيها الحكيم ؛ قيمة كل إنسانٍ همته** : إن كانت همته الدنيا . . **فقيمته لا شيء** ، **وعلامته** : إذا غضب . . **يرضىٰ بعرض الدنيا** ، فيؤثر حظَّ نفسه وشهواته ، ومن كانت همته الآخرة . . **فقيمته الجنة** ، **وعلامته** : أن يكون غضبه لحق الله ؛ لا للنفس ولا للدنيا ، ومن كانت همته الله . . **فقيمته رضا الله** ، **وعلامته** : ألا يستأنسه ولا يوحشه ولا يؤنسه شيء) .

[نفع القلب وإشراقه من بحر الحكم](1)

ما نفعَ القلبَ شيءٌ مثلُ خلوةٍ يَدخُلُ بها ميدانَ فكرةٍ(2) .

كيفَ يُشرِقُ قلبٌ صورُ الأكوانِ منطبعةٌ في مِرْآتِه ، **أم كيفَ يَرحلُ إلى اللهِ** وهوَ مُكبَّلٌ بشهواتِهِ ، **أم كيفَ يَطمَعُ أنْ يَدخُلَ حضرةَ اللهِ تعالىٰ** وهوَ لم يتطهَّرْ مِنْ جنابةِ غفلاتِهِ ، **أم كيفَ يَرجو أنْ يَفهَمَ دقائقَ الأسرارِ** وهوَ لم يَتُبْ مِنْ هفواتِهِ ؟(3) .

---

(1) طرَّز المؤلف رحمه الله تعالى الكتاب ببعض حكمه المعروفة المشهورة ، **وهذا دليل أهميتها في هذه المباحث** ، وقد اغترفتُ مِن بحار مَن شرحها مع الإيجاز والاختصار دون الإشارة كل مرة ، والفضل لأهل الفضل .

(2) **الفكرة** : سير القلب إلىٰ حضرة الرب ؛ **وهي علىٰ قسمين** : فكرة تصديق وإيمان ، وفكرة شهود وعيان ، **ولقد اختُلف** : هل التفكر أفضل من نحو الصلاة والصيام النفل أو هما أفضل ؟ **فذهب الفقهاء** إلىٰ أنهما أفضل ، وقال بعض الشيوخ : **إن ذلك يختلف باختلاف الناس** ؛ فمن كان عقله سالماً ثابتاً بحيث يأمن صاحبه من التشبيه . . **فالتفكر في حقه أفضل** ، وإلا . . **فالصيام والصلاة أفضل** ، وقد قالوا : **إن القلب كالمعدة** إذا قويت عليها الأخلاط . . **مرضت ولا ينفعها إلا الحمية** ؛ وهي قلة موادها ومنعها من كثرة الأخلاط ، **وكذلك القلب** إذا قويت عليه الخواطر واستحوذ عليه الحسُّ . . **مرض ، وربما مات ولا ينفعه إلا الحمية منها** ، والفرار من مواطنها ؛ وهي الخلطة ، فإذا اعتزل عن الناس واستعمل الفكرة . . **نجح دواؤه وشفي قلبه** ، وإلا . . **بقي سقيماً حتىٰ يلقى الله بقلب سقيم** بالشك والخواطر الرديئة ، نسأل الله العافية .

(3) القلب الذي طُبعت في مرآته صوَرُ المكونات ، فاشتغل بها وصار مقيداً بالشهوات . . **لا ينال الإشراق** ، ولا يدخل في حضرة الكريم الخلاق ؛ **لأنه لم يتطهر من غفلاته الشبيهة بالجنابة** ، فيُمنع منها كما يُمنع الجنب من المسجد ، **والاستفهام في المواضع الأربعة** إنكاري بمعنى النفي ؛ أي : لا يكون إشراق القلب مع انطباع صور الأكوان التي هي كالظلمة في مرآته ؛ **لِمَا في ذلك من الجمع** ←

أصلُ كلِّ معصيةٍ وغفلةٍ وشهوةٍ : الرِّضا عَنِ النَّفسِ ، **وأصلُ كلِّ طاعةٍ ويقظةٍ وعِفَّةٍ** : عدمُ الرِّضا عنها[1] .

لا تَرحلْ مِنْ كونٍ إلىٰ كونٍ فتكونَ كحمارِ الرَّحى ، يسيرُ والَّذي ارتحلَ إليهِ هوَ الَّذي ارتحلَ منهُ .

ولكِنِ ارحَلْ مِنَ الأكوانِ إلى المكوِّنِ : ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾[2] [النجم : ٤٢] .

بين **الضِّدين** ، ولا يمكنه الرحيل إلى الله بقطع عقبات النفس مع كونه مكبلاً بشهواته للجمع المذكور ، **ولا يدخل حضرة الله** ـ أي : دائرة ولايته المقتضية للطهارة ـ **مع كونه لم يتطهر من جنابة غفلاته** لذلك الجمع ، **ولا يرجو أن يفهم دقائق الأسرار** المتوقفة على التحرز من المعاصي مع كونه لم يتب من هفواته ؛ **لذلك فالمطالب أربعة** : إشراق القلب ، والرحيل إلى الحضرة ، ودخولها ، والاطلاع علىٰ أسرارها ؛ وكلٌّ وسيلةٌ لما بعده . **والموانع أربعة** : انطباع صور الأكوان في عين القلب ، والتكبل بالشهوات ، وعدم التطهير من جنابة الغفلات ، وترك التوبة من الهفوات .

(١) يعني أن النظر إلى النفس بعين الرضا **يوجب تغطية عيوبها** ، ويُصَيِّر قبيحها حَسَناً ، والنظر إليها بعين السخط **يكون بضد ذلك** ، علىٰ حد قول القائل : (من الطويل)

وعين الرضا عن كل عيبٍ كليلةٌ كما أن عينَ السُّخْطِ تُبدي المساويا

فمن رضي عن نفسه . . **استحسن حالها** ، فتستولي عليه الغفلة عن الله تعالى ، **فينصرف قلبه عن مراعاة خواطره** ، فتثور عليه الشهوة وتغلبه ؛ **لعدم وجود المراقبة القلبية التي تدفعها** ، فيقع في المعاصي لا محالة .

(٢) من كانت همته الحظوظ النفسانية . . **فحاله حال حمار الساقية** : **في السير دائم** ، وهو في موضعه قائم ، يظن أنه قطع مسافة مما طلب ، وما زاد إلا نقصاً مع تعب ، **فينبغي لك أيها المريد** أن ترفع همتك إلى الملك المجيد ، فترحل من رؤية الأكوان ، **إلىٰ طلب شهود الملك الديَّان** ، أو ترحل من الدليل والبرهان ، **إلىٰ رتبة الشهود والعِيان** ، وهو غاية القصد وبلوغ المنتهى ، **وأن إلىٰ ربك المنتهىٰ** .

[الأنوار مطايا القلوب]

إنَّما الأنوارُ مطايا القُلوبِ والأسرارِ[(١)] .

النُّورُ جندُ القلبِ كمَا أنَّ الظُّلمةَ جندُ النَّفسِ ، فإذَا أرادَ اللهُ أنْ يَنصُرَ عبدَهُ . . أمدَّهُ بجنودِ الأنوارِ ، وقطَعَ عنهُ مددَ الظُّلَمِ والأغيارِ[(٢)] .

النُّورُ لـهُ الكشفُ ، والبصيرةُ لها الحكمُ ، والقلبُ لـهُ الإقبالُ والإدبارُ[(٣)] .

---

(١) أي : إن الأنوار الإلهية التي تَرِدُ علىٰ قلب العبد وتحصل غالباً من الرياضات والأذكار . . هي مطايا القلوب ، توصلها إلى المطلوب ؛ وهو دخولها حضرة القرب من علام الغيوب ؛ كما أن المطية توصل راكبها إلىٰ مطلوبه ؛ والروح ما دامت مظلمة بالمعاصي والذنوب . . تسمىٰ نفساً ، فإذا انعقلت انعقال البعير . . تسمىٰ عقلاً ، فإن كانت تتقلب في الغفلة والحضور . . تسمىٰ قلباً ، فإذا اطمأنت واستراحت من تعب البشرية . . تسمىٰ روحاً ، فإذا صفت من الكدورات . . تسمىٰ سراً ، فإذا أراد الله تعالىٰ إيصالها إلىٰ حضرة قدسه . . أمدَّها بواردات الأنوار ، فتكون كالمطايا تحمل عنيها في محفَّة العناية ، فترحل الروح من عوالم البشرية إلىٰ عوالم الروحانية ؛ حتىٰ تصير سراً من أسرار الربوبية .

(٢) يعني : أن النور للقلب بمنزلة الجند للأمير ، يتوصل به إلىٰ مقصوده من قهر أعدائه ؛ كما أن الظلمة التي هي من وساوس إبليس جند النفس الأمارة بالسوء ؛ ومقصدها الشهوات ، فلا تزال الحرب بينها وبين العقل ، فإذا أراد الله أن ينصر عبده علىٰ قمع شهواته . . أمدَّ قلبه بالأنوار الشبيهة بالجنود ، وقطع عنه مدد الظُّلَم ؛ فعلى العبد : أن يفزع إلىٰ ربه عند التقاء الصفَّين ، ويسأله الإعانة على النفس الأمارة بالسوء ؛ فهو المعين سبحانه وتعالىٰ .

(٣) النور : يكشف الأمور ويميز حسنها من قبيحها ، والبصيرة : تحكم على الحسن بحُسْنه وعلى القبيح بقُبْحه ، والقلب : يُقْبل علىٰ ما يثبت حسنه ويدبر عما يثبت قبحه ، ومثال ذلك : رجل دخل بيتاً مظلماً فيه عقارب وحيات ، وفيه سبائك ذهب وفضة ، فلا يدري ما يأخذ ولا ما يذر ، فإذا أدخل فيه مصباحاً . . رأىٰ ما ينفعه وما يضره ؛ كذلك قلب المؤمن العاصي لا يفرق بين مرارة المعصية وحلاوة ←

الأكوانُ : ظاهرُها غرَّةٌ ، وباطنُها عِبرةٌ ؛ فالنَّفسُ تنظرُ إلىٰ ظاهرِ غرَّتِها ، والقلبُ ينظرُ إلىٰ باطنِ عِبرتِهَا[1] .

متىٰ أوحشَكَ مِنْ خلقِهِ . . فاعلَمْ : أنَّه يُريدُ أن يفتحَ لكَ بابَ الأُنسِ بهِ[2] .

[من ثمرات الصلاة]

الصَّلاةُ محلُّ المناجاةِ ، ومعدنُ المصافاةِ ، يتَّسِعُ فيها ميدانُ الأسرارِ ، وتُشرِقُ فيها شوارقُ الأنوار ، علِمَ وجودُ الضَّعفِ منكَ فقَلَّلَ أعدادَهَا ، وعلِمَ احتياجَكَ إلىٰ فضْلِهِ فكثَّرَ أمدادَهَا[3] .

← الطاعة ، فإذا استضاء بنور التقوىٰ . . عرف ما يضره وما ينفعه ، وفرَّق بين الحق والباطل .

(١) يعني : أن المكونات التي فيها حظ للنفس من متاع الدنيا وزهرتها ظاهرها سببٌ في الاغترار بها لحسنها وبهجتها ، وباطنها سبب في الاعتبار بها لقبحها وخستها ؛ فالنفس تنظر إلىٰ غرتها الظاهرة فتغتر بها حتىٰ تهلك صاحبها ، وقلب العاقل ينظر إلىٰ عبرتها الباطنة فيعتبر بها ويَسْلم من شرها ؛ فمن نظر إلىٰ ظاهرها . . قال : حلوة خضرة ، ومن نظر إلىٰ باطنها . . قال : جيفة قذرة .

(٢) أي : متىٰ نفَّر قلبك من الاستئناس بخلقه . . فاعلم : أنه يريد أن يفتح لك باب الأنس به ؛ لتصير له وحده ، ومتىٰ فتح لك هذا الباب . . صيَّرك من الأحباب ، وآنسك بالخطاب ، فاتركِ الأغيار في مرضاة العزيز الوهاب ، ومثاله : كفتيلةٍ شعلتها فما دامت ضعيفة . . لا بدَّ أن تحفظها من الريح وتقصد بها المواضع الخفية ، فإذا اشتدَّ نورها وأشعلتها في الحطب . . صعدت بها إلىٰ ظهور الجبال ، فبقدر ما يصيبها الريح يعظم اشتعالها ؛ كذلك الفقير ما دام في البداية لا يليق به إلا الوحشة من الخلق ، فإذا تمكَّن في الشهود . . فلا يليق به حينئذ إلا الخلطة معهم ؛ لأنهم لا يضرونه .

(٣) الصلاة محل مناجاة العبد لربه بتلاوة كلامه والثناء عليه ، ومعدن المصافاة معه بتوجهه بكليِّته إليه ، وبقدر إقبال العبد يكون إقبال الرب سبحانه ، وثمرتها إذا ←

النَّاسُ يَمدحونَكَ بما يَظنُّونَ فيكَ ، فكُنْ أنتَ ذامّاً لنفسِكَ لما تعلَمُ منها ؛ **فإنَّ أجهلَ النَّاسِ** مَنْ تركَ يقينَ ما عندَهُ لظنِّ ما عندَ النَّاسِ[(١)] .

غَيِّبْ نظرَ الخلقِ إليكَ بنظرِ اللهِ إليكَ ، **وغِبْ عنْ إقبالِهِمْ عليكَ** بشهودِ إقبالِهِ عليكَ[(٢)] .

اعلَمْ : أنَّ العِبادَ يَتشوَّفونَ إلىٰ ظهورِ سرِّ العِنايةِ ، فقالَ تعالىٰ : ﴿ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة : ١٠٥] ، وعلِمَ أنَّه لو خلاهم وذلكَ . . **لتركوا العملَ اعتماداً على الأزلِ** ، فقالَ تعالى : ﴿ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[(٣)] [الأعراف : ٥٦] .

← كانت على الوجه الأكمل . . **أنها تتسع فيها القلوب** الشبيهة بالميادين للفرسان ، فتنشرح بتوارد العلوم والمعارف التي تتسابق إليها كتسابق الفرسان ، **وهذه العبارات الست** التي هي من فوائد الصلاة معانيها متقاربة ، أتىٰ بها لتكون كالدليل لما قاله **من أن المأمور به** : إنما هو إقامة الصلاة لا وجودها ؛ **فالصلاة المعتبرة** هي صلاة الخاشعين ، لا صلاة الغافلين ، **قلَّل أعدادها** بجعل الخمسين خمسة ، وعلم احتياجك إلىٰ فضله وكرمه **فكثَّر أمدادها** ؛ أي : ثوابها وأسرارها ، فجعلها خمساً في الفعل وخمسين في الأجر ، **فاحمده** علىٰ ما أنعم ، **واشكره** علىٰ ما تفضَّل وتكرَّم .

(١) **الناس يمدحونك** لما يظنونه فيك من الأوصاف الحميدة ، **فكن ذاماً لنفسك** لما تعلمه منها من العيوب والقبائح العديدة ، **ولا تغتر علىٰ كل حال** من الأحوال بمدح المادح ؛ **فإنه السُّم القتَّال** ، لأن من فرح بمدح نفسه . . **أوقعها في الغرور** ، وساق إليها ما لا يطاق من أنواع الشرور .

(٢) إذا أردتَ أن تكون أيها المريد صادقاً في العبودية . . **فغيِّب نظر الخلق إليك** ؛ فإقبالك على الخلق **بإدبارك عن الحق** ، وإدبارك عن الخلق **بإقبالك على الحق** ، ولا يجتمعان ، وإذا اغتررتَ بإقبالهم عليك قبل كمالك . . **فإنه يوجب لك التصنع لهم ومداهنتهم** ومعاشرتهم بالنفاق ، **وهم لا يملكون** ضراً ولا نفعاً ، ولا خفضاً ولا رفعاً .

(٣) **علم سبحانه** أن العباد يتطلَّعون إلىٰ ظهور سرِّ العناية **التي مقتضاها الرحمة** ←

إنْ أردْتَ ورودَ المواهبِ عليكَ . . **فصحِّحِ الفقرَ والفاقةَ لديكَ** : ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾(١) [التوبة : ٦٠] .

أنوارٌ أُذِنَ لها في الدُّخولِ ، **وأنوار** أُذِنَ لها في الوُصولِ(٢) .

ربَّما وردَتْ عليكَ الأنوارُ ، فوجدَتِ القلبَ محشوّاً بصورِ الآثار ، **فارتحلَتْ مِنْ حيثُ نزلَتْ**(٣) .

فرِّغْ قلبَكَ مِنَ الأغيارِ . . **يملأْهُ بالمعارفِ والأسرارِ**(٤) .

→ **والولاية** ، فيطلبون ذلك بالدعاء والأعمال الصالحة **ويعتقدون تأثير ذلك** ، فقال : ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ زجراً لهم وقطعاً لطماعيتهم ، **وعلم سبحانه** لو تركهم وملاحظتهم أنها خاصةٌ ببعض الناس وليست عامة . . **لتركوا العمل** اعتماداً منهم على السابق في الأزل ، **فجعل الإحسان بالأعمال الصالحة** علامةً على العناية الأزلية ؛ وإن لم يكن علة موجبة لها عند تحقيق القضية .

(١) إنَّ مِنْ صدقِ الفقيرِ **أخذَه الصدقة ممن يعطيه على الحقيقة** وهو الله تعالى ؛ لأنه جعلها له ، فإن قبلها منه . . **فهو الصادق في فقره** ؛ لعلو همته ، وإن قبلها من الوسائط . . **فهو المتوسم بالفقر مع دناءة همته** ، وأخرج الحاكم (٣/ ٥٤٢) من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن النصر مع الصبر** ، وإن الفرج مع الكرب ، **وإن مع العسر يسراً** » .

(٢) الأنوار الواردة على القلوب من خزائن الغيوب **تنقسم إلىٰ قسمين** : **أنوار أذن لها في الوصول** إلىٰ ظاهر القلب فقط ، فيشاهد معها نفسه وربه ودنياه وآخرته ، **وأنوارٍ أذن لها في الدخول** إلىٰ صميم القلب وسويدائه ، **فلا يحب العبد عند ذلك** سوىٰ مولاه ، **ولا يفعل** إلا ما يحبه سيده ويرضاه .

(٣) (رُبَّ) **هنا** للتكثير ؛ أي : كثيراً ما تَرِد عليك أنوار المعاني ؛ **لتخرجك من سجن الأواني** ، فتجد قلبك مملوءاً بها ، **فتتركك في وسطها محجوباً بها** .

(٤) فرِّغ قلبك مما سوى الله ؛ **بحيث لا يتعلق قلبك بشيء من الكون** : عُلوياً أو سُفلياً ، دُنيوياً أو أخروياً ، حِسِّياً أو معنوياً ، فإذا رحل قلبك من هذا العالم بالكلية ، ولم يبقَ فيه إلا محبة مولاه . . **فإنه يملأه بالمعارف والأسرار** ؛ فيكشف عنك حجاب الوهم ، ويذهب عنك ظلمة الحس ، فتشاهد الأشياء كلها أنواراً ملكوتيةً مشاهدةً ذوقية تمكينية .

المؤمنُ يشغلُهُ الثَّناءُ على اللهِ عنْ أنْ يكونَ لنفسِهِ شاكراً ، وتشغَلُهُ حقوقُ اللهِ عنْ أنْ يكونَ لحظوظِهِ ذاكراً[1] .

جعلَكَ اللهُ في العالمِ الأوسطِ بينَ مُلكِهِ ومَلكوتِهِ ؛ ليُعلِمَكَ جلالةَ قدْرِكَ بينَ مخلوقاتِهِ ، وأنَّكَ جوهرةٌ انطوَتْ عليهَا أصدافُ مكنوناتِه[2] .

أنتَ معَ الأكوانِ ما لم تشهَدِ المكوِّنَ ، فإذا شهدتَهُ . . كانَتِ الأكوانُ معكَ[3] .

* * *

---

(١) النفس عند تحقق الفناء لا وجود لها حتىٰ تُذكر ، ولا فعل لها حتىٰ تُشكر ؛ فليس للعارف عن نفسه إخبار حتىٰ يخبر عنها بفعل شيء ؛ فضلاً عن أن يشكر لها وصفاً ، قد استغرقه شهود فعل الحق عن فعله ، وشهود وصف الحق عن شهود وصفه ، وشهود نور ذات الحق عن شهود ذاته ، فيشغله الثناء على الله عن الالتفات إلىٰ ما سواه .

(٢) في (ج) : (مكوَّناته) ، والمعنىٰ : لم يجعلك ملكياً محضاً ، ولا ملكوتياً محضاً ، بل جعل فيك من عالم الملك جسمك ، ومن عالم الملكوت روحك وسرك ؛ ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته ؛ حيث جمعت بين الظاهر والباطن ، وبين الجسمانيات والروحانيات ؛ ففيك انطوى العالم الأكبر ، ومتىٰ تدبرت ذلك . . علمت أنك جوهرة نفيسة .

(٣) من كان عبداً لله . . كان حراً مما سواه ، وإنما كان الإنسان عبداً لما طمع فيه ؛ فالطمع في الشيء يقتضي المحبة له وحبك الشيء يعمي ويصم ، وفي هذا المعنىٰ قيل : العبد حرٌّ ما قنع ، والحر عبدٌ ما طمع ، وما أقبح الإنسان الذي يريد سيده منه أن يكون ملكاً وهو يريد أن يكون مملوكاً ، خلق له سيده الكونَ بأسره خادماً له عند نهيه وأمره ، فجعل هو يخدم الكون بنفسه ، ويتعبد لأقل شيء وأخسه !!

[صفة العاقل وسيره إلى الحضرة القدسية]

العاقلُ بما هوَ أبقىٰ أفرحُ منهُ بما هوَ يفنى ، قدْ أشرقَ نورُهُ ، وظهرَتْ تباشيرُهُ ، فصدَفَ عنْ هذهِ الدَّارِ مُولياً ، وأعرضَ عنها مُغضباً ، فلم يتَّخذْها وطناً ، ولا جعلَهَا سَكَناً ، بلِ أنهضَ الهمَّةَ فيها إلى اللهِ تعالىٰ وسارَ إليهِ ، مُستعيناً بهِ في القُدومِ عليهِ[1] .

فما زالَتْ مطيةُ عزمِهِ لا يَقرُّ قرارُها ، دائماً تَسيارُها ، إلىٰ أنْ أناخَتْ بحضرةِ القُدس ، وبساطِ الأُنس ؛ محلِّ المفاتحةِ والمواجهةِ ، والمجالسةِ والمحادثةِ ، والمشاهدةِ والملاطفة ؛ فصارَتِ الحضرةُ مُعششَ قلوبِهم : إليها يأوونَ ، وفيها يَستوطِنون[2] .

---

(١) العاقل : هو الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة ، وإذا تحقَّق بهذا المقام . . فقد أشرق نوره في قلبه ، وظهرت تباشيره بالقبول علىٰ وجهه ، فأعرض عن هذه الدار غاضاً بصره عنها لقذارتها ، فلم يتخذها وطناً بظاهره علىٰ سبيل التمتع بها ، ولا جعلها سكناً بباطنه علىٰ جهة المحبة لها ، بل سار فيها مستعيناً به تعالىٰ لا بأعماله في القدوم عليه ، وهذا ابتداء سفره بقلبه إلى الحضرة العلية ، وقطع عقبات النفس في القدوم إلى الحضرة القدسية .

(٢) قال بعض المحققين : المراد بالمفاتحة : نداءُ الحق بمعاني أسمائه وصفاته ، والمواجهة : إقبالُ الرب على العبد ، والمجالسة : ملازمةُ ذكر الله تعالى ، والمحادثة : أن يتكلم في سرِّه بالمعارف والأسرار المفاضة عليه من ربه ، والمشاهدة : كشفٌ لا يصاحبه وهم ، والمطالعة : هي مطالعة معاني أوصافه علىٰ بساط أوصافك ، والتحقيق : أن هذه الألفاظ الستة التي ذكرها المصنف لا تُدرَك إلا بالذوق ، وغاية ما يُفهَم منها : أن الواصلين إلىٰ تلك الحضرة تُفاض عليهم المعارف الإلهية ، ويُقابَلون من لدن الكريم الجواد بالتُّحف السنية ، وصارت الحضرة لقلوبهم بمنزلة العش للطير .

فإنْ نزلُوا إلىٰ سماءِ الحقوقِ أو أرضِ الحُظوظِ . . فبالإذنِ والتَّمكينِ ، والرُّسوخِ في اليَقينِ ، فلم يَنزلوا إلى الحقوقِ بسوءِ الأدبِ والغفلةِ ، ولا إلى الحظوظِ بالشَّهوةِ والمتعةِ ، بل دخلُوا في ذلكَ كلِّه باللهِ ، وللهِ ، ومِنَ اللهِ ، وإلى اللهِ[1] .

[إن الله يدافع عمَّن يحب]

فإيَّاكَ يا أخي أنْ تُصغِيَ إلى الواقعينَ في هذهِ الطَّائفةِ ؛ لئلا تسقطَ مِنْ عينِ اللهِ ، وتستوجِبَ المقتَ مِنَ اللهِ[2] ؛ فإنَّ هؤلاءِ القومَ جلسُوا معَ اللهِ علىٰ حقيقةِ الصِّدقِ ، وإخلاصٍ مِنَ الوفاءِ ، ومراقبةِ الأنفاسِ معَ اللهِ ، قدْ سلَّمُوا قِيادَهُم إليهِ ، وألقَوا أنفسَهُم سِلماً بينَ يديهِ ، وتركُوا الانتصارَ

---

(١) التوحيد عرش ، والشريعة المطهرة كرسي ذلك العرش ، والحقوق المفضلة فيها سماؤها ، والحظوظ النفسانية أرضها ؛ فكل حقيقة لا تصحبها شريعة لا عبرة بصاحبها ، وكل شريعة لا تعضدها حقيقة لا كمال لها ، أما نزولهم إلىٰ سماء الحقوق . . فهو بالإذن والتمكين ، ونزولهم إلىٰ أرض الحظوظ . . فبالإلهام والإعلام ؛ بحيث يتأنَّىٰ في الأمر حتىٰ يفهم أنه مراد الحق تعالى ، وأما النزول بسوء الأدب . . فهو أن يكون نزولهم في طلب الأجور أو الجزاء ، وأما الغفلة . . فهي رؤية النفس في حال العمل ؛ وهو عندهم ذنبٌ يستغفرون منه ، والحاصل : أن أهل الحضرة نزولهم بالله ، وعملهم بالله ، لا يرون لأنفسهم حولاً ولا قوة ، ولا يطلبون من ربهم جزاء ولا أجرة .

(٢) نقل المؤلف رحمه الله تعالىٰ في « لطائف المنن » (ص٢٦ـ ٢٧) عن الجنيد رحمه الله تعالىٰ قوله : (التصديق بعلمنا هذا ولاية ، وإذا فاتتك المنَّة في نفسك . . فلا تفتك أن تصدق بها في غيرك : ﴿ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾ [البقرة : ٢٦٥] ، وقد قال بعض العارفين : التصديق بالفتح لا يكون إلا بفتح . . . وإذا أراد الله [بعبدٍ] خيراً . . جعله من المصدِّقين لأوليائه فيما جاؤوا به وإن قصر عقله عن إدراك ذلك ، فمن أين يجب ألا يهب الله لأوليائه إلا ما تسمعه عقول العباد ، وقد قالوا : يخشىٰ على المكذِّب لهم سوء الخاتمة) .

لأنفسهِمْ حياءً مِنْ ربِّهِم ، **فكانَ هوَ المحارِبَ عنهم** لِمَنْ حارَبَهُم ، **والغالبَ** لِمَنْ غالَبَهُم[1] .

ولقَدِ ابتلَى اللهُ هذهِ الطَّائفةَ بالخلقِ خُصوصاً ، ولا سيَّما أهلِ العلم ، **فقلَّ أنْ تجِدَ منهُم مَنْ شَرَحَ اللهُ صدرَهُ للتَّصديقِ** بوليٍّ معينٍ ، **بلْ يقولُ لكَ** : نعَمْ ؛ إنَّ الأولياءَ موجودونَ **ولكنْ أينَ هُمْ** ؟! فلا يُذكَرُ لهُ أحدٌ إلا وأخذَ يدفعُ خصوصيةَ اللهِ فيهِ ، طلقَ اللِّسانِ بالاحتجاجِ ، عارياً عنِ التَّصديقِ ، **فاحذَرْ مَنْ هذا وصفُه** ، وفِرَّ منهُ فرارَكَ مِنَ الأسدِ[2] .

---

(١) أخرج أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٠ـ ١٢) من حديث قدسي طويل : « **واعلم** : أنه لم يتزين العباد بزينة أبلغ فيما عندي من الزهد في الدنيا؛ **فإنها زينة المتقين** ، عليهم منها لباسٌ يُعرفون به من السكينة والخشوع ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، **أولئك هم أوليائي حقاً حقاً** ، فإذا لقيتَهم . . **فاخفض لهم جناحك** ، وذلِّل لهم قلبك ولسانك ، **واعلم** : أن من أهان لي ولياً أو أخافه . . **فقد بارزني بالمحاربة وبادأني** ، وعرض لي نفسه ودعاني إليها ، وأنا أسرعُ شيءٍ إلىٰ نصرة أوليائي ، **أفيظن الذي يحاربني أن يقوم لي** ، أوَيظن الذي يعاديني أن يعجزني ؟ **أوَيظن الذي يبارزني** أن يسبقني أو يفوتني ؟ فكيف وأنا الثائر لهم في الدنيا والآخرة ؛ **لا أَكِلُ نُصرتَهم إلىٰ غيري** ؟! » ، وأصله عند البخاري (٦٥٠٢) : « إن الله قال : من عادىٰ لي ولياً . . **فقد آذنته بالحرب** ، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحب إليَّ مما افترضتُ عليه . . . » الحديث.

(٢) قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ [الحج : ٣٨] ، فالله سبحانه وتعالىٰ يحب المؤمنين المتقين ، ويدافع عنهم ؛ فمن عادى لله ولياً . . **فقد وقف في صفِّ أعداء الله** ، فيؤذنه الله تعالىٰ بالحرب ، سواء كان ذا نفوذٍ وسلطانٍ أو رجلاً من عامة الناس ؛ **لذلك على المؤمن** أن يحبَّ الصالحين ، **ويغضَّ الطرف عن هفواتهم** ، ولا يقع في غيبتهم وبغضهم ؛ **لئلا يكون في صف أعداء الله تعالىٰ** ، ولا يتصور أحدٌ أن الأولياء معصومون عن الأخطاء ؛ **فهم يخطئون** ، لكنهم إن تذكروا أو ذُكِّروا . . **فاؤوا واستغفروا** ، وهذا يندرج تحت ما أخرجه ابن حبان (٩٤) ، وأبو داوود (٤٣٧٥) عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود** » .

قالَ الشَّيخُ أبو الحسنِ الشَّاذليُّ رضيَ اللهُ عنهُ : (ليسَ الفقيهُ مَنْ فقَأَ الحجابُ عيني قلبِهِ ، وإنَّما الفقيهُ مَنْ فَهِمَ سِرَّ الإيجادِ ، وأنَّه ما أوجدَهُ إلا لطاعتِهِ ، ولا خلقَهُ إلا لخدمتِهِ ، فإذَا فهِمَ هذا . . كانَ هذا الفِقهُ منهُ سبباً لزهدِهِ في الدُّنيا ، وإقبالِهِ على الآخرة ، وإهمالِهِ لحظوظِ نفسِهِ ، واشتغالِهِ بحقوقِ سيِّدِه ، مفكِّراً في المعادِ ، قائماً بالاستعدادِ)[١] .

[من المؤمن القوي ؟]

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم : « المؤمنُ القويُّ خيرٌ عندَ اللهِ مِنَ المؤمنِ الضَّعيفِ ، وفي كلٍّ خيرٌ »[٢] .

والمؤمنُ القويُّ : هوَ الَّذي أشرقَ في قلبِهِ نورُ اليقينِ ؛ قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ * أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ * فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [الواقعة : ١٠ـ ١٢] ،

---

(١) ذكره المؤلف في كتابه « التنوير في إسقاط التدبير » (ص١٣٠) ، و« لطائف المنن » (ص٣٥ـ ٣٦) ، وصرح بسماعه من الشيخ رحمهما الله تعالى ، لكن العبارة تحرفت فيهما بحذف كلمة (ليس) فانقلب المعنى ، ونقل في « التنوير » بعدها عن بعضهم قوله : (لو قيل لي : غداً تموت . . لم أجد مستزاداً) ، وعن آخر وقد قالت له أمه : يا بني ؛ ما لك لا تأكل الخبز ؟ فقال : (بين مضغ الخبز وأكل الفتيت قراءة خمسين آية) . لقد كان السلف الصالح يحرصون على الوقت الحرص الشديد ، ويحافظون عليه الحفظ الأكيد ؛ كما روي : أن بعض المريدين رُئي بثوب وسخ ، فقيل : ألا تغسله ؟ فقال : (ما فرغتُ له) فقال بعض المشايخ : (ما زالت عن قلبي حلاوة قوله : ما فرغتُ له !!) قاله العلامة علي بن عبد الله باراس اليمني رحمه الله تعالىٰ في شرحه على الحكم المسمىٰ « شفاء السقم وفتح خزائن الكلم » (ص٧١٥) رقم الحكمة (٢٠٨) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) ، وابن حبان (٥٧٢١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وتتمته : « احرص علىٰ ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء . . فلا تقل : لو أني فعلتُ . . كان كذا وكذا ، ولكن قل : قدَّر الله وما شاء . . فعل ؛ فإن (لو) تفتح عمل الشيطان » .

سَبقُوا إلى اللهِ فخلَّصَ قلوبَهُمْ ممَّا سِواهُ ، **فلم تُعقْهُمُ العوائقُ** ، ولم تَشغلْهُمْ عنِ اللهِ العلائقُ[1] ، **فسَبقُوا إلى اللهِ** ؛ إذْ لا مانعَ لهُم[2] .

[القلب السليم]

وإنَّما منعَ العبادَ مِنَ السَّبقِ جواذبُ التَّعلُّقِ بغيرِ اللهِ تعالى ، فكلَّما همَّتْ قلوبُهُمْ أنْ ترحلَ إلى اللهِ تعالىٰ . . **جَذَبَها ذلكَ التَّعلُّقُ الَّذي بهِ تعلَّقَتْ** ، فكرَّتْ راجعةً إليهِ ومقبلةً عليهِ ، **فالحضرةُ محرَّمةٌ** علىٰ مَنْ هذا وصفُهُ ، **وممنوعةٌ** علىٰ مَنْ هذا نعتُهُ ، **وافهَمْ هـٰهُنَا قولَهُ تعالىٰ** : ﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴾[3] [الشعراء : ٨٨ ـ ٨٩] .

---

(١) في (ج ، ط) : (ولم تشغلهم عن الله الخلائق) .

(٢) **إن في المؤمنين** أقوياء وضعفاء ، وليِّنين وأشداء ، **ومن المؤمنين** من هو أشدُّ في الله عزَّ وجلَّ من الحجارة ، **وفيهم** من هو ألين من اللَّبَن ، **فأوصاف المؤمنين متفاوتة** في الضعف والقوَّة ، وفي الجُبن والشجاعة ، وفي الصبر والجزع ، **فشتان بين من شُبه في القوَّة والعلو** بالنخلة ؛ قلبه ثابت وهمه في السماء ، يطعم جناه ولا يدَّخر ، **ومن شُبه بالنملة في الضعف** ، والذي يستطعم ويحتكر !! وقد فضَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم قوماً ومدحهم : **أنهم لا يَسْترقون ولا يكتوون ، وعلىٰ ربهم يتوكَّلون** ، وذكر أنهم يدخلون الجنة بغير حساب ، فعلَّل بالتوكل ، وأخبر أنهم تركوا ذلك توكُّلاً ، ثم سأله عُكَّاشة أن يدعو الله أن يجعله منهم ، ففعل ؛ **لأنه رأىٰ ذلك طريقه** ، ورأىٰ معه زاده ، **وشهد فيه القوَّة فأهَّله لذلك** ، فلما قال له الآخر : ادعُ الله أن يجعلني منهم ، **والمقامات لا يُقتدىٰ بها ولا يُتمثل فيها** كما لا تُدَّعى ؛ لأنها مواجيدُ قلوب باتحاد قريب ، ومشاهدات غيوب بإشهاد حبيب ، فلما لم يرَ ذلك طريقه ولم يشهد معه زاده . . **لم يُؤهِّله لذلك** ، فأوقفه علىٰ حدِّه ، وحكم عليه بضعفه ، فردَّه ردّاً جميلاً ؛ **لأنه كان حبيباً كريماً** ، فقال صلى الله عليه وسلم : « **سبقك بها عُكَّاشة** » .

(٣) قال بعضهم : (**نور القلب** من الحكمة ، **وظلماته** من اللقمة ، **وعمارته** من كثرة الفكرة ، **وخرابه** من طول الغفلة والقسوة) ، وقال بعضهم : (**المريد** : يطلب الحكمة ، **والمؤمن** : يطلب التوبة ، **والزاهد** : يطلب الراحة ، **والمحب** : يطلب ←

والقلبُ السَّليمُ : هوَ الَّذي لا تعلَّقَ لهُ بشيءٍ غيرِ اللهِ تعالى .

وقولَهُ تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ [الأنعام : ٩٤] . . **يُفهَم منهُ** : أنَّه لا يصلحُ مجيئُكَ إلى اللهِ ولا الوُصولُ إليهِ إلا إذَا كنْتَ فرداً ممَّا سِواهُ .

وقولَهُ تعالى : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴾ [الضحى : ٦] . . **يُفهَم منهُ** : أنَّه لا يُؤْويكَ إلا **إذا صحَّ يُتْمُكَ ممَّا سِواهُ**[١] .

الخلوة ، **والصادق** : يطلب الهمة ، **والعارف** : يطلب الغاية ، **والراغب** : يطلب الشهوة ؛ فمن أراد الحكمة . . **فعليه بمجالسة أهل الرغبة والرهبة** ، ومن أراد التوبة . . **فعليه بترك الحوبة** ، ومن أراد الراحة . . **فعليه بهجران أهل القسوة والغفلة** ، ومن أراد الخلوة . . **فعليه بخلو المعدة** ، ومن أراد اجتماع الهمة . . **فعليه بترك الأسباب وقطع العلاقة** ، ومن أراد الغاية . . **فعليه بصحبة السادة** ، ومن أراد الشهوة . . **فليتهيأ لعظيم الحسرة**) انتهىٰ من « علم القلوب » المنسوب لأبي طالب المكي رحمه الله تعالىٰ (ص٢٦) .

(١) إذا أردتَ أيُّها العارف أن تطلب من مولاك شيئاً جلباً أو دفعاً . . **فعليك بالاضطرار** ، **والاضطرار** : هو أن يكون كالغريق في البحر ، **ولا يرىٰ لغياثه إلا مولاه** ، ولا يرجو لنجاته من هلكته أحداً سواه ، فما طلب لك من مولاك شيء **مثل اضطرارك إليه** ، **والوقوف بين يديه** ، متحلياً بحلية العبيد ، **هنالك تنال كل ما تريد** ، قال بعضهم : (من الوافر)

وما رمتُ الدخول عليه حتى	حللتُ محلةَ العبدِ الذليلِ
وأغضيتُ الجفون علىٰ قذاها	وصنتُ النفس عن قالٍ وقيلِ

فإذا طلبت الدخول مع الأحباب . . **فقف ذليلاً حقيراً بالباب** ؛ حتىٰ يرفع بينك وبينه الحجاب ، من دون حيلةٍ منك ولا أسباب ، **وإنما هو فضل من الكريم الوهاب** ؛ كما أشار إلىٰ ذلك المؤلف رحمه الله تعالىٰ بقوله : (لو كنتَ لا تصل إليه إلا بعد فناء مساويك ، ومحو دعاويك . . **لم تصل إليه أبداً** ؛ ولكن إذا أراد أن يوصلك إليه . . **ستر وصفك بوصفه** ، وغطَّىٰ نعتك بنعته ، **فوصلك إليه بما منه إليك** ، لا بما منك إليه) .

[الله وترٌ يُحبُّ الوتر]

وقولَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم : « إنَّ اللهَ وترٌ يُحِبُّ الوتر »[1] أي : يحبُّ القلبَ الَّذي لا يشفعُ بمثنياتِ الآثار ، فكانَتْ هذهِ القلوبُ للهِ وباللهِ .

فهُمْ أهلُ الحضرةِ المخاطَبونَ بعينِ المِنَّة ، فكيفَ يمكنُهُمْ أنْ يكونوا لِسواهُ مُستندينَ ؛ وهُمْ لوجودِ الأحديَّةِ مشاهِدونَ ؟[2] .

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٠) ، ومسلم (٢٦٧٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وتمامه : « لله تسعة وتسعون اسماً من حفظها . . دخل الجنة ، وإن الله وترٌ يحب الوتر » .

(٢) وقال بعضهم : (أهل القرب : هم أهل الحضرة المستغرقون في الشهود ؛ لأن الله تعالىٰ ليس في حقه قُرب ولا بُعدٌ ، وإنما ذلك في حق العبد ؛ فمن رُفع الحجاب عن عين قلبه ، وفاضت عليه أنوار قُربه . . رمته المراقبة للمشاهدة ، والمشاهدة للمكاشفة ، والمكاشفة للمعاينة ، والمعاينة للمسامرة والمحادثة والمكالمة ، وصار الحق أبداً جليسه وأنيسه ؛ فهذا هو التقريب للعبد بعد البعد ، وخرق جميع الحجب) ، وقال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه : (أهل المحبة والشوق علىٰ قسمين : قوم اشتاقت نفوسهم على الغيبة ، فلا سكون لهم إلا باللقاء ، وقوم اشتاقت أرواحهم على الحضور والمعاينة والشهود ، فلا سكون لهم إلا بالغوص في بحر الأسرار ، وتنزل المعاني علىٰ قلوبهم) ، وقال أبو يزيد رضي الله عنه : (لله رجال لو حجبهم في الجنة عن رؤيته . . لاستغاثوا من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار ؛ لكنهم على الأرائك ينظرون) ، وقال سمنون : (ذهب المحبُّون لله بشرف الدنيا والآخرة ؛ لأنهم معه أبداً ، والنبي صلى الله عليه وسلم قال : « المرء مع من أحب ») ، وسأل جماعة من المشايخ الجنيد رضي الله عنه عن المحبة ، فبكىٰ وقال : (كيف أصف عبداً ذاهباً عن نفسه ، متصلاً بذكر ربه ، قائماً بأداء حقوقه ، ناظراً إليه بعين قلبه ، قد أحرق قلبه نار هيبته ، وصفَّىٰ شربه من كأس وده ، وكشف له الجبار من أستار غيبه ؛ فإن تكلم . . فبالله ، وإن نطق . . فمن الله ، وإن تحرك . . فبأمر الله ، وإن سكن . . فمع الله ، وهو بالله ولله ومع الله) .

قالَ الشَّيخُ أبو الحسنِ الشَّاذليُّ رضيَ اللهُ عنهُ : (قَوِيَ عليَّ الشُّهودُ مرَّةً ، فسألتُهُ أنْ يسترَ عليَّ ذلكَ ، فقيلَ لي : لو سألتَهُ بما سألَهُ موسىٰ كليمُه ، وعيسىٰ روحُهُ ، ومحمَّدٌ حبيبُهُ وصفيُّه صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم . . لم يفعَلْ ، **ولكنْ سَلْهُ أنْ يُقويَكَ** ، فسألْتُهُ فقوَّاني)[1] .

فأهلُ الفهمِ عنِ اللهِ توكَّلوا عليهِ ، فكانَ بمعونَتِهِ لهُمْ ، فكفاهُمْ ما أهمَّهمْ ، وصرَفَ عنهُمْ ما أغمَّهُمْ ، **واشتغلُوا بما أمرَهُمْ** عمَّا ضمِنَ لهُمْ ؛ عِلماً منهم بأنَّه إلىٰ غيرِهِ **لا يَكِلُهم** ، ومِنْ فضلِهِ **لا يَمنعُهُم** ، فدخلوا في الرَّاحةِ ، **ووقَفُوا في جنَّةِ التَّسليم** ، ولذاذةِ النَّعيم ، **فرفَعَ لهُمْ بذلكَ مِقدارَهُم** ، وكمَّلَ أنوارَهُمْ[2] .

* * *

---

(١) ذكرها المؤلف في كتابه « التنوير في إسقاط التدبير » (ص١٦٥) ، وزاد : (فمن كان هذا حاله . . **فكيف يحتاج إلى الادخار** ، أم كيف يمكنه أن يستند إلى الأغيار ؟ **وكفىٰ بالمؤمن** أن يدَّخر إيماناً بالله ، وثقةً به ، وتوكلاً عليه) .

(٢) أخرج الخطيب في « المنتخب من الزهد » (٩) بإسناده عن سيدنا سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالىٰ قال : (**حرامٌ علىٰ قلبٍ** أن يشم رائحة اليقين وفيه سكونٌ إلىٰ غير الله ، **وحرامٌ علىٰ قلبٍ** أن يدخله النور وفيه شيء مما يكره الله عز وجل) .

[العلم النافع هو المراد في الكتاب والسنة]

واعلَمْ ـ رحمَكَ اللهُ تعالىٰ ـ : أنَّ العِلمَ حيثُما تكرَّرَ في الكتابِ العزيزِ أو في السُّنَّةِ . . **إنَّما المرادُ بهِ** : العلمُ النَّافعُ[1] ؛ **الَّذي تُقارِنُهُ الخَشيةُ مِنَ اللهِ تعالىٰ** ، وتَكتَنِفُهُ المخافةُ ؛ قالَ تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر : ٢٨] ، **فبيَّنَ** : أنَّ الخشيةَ تُلازِمُ العِلمَ ؛ **فالعلماءُ هُمْ أهلُ الخشيةِ**[2] .

وكذلكَ قولُهُ تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ ﴾ [الإسراء : ١٠٧] ، وقولُهُ : ﴿ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ ﴾ [النساء : ١٦٢] ، وقولُهُ : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[3] [طه : ١١٤] .

---

(١) في (ج ، د ، ط) : (ولذاذة التفويض ، فرفع الله لهم . . .) ، وأخرج الدارمي (٢٥٥) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : (**كونوا ينابيع العلم** ، مصابيح الهدى ، **أحلاس البيوت** ، سرج الليل ، **جدد القلوب** ، خلقان الثياب ، **تُعرَفون في أهل السماء** ، وتَخفَون علىٰ أهل الأرض) .

(٢) أخرج ابن أبي حاتم في « تفسيره » (١٧٩٧٧ـ ١٧٩٨٠) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ قال : (**الذين يعلمون أن الله علىٰ كل شيءٍ قدير**) ، وعن سيدنا ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال : (**ليس العلم** من كثرة الحديث ، **ولكن العلم** من الخشية) ، وعن صالح أبي الخليل رضي الله عنه في قوله : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ قال : (**أعلمهم بالله** : أشدهم له خشية) ، ومن طريق سفيان ، عن أبي حيان التيمي ، عن رجل قال : (كان يقال : **العلماء ثلاثة** : عالم بالله ، وعالم بأمر الله ، وعالم بالله ليس بعالم بأمر الله ، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله ؛ **فالعالم بالله وبأمر الله** : الذي يخشى الله ويعلم الحدود والفرائض ، **والعالم بالله ليس بعالم بأمر الله** : الذي يخشى الله ولا يعلم الحدود ولا الفرائض ، **والعالم بأمر الله ليس بعالم بالله** : الذي يعلم الحدود والفرائض ولا يخشى الله) .

(٣) قال الإمام القشيري رحمه الله تعالىٰ في تفسيره « لطائف الإشارات » ←

وقولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم : « **العلماءُ ورثةُ الأنبياءِ** »[1] . . **إنَّما المرادُ بالعلمِ في هذهِ المواطنِ كلِّها** : العلمُ النَّافعُ ، القاهرُ للهوَىٰ ، القامعُ للنَّفسِ ؛ وذلكَ مُتعيِّنٌ بالضَّرورةِ ، لأنَّ كلامَ اللهِ تعالىٰ وكلامَ رسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم **أجلُّ مِنْ أنْ يُحمَلَ علىٰ غيرِ هذا**[2] .

والعلمُ النَّافعُ : هوَ الَّذي يُستعانُ بهِ علىٰ الطَّاعةِ ، ويلزمُ الخشيةَ

(٢/ ٤٨٠) : (قوله : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ : فإذا كان أعلم البشر ، وسيّد العرب والعجم ، ومن شهد له الحقُّ بخصائص العلم حين قال : ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾ [النساء : ١١٣] . . **يقال له** : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ علم أنَّ ما يخصُّ به الحقُّ أولياءه من لطائف العلوم **لا حصر له** .

ويقال : **أحاله علىٰ نفسه** في استزادة العلم ، **وموسىٰ عليه السلام أحاله على الخضر** ؛ حتىٰ قال له : ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف : ٦٦] **فشتان بين عبدٍ أُحيل علىٰ عبدٍ في ذلك** ، ثم قيل له : ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ [الكهف : ٦٧] ثم بعد كل ذلك التلطف قال له في آخر الأمر : ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ [الكهف : ٧٨] **وبين عبد أمره عند استزادة العلم** بأن يطلبه من قبل ربه فقال : قل يا محمد : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ .

ويقال : لما قال عليه السلام : « **أنا أعلمكم بالله وأخشاكم له** » . . قال له : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ ليعلم : أنّ أشرف خصال العبد **الوقوفُ في محلِّ الافتقار** ، والاتصاف بنعت الدعاء دون الوقوف في معرض الدعوى) .

(١) أخرجه ابن حبان (٨٨) ، وأبو داوود (٣٦٤١) ، والترمذي (٢٦٨٢) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه .

(٢) انظر « التنوير في إسقاط التدبير » (ص١٦٨) ، وقال فيه : (**ويشمل العلم النافع** : العلم بالله ، والعلم بما به أمر الله إذا كان تعلمه لله ؛ فقوله عليه الصلاة والسلام : « **طالب العلم تكفَّل الله برزقه** » أي : تكفَّل له **أن يوصله له مع الهناء والعزة والسلامة من الحجبة** ، وإنما أوَّلنا هذا للتأويل ، وأن معنى التكفل : **تكفُّلٌ خاص** ؛ وذلك لأن الحق سبحانه وتعالىٰ تكفَّل برزق العباد أجمع : طلبوا هذا العلم أو لم يطلبوه ، **فدلَّ علىٰ أن هذه الكفالة كفالة خاصة** كما ذكرنا ، لأنه أفردها بالذِّكر) .

مِنَ اللهِ تعالى ، والوقوفَ على حُدودِ اللهِ تعالى ؛ **وهوَ عِلْمُ المعرفةِ باللهِ تعالى**[1] .

ولكِنْ مَنِ استرسلَ بإطلاقِ التَّوحيدِ ، ولم يتقيَّدْ بظواهرِ الشَّريعةِ . . **فقَدْ قُذفَ به في بحرِ الزَّندقةِ ، ولكِنَّ الشَّأنَ** أنْ يكونَ بالحقيقةِ مُؤيداً ، وبالشَّريعةِ مُقيداً .

[مقام الهداية]

وكذلكَ المحققُ ؛ **فلا يكونُ منطلقاً** معَ الحقيقةِ ، **ولا واقفاً** معَ ظاهرِ إسنادِ الشَّريعةِ ، **وكانَ بينَ ذلكَ قواماً** ؛ فالوقوفُ معَ ظاهرِ الإسنادِ . . **شِركٌ** ، والانطلاقُ معَ الحقيقةِ مِن غيرِ تقيُّدٍ بالشَّريعةِ . . **تعطيلٌ** ، **ومقامُ الهدايةِ** فيما بينَ ذلكَ[2] .

وكلُّ عِلمٍ تَسبقُ إليكَ فيهِ الخواطرُ ، وتتبعُها الصُّور ، وتميلُ إليهِ النَّفسُ ، وتلتذُّ بها الطَّبيعةُ . . **فارْمِ به وإنْ كانَ حقاً**[3] ، وخُذْ بعلمِ اللهِ

---

(١) قال أبو يزيد البسطامي رحمه الله تعالى : (غلطتُ في ابتداء أمري ؛ حسبتُ أني ذكرتُه . . **فإذا هو ذكرني** قبل ذكري له ، وحسبتُ أني أطلبه . . **فإذا هو طلبني** قبل طلبي له ، وحسبتُ أني أعرفه . . **فإذا هو عرفني** قبل معرفتي له ، حسبتُ أني أحبُّه . . **فإذا هو أحبني** قبل محبتي له ، وحسبتُ أني أعبده . . **فإذا هو جعل خلائق الأرض في خدمتي**) انظر « علم القلوب » (ص٢١٣) .

(٢) مَن ركب بحر التوحيد مع غير رئيسٍ عارف ، ولم يأوِ إلىٰ سفينة الشريعة ، واستكبر عن الخضوع إلىٰ تكاليفها . . **لعبت به الأمواج ، فكان من المغرقين** : ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمۡ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢٥٧] ؛ لأن من تحقَّق ولم يتشرَّع . . **فقد تزندق** ، ومن تشرَّع ولم يتصوَّف . . **فقد تفسَّق** ، ومن جمع بينهما . . **فقد تحقَّق** ، جعلنا الله ممن تحقَّق بهما ، وسلك علىٰ منهاجهما إلى الممات ، آمين .

(٣) قال ابن السماك رحمه الله تعالى : (كم من مذكِّرٍ بالله . . **ناسٍ لله** ، وكم من مخوفٍ بالله . . **جريءٌ على الله** ، وكم من مقرِّب إلى الله . . **بعيدٌ من الله** ، وكم ←

الَّذي أنزلَهُ علىٰ رسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم ، **واقتدِ به وبالخلفاءِ مِنْ بعدِهِ** ، وبالصَّحابةِ والتَّابعينَ مِنْ بعدِهِمْ ، وبالهُداةِ إلى اللهِ تعالى : الأئمةِ المبرئينَ مِنَ الهَوَى ومُتابعتِهِمْ . . **تسلمْ مِنَ الشُّكوكِ والظُّنونِ** ، والأوهامِ والوَساوسِ ، والدَّعاوىٰ الكاذبةِ المضلَّةِ عَنِ الهُدىٰ وحقائقِهِ .

وحسبُكَ مِنَ العلمِ النَّافعِ العلمُ بالوحدانيةِ ، **ومِنَ العملِ** محبَّةُ اللهِ ومحبةُ رسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم ، ومحبَّةُ الصَّحابةِ ، **واعتقادُ الحقِّ للجماعة**[1] .

* * *

من داعٍ إلى الله . . **فارٌّ من الله** ، وكم من تالٍ كتاب الله . . **منسلخٌ عن آيات الله**) نسأل الله العلم النافع . انظر « مسطور الإفادة » (ص ٤٨) .

(١) أخرج مسلم (٨٢٢) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه قال : (إن أقواماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، ولكن إذا وقع في القلب ، **فرسخ فيه . . نفع**) ، وأخرج ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣٥٥٠٢) عن الحسن رحمه الله يرفعه : « **العلم علمان** : علم في القلب ؛ **فذاك العلم النافع** ، وعلم على اللسان ؛ **فتلك حجة الله علىٰ عباده** ، **والعلم النافع** مما يزيد الخوف من الله ، والبصيرة بعيوب النفس ، **ويقلل الرغبة في الدنيا** ، ويزيد الرغبة في الآخرة ، **ويطلع علىٰ مكائد الشيطان** وغروره وكيفية تلبيسه علىٰ علماء الشر ؛ حتىٰ عرَّضهم لمقت الله وسخطه ، **حيث أكلوا الدنيا بالدين** ، واتخذوا العلم ذريعة إلىٰ أخذ الأموال من السلاطين ، وأكل أموال الأوقاف واليتامىٰ والمساكين ، **وصرف هممهم طول نهارهم إلىٰ طلب الجاه والمنزلة** في قلوب الخلق ، **واضطرهم ذلك** إلى المماراة والمنافسة والمباهاة .

[دع الخلق والزم باب الخالق]

وإنْ أردْتَ أنْ يكونَ لكَ نصيبٌ ممَّا لأولياءِ اللهِ تعالىٰ . . **فعليكَ برفضِ النَّاسِ جملةً** إلاَّ مَنْ يدلُّكَ على اللهِ تعالى : **إمَّا بإشارةٍ** صادقةٍ ، **أو بأعمالٍ ثابتةٍ** لا ينقضُهَا كتابٌ ولا سُنَّةٌ ، **فارفَعْ همَّتَكَ إلىٰ مولاكَ** ، واشتغِلْ بهِ دُونَ غيرِهِ ؛ فقَدْ سمعْتُ الشَّيخَ أبا العبَّاسِ المرسيَّ يقولُ : (واللهِ ؛ ما رأيتُ العِزَّ **إلَّا في رفعِ الهمَّةِ عَنِ الخلقِ**)[1] .

واذكُرْ ـ رحمَكَ اللهُ ـ **هٰهنا قولَهُ تعالىٰ** : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون : ٨] ؛ فمِنَ العزِّ الَّذي أعزَّ اللهُ بهِ المؤمنَ رفعُ همَّتِهِ إلىٰ مولاهُ ، وثقتُهُ بهِ دونَ ما سواهُ .

---

(١) نقله الثعالبي في تفسيره « الجواهر الحسان » (٤/٧٦) ، **واعلم** : أن سبب العز الذي يعطيه الله لأوليائه . . **هو حبه لهم** ؛ فالعزُّ نتيجة الحب ، أخرج البخاري (٣٢٠٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أحبَّ الله العبد . . نادىٰ جبريل : **إن الله يحب فلاناً فأحببه** ، فيحبه جبريل ، فينادي جبريل في أهل السماء : **إن الله يحب فلاناً فأحبوه** ، فيحبه أهل السماء ، **ثم يوضع له القَبول في الأرض** » ، **وسبب حب الله للعبد** : هو زهده في الدنيا ، أخرج الحاكم (٤/٣١٣) عن سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم وعظ رجلاً فقال : « **ازهد في الدنيا** . . **يحبك الله عز وجل** ، وازهد فيما في أيدي الناس . . **يحبك الناس** » ، **ثم اعلم** : أن هذا العز الذي يعطيه الله لأوليائه لا يكون في بدايتهم ولا في أول أمرهم ؛ **لئلا يفتنهم الخلق عن الوصول إلى الحق** ، بل من لطف الله بهم وإغارته عليهم : **أن ينفر عنهم الخلق** ، أو يسلط عليهم ؛ حتىٰ يتخلصوا من رق الأشياء ، ويتحققوا بالوصول والتمكين ؛ فحينئذٍ إن شاء . . **أظهر عزهم** ؛ لينفع بهم عباده ، ويهدي بهم من شاء من خلقه ، وإن شاء . . **أخفاهم واستأثر بعزهم** ؛ حتىٰ يقدموا عليه ، فينشر عزهم ، ويظهر مكانتهم في دارٍ لا فناء لها .

[الحوائج لا تُرفع إلا إليه]

واسْتحِ مِنَ اللهِ بعدَ أنْ يكونَ قدْ كساكَ حُلَّةَ الإيمانِ ، **وزيَّنكَ بزينةِ العِرْفانِ** أنْ تستوليَ عليكَ الغفلةُ والنِّسيانُ ، حتَّىٰ تميلَ إلى الأكوانِ ، أو تطلبَ مِنْ غيرِهِ وجودَ الإحسانِ !![1] .

وقبيحٌ بالمؤمنِ أنْ يُنزِلَ حاجتَهُ بغيرِ مَولاهُ ، معَ علمِهِ بوحدانيَّتِهِ وانفرادِهِ برُبوبيتِهِ ، **وهوَ يسمعُ قولَهُ تعالىٰ** : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر : ٣٦] ، **وليذكُرْ قولَهُ تعالىٰ** : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾ [المائدة : ١] ، **ومِنَ العقودِ الَّتي عاقدْتَهُ عليها** : ألا ترفعَ حوائجَكَ إلا إليهِ ، ولا تتوكَّلَ إلا عليهِ[2] .

---

(١) وقال بعضهم : (**الخلق عند الطاعة والمعصية علىٰ ست طبقات** : رجل يستحي **عند المعصية** من الله ومن خلق الله ؛ **فهذا مقام المؤمنين** ، وآخر يستحي من خلق الله ولا يستحي من الله ؛ **فهذا مقام الظالمين** ، وآخر لا يستحي من الله ولا من خلق الله ؛ **فهذا مقام الفاسقين** ، وآخر **عند الطاعة** يستحي من الله ولا يستحي من خلق الله ؛ **فهذا مقام العارفين من المخلصين** ، وآخر يستحي عند الطاعة من خلق الله فيترك الطاعة ؛ **فهذا مقام المنافقين** ، وآخر عند الطاعة لا يستحي من الله ، فَتورٌ ـ أي : كسلان ـ بما يجب عليه في ذلك ، ولا هو يستحي من خلقه بل يعمل على الغفلة ؛ **فهذا مقام عموم المؤمنين**) من « علم القلوب » (ص١٧٤) بتصرف يسير .

(٢) أخرج ابن الأعرابي في « معجمه » (٨٠٩) عن محمد بن عبد الله الزراد قال : (احتاجت رابعةُ إلىٰ شيءٍ فقيل لها : لو بعثتِ إلىٰ فلانٍ قريبٍ لها ، فطلبتِ منه ؟! فقالت : والله ؛ ما أطلب الدنيا ممن يملكها . . **فكيف أطلبها ممن لا يملكها ؟!**) . وأخرج أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٧/ ٩) عن سفيان الثوري قال : (دخلت علىٰ بنت أم حسان الأسدية **وفي جبهتها مثل ركبة العنز من أثر السجود** ، وليس به خفاء ، فقلتُ لها : يا بنت أم حسان ؛ ألا تأتين عبد الله بن شهاب بن عبد الله ، فرفعتِ إليه رقعة . . **لعله أن يعطيك من زكاة ماله ما تُغَيِّرين به** ←

ورفعُ الهمَّةِ عنِ الخلْقِ هوَ ميزانُ الفقراءِ : ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ ﴾[1] [الرحمن : ٩] ، فيظهرُ الصَّادقُ بصِدقِهِ ، والمدَّعِي بكذبِهِ ، وقدِ ابتلَى اللهُ بحِكمَتِهِ ووجودِ مِنَّته الفقراءَ الَّذين ليسُوا بصادقينَ ؛ بإظهارِ ما كَمَنوهُ مِنَ الرَّغبةِ ، وأسرُّوهُ مِنَ الشَّهوةِ ، فابتذلُوا أنفسَهُم لأبناءِ الدُّنيا ، مُباسِطينَ لهُمْ ، مُوافقينَ لهُمْ على مآربِهِمْ ، مَدفوعينَ عَنْ أبوابِهِم ، فترَى الواحِدَ منهُمْ يتزيَّنُ كمَا تتزيَّنُ العَروسُ ، معتنونَ بإصلاحِ ظَواهرِهِمْ ، غافلونَ عَنْ إصلاحِ سرائِرِهِمْ[2] .

← بعض الحالة التي أراها بك ؟ فدعت بمعجرٍ لها فاعتجرت به ، فقالت : يا سفيان ؛ لقد كان لك في قلبي رجحان كثير أو كبير . . فقد ذهب الله برجحانك من قلبي ، يا سفيان ؛ تأمرني أن أسأل الدنيا من لا يملكها ؟! وعزته وجلاله ؛ إني أستحي أن أسأله الدنيا وهو يملكها !!) .

(١) وقال المؤلف رحمه الله تعالى في « التنوير في إسقاط التدبير » (ص١٧٣-١٧٤) : (وكن أيها العبد إبراهيمياً ؛ فقد قال أبوك إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه : ﴿ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٦] ، وما سوى الله تعالى آفلٌ : إما وجوداً أو إمكاناً ، وقد قال الله تعالى : ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الحج : ٧٨] أي : اتبعوا ملة أبيكم إبراهيم ، فواجبٌ على المؤمن أن يتبع ملة إبراهيم ، ومن ملة إبراهيم : رفع الهمة عن الخلق ، فإنه يوم زُجَّ به في المنجنيق تعرَّض له جبرائيل عليه السلام ، فقال : « أما إليك . . فلا ، وأما إلى الله . . فبلى » ، قال : سَلْه ، قال : « حسبي من سؤالي علمه بحالي » فانظر كيف رفع إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه همته عن الخلق ، ووجَّهها إلى الملك الحق ، فلم يستغث بجبرائيل ، ولا احتال على السؤال من الله تعالى ، بل رأى الحق أقرب إليه من جبرائيل ومن سؤاله ؛ فلذلك سلَّمه من النمروذ ونكاله ، وأنعم عليه بنواله وإفضاله ، وخصَّه بوجود إقباله) .

(٢) رفع الهمة عن الخلق : هو ميزان الفقراء ، ومسبار الرجال ، وكما تُوزَن ←

ولقدْ وَسَمَهُمُ الحقُّ وَسمةً كشَفَ بها عوراتِهِمْ ، وأظهرَ أخبارَهُمْ ، فبعدَ أنْ كانَتْ نِسبتُهُمْ معَ اللهِ أنْ لو صَدَقَ معَ اللهِ أنْ يُقالَ له : عبدُ الكبير ، فأُخرِجَ عَنْ هذهِ النِّسبةِ ، فصارَ يُقالُ لهُ : عبدُ شيخِ الأمير[1] .

أولئكَ الكاذبونَ على اللهِ تعالىٰ ، الصَّادُّونَ العبادَ عَنْ صُحبةِ أولياءِ اللهِ ؛ لأنَّ ما يَشهدُهُ العوامُّ منهُمْ يَحملُونَهُ علىٰ كلِّ مُنتسبٍ إلى اللهِ ؛ صادقٍ وغيرِ صادقٍ ، فهُمْ حُجُبُ أهلِ التَّحقيقِ ، وسُحُبُ شمسِ أهلِ التَّوفيقِ ، ضربُوا طُبولَهم ، ونشرُوا أعلامَهُم ، ولبِسُوا دُروعَهُم ، فإذا وقعَتِ الحملةُ . . ولَّوا علىٰ أعقابِهِمْ ناكِصينَ ، ألسنتُهُمْ مُنطلِقةٌ بالدَّعوى ، وقلوبُهم خاليةٌ مِنَ التَّقوى !![2] .

ألَمْ يَسمَعُوا قولَهُ سبحانَهُ وتعالىٰ : ﴿ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ﴾ [الأحزاب : ٨] ، أترَىٰ إذا سألَ الصَّادقينَ . . أيترُكُ المدَّعينَ مِنْ غيرِ سُؤالٍ ؟!

← الذوات . . كذلك توزن الأحوال والصفات ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [يوسف : ٨٦] فيه : رفع الهمة عن الخلق ، والاكتفاء بالملك الحق ، وعدم الشكوىٰ فيما ينزل إلى الخلق ، وهذا أمر محقق ، مذوق عند العارفين ؛ أهل الغنىٰ بالله ، وهو ركن من أركان طريق التصوف ، بل هو عين التصوف ، وما قُدِّر لماضغيك أن يمضغاه . . فلا بدَّ أن يمضغاه ؛ فامضغه ويحك بعز ، ولا تمضغه بذل .

(١) أخرج البخاري (٢٨٨٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ؛ إن أُعطي . . رضي ، وإن لم يُعط . . سخط ، تعس وانتكس ، وإذا شيك . . فلا انتقش . . . » الحديث ، فالمرء مع من أحب ، ومن مات علىٰ ذُنابىٰ طريقٍ . . فهو من أهله .

(٢) شر الناس من باع دينه بدنياه ، وشرٌّ من هؤلاء من باع دينه بدنيا غيره ؛ فكيف بمن صدَّ عن دين الله ، وبارز الله بالتكذيب والمعاداة لشرعه وأوليائه ، ومن بارز الله بالمحاربة . . أهلكه وخذله ، وجعله عبرة لمن يعتبر .

ألم يَسمعُوا قولَهُ تعالىٰ : ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة : ١٠٥] ؛ **فهُمْ في إظهارِ زِيِّ الصَّادقينَ** ، وعملُهُمْ عملُ المعرضينَ !![١] .

* * *

(١) ذكر ذلك المؤلف رحمه الله تعالىٰ في « التنوير في إسقاط التدبير » (ص١٤٥ـ ١٤٦) ، ثم أتبعها بقول بعضهم : (من الكامل)

أمـا الخيـامُ فـإنهـا كخيـامهـم	وأرىٰ نسـاءَ الحـيِّ غيـر نسـائهـا
لا والـذي حجَّـت قـريـشٌ بيتـه	مستقبليـن الـركـن مـن بطحـائهـا
مـا أبصـرَتْ عينـي خيـامَ قبيلـةٍ	إلا بكيــتُ أحبَّتــي بفِنــائهــا

وكان بعض الصالحين رحمه الله يقول : (**يا قوم** ؛ غرقتِ السفينة ونحن نيام ، **هذا آدم** لم يُسامَح بلقمة ، **وداوود** لم يتساهل له في نظرة . . **فكيف بنا ونحن علىٰ ما نحن عليه** من سوء الفعال ، وقبح المقال ، وأشد الوبال والنكال ، والنظر إلىٰ غير الحلال ؟!) .

[بابُ الرِّزق طاعة الرازق]

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ﴾ [البقرة : ١٨٩] ، **فاعلَمْ** : أنَّ بابَ الرِّزقِ طاعةُ الرَّازقِ ؛ **فكيفَ يُطلَبُ منهُ بمعصيتِهِ** ، أم كيفَ يُستمطَرُ فضلُهُ بمُخالفتِهِ ؟! وقدْ قالَ عليهِ أفضلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ : « **لا يُنالُ ما عندَ اللهِ بسخطِهِ** »(١) أي : لا يُطلَبُ رِزقُهُ إلا برِضَاهُ ، وقدْ قالَ تعالىٰ مُبيناً لذلكَ : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾(٢) [الطلاق : ٢ـ٣] .

---

(١) أخرج ابن شيبة نحوه (٣٥٤٧٣) ، ولفظه : قال سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيها الناس ؛ إنه ليس من شيء يُقربكم من الجنة ويُبعدكم من النار . . **إلا قد أمرتكم به** ، وليس شيء يقربكم من النار ويبعدكم من الجنة . . **إلا قد نهيتكم عنه** ، وإن الروح الأمين نفث في رُوعي : أنه ليس من نفسٍ تموت حتىٰ تستوفي رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، ولا يحملكم استبطاء الرزق علىٰ أن تطلبوه بمعاصي الله ؛ **فإنه لا يُنال ما عنده إلا بطاعته** » ، وأخرجه بنحوه الطبراني في « الكبير » (٨/١٦٦) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠/٢٧) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه .

(٢) قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالىٰ في « تفسيره » (١٧/٤٣) : (وروي : أن قوماً من الأعراب زرعوا زرعاً فأصابتْهُ جائحةٌ ، فحزنوا لأجله ، فخرجت عليهم أعرابيةٌ فقالت : **ما لي أراكم قد نكَّستم رؤوسكم** ، وضاقت صدوركم ، **هو ربُّنا والعالم بنا** ، **رِزقُنا عليه** ، يأتينا به حيث شاء ، ثم أنشأت تقول : [من البسيط]

لو كان في صخرةٍ في البحر راسيةٍ ... صَمَّـا ململمـةٍ مُلْـسٍ نـواحيهـا
رزقٌ لنفسٍ بَـرَاهـا الله لانفلقَـتْ ... حتَّـىٰ تـؤدِّي إليهـا كـلَّ مـا فيهـا
أو كان بينَ طباقِ السَّبعِ مسلكُها ... لَسهَّـلَ اللهُ فـي المرقـىٰ مـراقيهـا
حتَّىٰ تنالَ الذي في اللوحِ خُطَّ لها ... إن لـم تنلْـهُ وإلا سـوف يـأتيهـا

قلت : وفي هذا المعنىٰ قصة الأشعريين حين أرسلوا رسولهم إلى النبي ←

ولهذا المعنىٰ قالَ الشَّيخُ أبو العبَّاسِ رضيَ اللهُ عنهُ في « حِزْبِهِ » لمَّا قالَ : (وأعطِنَا كَذَا وكَذَا) قالَ : (**والرِّزقُ الهنيُّ** : الَّذي لا حِجابَ بهِ **في الدُّنيا** ، ولا حسابَ ولا سؤالَ ولا عِتابَ عليهِ **في الآخرةِ** ؛ [**فأهلُهُ**][1] علىٰ بِساطِ علمِ التَّوحيدِ والشَّرعِ ، سالمينَ مِنَ الهوىٰ والشَّهوةِ والطَّمعِ)[2] .

[لا تكن مدبراً مع الله تعالىٰ]

واحذَرْ مِنَ التَّدبيرِ معَ اللهِ تعالى ، **فمثالُ المدبِّرِ معَ اللهِ** : كعبدٍ أرسلَهُ السَّيدُ إلىٰ بلدٍ ليصنعَ لَهُ ثِياباً ، فدخلَ العبدُ تلكَ البلدَ ، فقالَ : أينَ أسكنُ ؟ ومَنْ أتزوَّجُ ؟

فاشتغلَ بذلكَ ، وصرفَ هِمَّتَهُ لمَا هُنالِكَ ، وعطَّلَ ما أمرَهُ السَّيدُ بهِ

← صلى الله عليه وسلم ، فسمع قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود : ٦] فرجع ولم يكلمِ النبيَّ صلى الله عليه وسلم وقال : **ليس الأشعريون بأهونَ على الله من الدَّواب !!)** .

(١) ما بين معقوفين زيادة من (ط) .

(٢) انظر « التنوير في إسقاط التدبير » (ص ١٦٨) ، وفسَّر كلام الشيخ بقوله : (فسأل من الله الرزق الهني ، وهو المتكفِّل به لطالب العلم ، **ثم فسَّر الرزق الهني** : بأنه الذي لا حجاب معه في الدنيا ، ولا حساب له في الآخرة ؛ لأن ما وقعت فيه الحجبة . . **فلا هناء فيه** ، إذ الحجبة توجب تكسُّر السرِّ بالمنع عن المحاضرة ، والصد عن المفاتحة ، لا علىٰ ما يفهمه العموم من أن الرزق الهني : الذي حصل من غير وجود تعب ولا نصب ؛ **فالهناء عند أهل الغفلة** : فيما يرجع إلى الأبدان ، **وعند أهل الفهم** : فيما يرجع إلى القلوب ، **ووقوع الحجبة في الرزق** : إما بشهود الأسباب والغفلة عن الله تعالى ، وإما بأن تتناوله ليس قصدك التقوي علىٰ طاعة الله تعالى ؛ **فالأول** : حجبه في الحصول ، **والثاني** : حجبه في التناول) .

حتَّىٰ دعاهُ إليهِ ، فجزاؤُهُ مِنَ السَّيدِ إنْ جازاهُ القطيعةُ ووُجودُ الحجبةِ ؛ لاشتغالِهِ بأمرِ نفسِهِ عنْ حَقِّ سيِّدِهِ[١] .

كذلِكَ أنتَ أيُّها المؤمنُ : أخرجَكَ الحقُّ إلىٰ هذهِ الدَّارِ ، وأمَرَكَ فيها بخدمتِهِ ، وقامَ لكَ بوجودِ التَّدبيرِ مِنَّةً منْهُ لكَ ؛ فإنِ اشتغلتَ بتدبيرِ نفسِكَ عَنْ حقِّ سيِّدِكَ . . فقدْ عدلْتَ عَنْ سبيلِ الهُدىٰ، وسلكْتَ مسالكَ الرَّدى[٢] .

---

(١) قال المؤلف رحمه الله تعالىٰ في « التنوير بإسقاط التدبير » (ص٤٨ـ٤٩) : (قال تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [القصص : ٦٨] تتضمن فوائد ؛ الفائدة الأولىٰ : قوله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ يتضمن ذلك الإلزام للعبد بترك التدبير مع الله ؛ لأنه إذا كان يخلق ما يشاء . . فهو يُدبِّر ما يشاء ؛ فمن لا خلْقَ له . . لا تدبير له : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ١٧] .

الفائدة الثانية : ويتضمن قوله : ﴿ وَيَخْتَارُ ﴾ انفراده بالاختيار ، وأن أفعاله ليست على الإلجاء والاضطرار ، بل هو علىٰ نعت الإرادة والاختيار ، وفي ذلك إلزام للعبد بإسقاط التدبير والاختيار مع الله تعالى ؛ إذ ما هو له . . لا ينبغي أن يكون لك ، وقوله : ﴿ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ يحتمل الوجهين : أحدهما : لا ينبغي أن تكون الخيرة لهم ، وثانيهما : أن يكونوا أولىٰ بها منه سبحانه وتعالى ، ﴿ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ أي : ما أعطيناهم ذلك ، ولا جعلناهم أولىٰ بما هنالك ، وقوله : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ أي : تنزيهاً لله أن يكون لهم الخيرة معه ، وبيَّنتِ الآية : أن مَنِ ادعى الاختيار مع الله . . فهو مشركٌ مدعي الربوبية بلسان حاله وإن تبرَّأ من ذلك بمقاله) .

(٢) قال العلامة البوزيدي رحمه الله تعالى في « الآداب المرضية » (ص٧٣) : (اعلم : أن الفقير الصادق إذا نظر إلى الدنيا بعين قلبه . . سُلب في الحين من سرِّ قُربه ، وناداه الهم والغم لحربه ، وغطَّت أنوار قلبه ظلمات دائرة حسِّه ، وعاد إلى عوائد أبناء جنسه ، فتقوده الغفلة من النواصي إلى حضرة المعاصي ، وهذا جزاء القلب القاسي ، وإذا تبعها بفكره . . تشتت نور عقله ، فيحمل أحمال التدبير والاختبار ، فيرمى في بحر الأغيار والأكدار ، ويمنع الراحة والقناعة ، ويتمسك بأذيال الشحاحة . . .) .

ومثالُ المدبِّرِ معَ اللهِ والَّذي لا يُدبِّرُ : كعبدينِ للمَلِكِ : أمَّا أحدُهما . . فمشتغلٌ بأوامرِ سيِّدِه لا يلتفتُ إلىٰ مَلبسٍ ولا مأكلٍ ، بل إنَّما هِمَّتُهُ خدمةُ السَّيدِ ، فأشغلَهُ ذلكَ عنِ التَّعرُّضِ لحظوظِ نفسِه[1] .

و[أمَّا] العبدُ الآخَرُ : فكيفَما طلبَهُ سيِّدُهُ . . وجدَهُ يغسِلُ ثيابَهُ ، وفي سياسةِ مَركوبِهِ ، وتحسينِ زيِّهِ ؛ فالعبدُ الأوَّلُ أولىٰ بإقبالِ سيِّدِهِ مِنَ العبدِ الثَّاني ، والعبدُ إنَّما اشتُري للسيِّدِ لا لنفسِهِ[2] .

[العبد الموفَّق مشتغلٌ بحقوق الله]

كذلكَ العبدُ البصيرُ الموفَّقُ : لا تراهُ إلا مَشغولاً بحقوقِ اللهِ ، وامتثالِ أوامرِهِ عنْ محابِّ نفسِهِ ومهمَّاتِها[3] .

فلمَّا كانَ كذلكَ . . قامَ لهُ الحقُّ سُبحانَهُ بكلِّ أمرِهِ ، وتوجَّهَ لهُ بجزيلِ

---

(١) في (ج ، ط) : (عن التفرغ لحظوظ نفسه) .

(٢) قيل لأبي حازم الزاهد : ما مالك ؟ قال : (لي مالان لا أخشىٰ معهما الفقر : الثقة بالله ، واليأس مما في أيدي الناس) ، وقيل له : أما تخاف الفقر ؟ فقال : (أنا أخاف الفقر ومولاي له ما في السماوات وما في الأرض ، وما بينهما وما تحت الثرىٰ ؟!) انظر « جامع العلوم والحكم » (٢/ ١٨٠) .

(٣) قال أبو الحسين الوراق : (حياة القلب : في ذكر الحي الذي لا يموت ، والعيش الهني : الحياة مع الله تعالىٰ لا غير) ولهذا كان الفوت عند العارفين بالله أشد عليهم من الموت ؛ لأن الفوت انقطاع عن الحق ، والموت انقطاع عن الخلق ، فكم بين الانقطاعين ؟!
وقال آخر : (من قرَّت عينه بالله تعالىٰ . . قرَّت به كل عين ، ومن لم تقر عينه بالله . . تقطَّع قلبه علىٰ الدنيا حسرات) .
وقال يحيى بن معاذ : (من سُرَّ بخدمة الله . . سُرَّت الأشياء كلها بخدمته ، ومن قرَّت عينه بالله . . قرَّت عيون كل أحدٍ بالنظر إليه) انتهىٰ من « طب القلوب » (ص ٥١) .

عطائِهِ ؛ **لصدقِهِ في توكُّلِهِ** [لقولِهِ تعالىٰ][1] : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾[2] [الطلاق : ٣] .

والغافلُ ليسَ كذلكَ ، لا تجدُهُ إلاَّ في تحصيلِ دُنياهُ ، وفي الأشياءِ الَّتي تُوصلُهُ إلىٰ هواهُ .

❋ ❋ ❋

---

(١) ما بين معقوفين زيادة من (ط) .

(٢) ليس من شرط التوكل ترك كل تدبيرٍ وعملٍ وسببٍ ؛ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم للأعرابي الذي أهمل ناقته وقال : توكلت على الله : « **اعقلها وتوكَّل** » ، وقال الله تعالى : ﴿ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾ [النساء : ١٠٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ﴾ [النساء : ١٠٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾ [الأنفال : ٦٠] ، وقال تعالىٰ لموسىٰ علىٰ نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام : ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا ﴾ [الدخان : ٢٣] ، **والتحصُّن بالليل** اختفاء عن أعين الأعداء ونوع تسبُّب ، **واختفىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار** ، وذلك نوعٌ من التسبُّب الذي يحصل به الاختفاء عن أعين الأعداء ، واستأجر النبي صلى الله عليه وسلم الخفير ، **وظاهر بين درعين** ، وحمل الزاد في السفر ، **واتخذ خندقاً حول المدينة** يحترس به من العدو ، **وكان إذا أراد غزوةً . . ورَّىٰ بغيرها** ، فكان يسأل عن بعض الطرق التي لا يريد سلوكها ، وهو يريد سلوك طريق غيرها ، وكان يقول : « **الحرب خدعة** » ، ويقول : « **التدبير نصف المعيشة** » مدحاً للتدبير المحمود بقرينة قوله : « **والتودد إلى الناس نصف العقل** » انظر « تقريب الأصول » (ص٢٢ـ٢٣) .

[مثال العبد مع الله]

ومثالُ العبدِ معَ اللهِ في هذهِ الدَّارِ : كالطِّفلِ معَ أمِّه ، ولم تكُنِ الأمُّ لتدعَ تدبيرَ ولدِهَا مِنْ كفالتِهَا ، ولا تُخرجَهُ مِنْ رعايَتِها ، كذلكَ المؤمنُ معَ اللهِ ، قائمٌ لهُ بحُسنِ الكفالةِ ، فهوَ سائقٌ إليهِ المننَ ، ودافعٌ عنه المحَنَ .

ومثالُ العبدِ في الدُّنيا : كمثلِ عبدٍ قالَ لهُ السَّيدُ : اذهَبْ إلىٰ أرضِ كذا وكذا ، وأَحْكِمْ أمرَكَ ؛ لأنْ تُسافرَ منها في بريَّةِ كذا وكذا ، وخُذْ أُهبتَكَ وعدَّتَكَ .

فإذَا أذِنَ لَهُ السَّيدُ في ذلكَ.. فمعلومٌ : أنَّه قد أباحَ لهُ أنْ يأكلَ ما يَستعينُ بهِ علىٰ إقامةِ بِنْيَتِهِ ؛ ليَسْعَىٰ في طلبِ العدَّة ، وليقومَ بوُجودِ الأُهبة[1] .

كذلكَ العبدُ معَ اللهِ : أوجدَهُ في هذهِ الدَّارِ ، وأمرَهُ أنْ يتزوَّدَ منهَا لمعادِهِ ؛ فقالَ تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [البقرة : ١٩٧] ، فمعلومٌ : أنَّه إذا أمرَهُ بالزَّادِ للآخرةِ.. فقَدْ أباحَ لهُ أنْ يأخذَ مِنَ الدُّنيا ما يَستعينُ بهِ علىٰ تزوُّدِهِ إلى الآخرةِ ، واستعدادِهِ وتأهُّبهِ لمعادِهِ .

---

(١) قال المؤلف رحمه الله تعالىٰ في « لطائف المنن » (ص ١٦١ـ ١٦٢) : (وأما لبس اللباس اللين ، وأكل الطعام الشهي وشرب الماء البارد.. فليس القصد إليه بالذي يوجب العتب من الله إذا كان معه الشكر لله ، وقد قال الشيخ أبو الحسن : « يا بني ؛ برِّد الماء ، فإنك إذا شربت الماء السخن ، فقلت : الحمد لله.. تقولها بكزازة ، وإذا شربت الماء البارد ، فقلت : الحمد لله.. استجاب كلُّ عضوٍ منك بالحمد لله ») .

[كيف يكون العبد مع الله ؟]

ومثالُ العبدِ معَ اللهِ : كمثلِ أجيرٍ أتىٰ بهِ ملِكٌ إلىٰ دارِهِ ، وأمرَهُ أنْ يَعملَ لهُ عملاً ، فما كانَ الملكُ ليأتيَ بالأجيرِ ويَستخدِمَهُ في دارِهِ ويتركَهُ مِنْ غيرِ تغذيةٍ[١] ؛ إذْ هوَ أكرمُ مِن ذلكَ . . **فكذلكَ العبدُ معَ اللهِ** ؛ **فالدُّنيا** دارُ اللهِ ، **والأجيرُ** هوَ أنتَ ، **والعملُ** هوَ الطَّاعةُ ، **والأجرةُ** هيَ الجنَّةُ ، ولم يكنِ اللهُ ليأمرَكَ بالعملِ ، ولا يسوقُ لكَ ما بهِ تستعينُ عليهِ ! !

ومثالُ العبدِ معَ اللهِ تعالىٰ : كمثلِ عبدٍ أمرَهُ الملكُ أنْ يقيمَ في أرضِ كذا ، يحاربُ فيها العدوَّ ويُجاهدُهُ فيها ، **فمعلومٌ** : أنَّه إذا أمرهُ بذلكَ . . أن يُبيحَ لهُ أنْ يأكلَ مِنْ مخازنِ تلكَ الأرضِ بالأمانة ؛ ليستعينَ بهِ علىٰ مُحاربةِ العدوِّ[٢] .

وكذلكَ العبادُ : أمرهُمُ الحقُّ سُبحانَهُ بمحاربةِ الشَّيطانِ ، ومجاهدةِ النفوسِ بقولِهِ تعالى : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ ﴾ [الحج : ٧٨] .

---

(١) قال العلامة أبو العباس المرسي رحمه الله تعالى : (**ليس العجب** ممن تاه في نصف ميل أربعين سنة ؛ **إنما العجب** ممن تاه في مقدار شبرِ الستين والسبعين سنة ؛ وهي البطن) انظر « لطائف المنن » (ص ١٦٤) ، وهو يشير إلىٰ تيه بني إسرائيل ، ويقارنه بمن أمضىٰ عمره في إرضاء شهوات بطنه .

(٢) كان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول : (**مفتاح الدنيا** : الشبع ، **ومفتاح الآخرة** : الجوع) ، وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول : (**الشبع** نار ، **والشهوة** مثل الحطب ، يتولد منه الإحراق ، **ولا تنطفىء ناره** حتى تحرق صاحبها) ، وكان سهل بن عبد الله يقول : (من أراد أن يأكل في كل يوم مرتين . . **فليبنِ له معلفاً**) انظر كتاب « الأنوار القدسية » للإمام الشعراني رحمه الله تعالى (١/ ٥٧) .

وقالَ تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ ﴾ [فاطر : ٦] ، **فلمَّا أمرَ** العبدَ بمحاربتِهِ . . **أذِنَ لهُ أنْ يتناولَ مِنْ مَنبتِهِ** ما يَستعينُ بهِ علىٰ محاربةِ الشَّيطانِ ؛ إذْ لو تركتَ المأكلَ والمشربَ . . **لم يمكنْكَ أنْ تقومَ بطاعتِهِ** ، ولا أنْ تَنهضَ لخِدمتِهِ(١) .

ومثالُ العبدِ معَ اللهِ : كمثلِ ملكٍ لهُ عَبيدٌ بنىٰ داراً وبهَّجها وحسَّنَها ، وتولَّىٰ غِراسَها ، وكملَ المشتهياتِ فيها ، في غيرِ المواطنِ الَّذي هم العبيدُ فيهِ ، **وهوَ يريدُ أنْ ينقلَهُمْ إليها** .

أترَىٰ إذا كانَتْ هذهِ عِنايتُهُ بهِمْ فيما ادَّخر لهُمْ عندَهُ وهيَّأهُ لهُمْ بعدَ الرِّحلةِ . . **أيمنعُهُمْ هـٰهنا** أنْ يَتناولوا مِن منَّتِه وفضلاتِ طعامِهِ ؛ وهوَ قدْ هيَّأ لهمُ الأمرَ العظيمَ ، والفضلَ الجسيمَ ؟!

كذلكَ العبادُ معَ اللهِ تعالىٰ جعلَهمْ في الدُّنيا ، وهيَّأ لهمُ الجنَّةَ ، فلا يريدُ أن يَمنعَهُم مِنَ الدُّنيا ، **ولكنْ ما يُقيمُ بهِ وُجودَهُم** ، فقالَ تعالى : ﴿ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ ﴾ [المؤمنون : ٥١] ، وقالَ تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ [البقرة : ١٧٢] .

---

(١) قال العلامة الدميري رحمه الله تعالىٰ في « حياة الحيوان » (١/ ٦٨٧) : (وقال عليه الصلاة والسلام : « **إن الله تعالىٰ يبغض الشاب الفارغ** » لأن الشاب إذا لم يشغل ظاهره بمباح يستعين به علىٰ دينه . . **عشش الشيطان في قلبه** وباض وفرَّخ ، ثم تزوج أفراخه أيضاً ويبيض ويفرخ مرةً أخرى ، وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالداً أسرع من توالد سائر الحيوانات ؛ **لأن طبعه من النار** ، والنار إذا وجدت الحلفاء اليابسة . . **كثر توالدها** ، فلا تزال تتوالد النار من النار ، ولا تنقطع ألبتة ؛ **فالشهوة في نفس الشاب للشيطان** كالحلفاء اليابسة للنار ؛ ولذلك قال الحسين الحلاج : « هي نفسك إن لم تشغلها بالحق . . **شغلتك بالباطل** ») .

وإذا ادَّخرَ لكَ الباقي ومَنَّ عليكَ بهِ . . **لا يَمنعُكَ الفاني** ؛ فإنَّما يَمنعُكَ ما لم يقسمْهُ لكَ ، وما لم يقسمْهُ لكَ . . **فليسَ لكَ** !!

[المهموم بأمر الدُّنيا غافل أحمق][1]

ومثالُ المهمومِ بأمرِ دُنياه ، الغافلِ عَنِ التَّزودِ لأُخراهُ . . **كمثلِ إنسانٍ** جاءَهُ سَبُعٌ وهوَ يُريدُ أنْ يَفترسَهُ ، ووقَعَ عليهِ ذُبابٌ ، **فاشتغلَ بذبِّ الذُّبابِ ودَفْعِهِ** عَنِ التَّحرُّزِ مِنَ السَّبُعِ ؛ **فهذا عبدٌ أحمقُ** ، فاقدٌ وجودَ العقلِ ، ولو كانَ متَّصفاً بالعقلِ . . **لشغلَهُ أمرُ الأسدِ وصَولتُهُ وهجومُهُ عليهِ** عَنِ الفكرةِ في الذُّبابِ[2] .

---

(١) أوصىٰ أحدهم أن يكتب علىٰ قبره : (من البسيط)

يا غافلَ القلبِ عن ذكرِ المنيَّاتِ ... عمَّا قليلٍ ستثوي بينَ أمواتِ
فاذكُر محلَّك من قبلِ الحُلولِ به ... وتُبْ إلى اللهِ من لهوٍ ولذَّاتِ
إنَّ الحِمامَ له وقتٌ إلىٰ أجلٍ ... فاذكُر مصائبَ أيامٍ وساعاتِ
لا تطمئنَّ إلى الدنيا وزينتها ... قد حانَ للموتِ يا ذا اللُّبِّ أن ياتي

هل استعددت للموت أم المنية عاجلتك ؟!

(٢) قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالىٰ في « تلبيس إبليس » (ص٥٠ـ ٥١) : (**واعلم** : أن القلب كالحصن ، وعلىٰ ذلك الحصن سُور ، وللسور أبواب ، وفيه ثُلَم ، وساكنه العقل ، والملائكة تتردَّد إلىٰ ذلك الحصن ، وإلىٰ جانبه ربض فيه الهوى ، والشياطين تختلف إلىٰ ذلك الربض من غير مانع ، **والحرب قائم** بين أهل الحصن وأهل الربض ، والشياطين لا تزال تدور حول الحصن تطلب غفلة الحارس والعبور من بعض الثلم .

فينبغي للحارس أن يعرف جميع أبواب الحصن الذي قد وُكِّل بحفظه وجميع الثلم ، وألَّا يفترَ عن الحراسة لحظةً ؛ **فإن العدو ما يفتر** .

قال رجلٌ للحسن البصري : أينام إبليس ؟ قال : **لو نام** . . **لوجدنا راحة** ، وهذا الحصن مستنيرٌ بالذِّكر ، مشرق بالإيمان ، وفيه مرآة صقيلة يتراءىٰ فيها صور كل ما يمرُّ به .

←

كذلكَ المهتمُّ بأمرِ دُنياهُ عَنِ التَّزودِ للآخرةِ ، دلَّ ذلكَ منهُ علىٰ وجودِ حمقِهِ[1] ؛ إذْ لو كانَ فَهِماً عاقلاً .. لتأهَّبَ للدَّارِ الآخرةِ ؛ الَّتي هوَ مسؤولٌ عنها ، وموقوفٌ فيها ، فلا يَشتغِلُ بأمرِ الرِّزْقِ ؛ فإنَّ الاهتمامَ بهِ بالنِّسبةِ للآخرةِ نسبةُ الذُّبابِ إلىٰ مُفاجأةِ الأسدِ وهُجومِهِ .

ومثالُ المدخرِ بالأمانةِ : كعبدِ الملكِ ، لا يرىٰ لَهُ معَ سيِّدِهِ شيئاً ، ولا يعتمدُ على ادِّخارِ ما في يدِهِ ، ولا بذلِهِ منهُ إلا ما اختارَ السَّيِّدُ له ، فإذا فَهِمَ هذا العبدُ أنَّ الإمساكَ مرادُ السَّيِّدِ .. أمسكَ لسيدِهِ لا لنفسِهِ ؛ حتَّىٰ يتخيَّرَ موضعَ صرفِهِ ، فيكونَ لهُ صارفاً حتَّىٰ يفهَمَ عنْ سيِّدِهِ إرادةَ صرفِهِ ، فهذا بإمساكِهِ غيرُ ملوم ؛ لأنَّه أمسكَ لسيدِهِ لا لنفسِهِ[2] .

فأول ما يفعل الشيطان في الربض : إكثارُ الدخان ، فتسودُّ حيطان الحصن ، وتصدأ المرآة ، وكمال الفكر يردُّ الدخان ، وصقل الذكر يجلو المرآة ، وللعدو حملات : فتارةً يحمل فيدخل الحصن ، فيكر عليه الحارس فيخرج ، وربما دخل فعاث ، وربما أقام لغفلة الحارس ، وربما ركدت الريح الطاردة للدخان ، فتسودُّ حيطان الحصن وتصدأ المرآة ، فيمرُّ الشيطان ولا يدري به ، وربما جُرِحَ الحارس لغفلته وأُسر واستُخدم ، وأُقيم يستنبط الحيل في موافقة الهوىٰ ومساعدته) فلينظر كل واحدٍ بعين البصيرة إلىٰ أبواب حصنه وحارسه قبل فوات الآوان .

(١) ذكر العلامة المنبجي رحمه الله تعالىٰ في « تسلية أهل المصائب » (ص٢٢) عن وهب بن منبه رحمه الله تعالىٰ قال : (كان عيسى ابن مريم عليه السلام يقول : بحقٍّ أقول لكم : « إن أشدكم حباً للدنيا .. أشدكم جزعاً على المصيبة ») .

(٢) قال العلامة الشعراني رحمه الله تعالى في « الأنوار القدسية » (١/ ١٣١ـ ١٣٢) : (ومن شأنه ـ أي : المريد ـ أن يلازم الزهد في الدنيا ؛ فإنه أساسه الذي يبني عليه جميع أحكام الطريق ؛ إذ الراغب في الدنيا لا تفتح له أعمال الآخرة ، وكان سيدي أحمد بن الرفاعي رحمه الله تعالى يقول : أول أساس يضعه المريد الصادق في الطريق : الزهد في الدنيا ؛ فمن لم يزهد في الدنيا .. لا يصح له بناء شيء بعده) .

[حال أهل المعرفة]

كذلكَ أهلُ المعرفةِ باللهِ : إنْ بذلُوا . . ففيهِ ، وإنْ أمسكُوا . . فلهُ ، يَبتَغونَ ما فيهِ رضاهُ ، ولا يُريدونَ ببذلِهم وإمساكِهمْ إلا إيَّاه ؛ فهُمْ خُزَّان أُمَناء ، وعبيدٌ كُبراء ، وأبرارٌ كُرماء ؛ قد حرَّرَهُمُ الحقُّ مِنْ رِقِّ الآثار ، فلم يَميلوا إليها بحُبٍّ ، ولم يُقْبلوا عليها بوُدٍّ ، منعَهُم مِنْ ذلكَ ما أسكنَهُ في قلوبِهِمْ مِنْ حُبِّ اللهِ ووُدِّهِ ، وما امتلأتْ بهِ صدورُهُمْ مِن عظمتِهِ ومجدِهِ ، فصارَتِ الأشياءُ في أيديهِمْ كهِيَ في خزائنِ اللهِ مِنْ قبلِ أنْ تصِلَ إليهِمْ ؛ عِلماً منهم : بأنَّ اللهَ تعالىٰ يَملكُهُمْ ويَملكُ ما ملَّكَهُمْ[1] .

* * *

(١) قال المؤلف رحمه الله تعالىٰ في « لطائف المنن » (ص ٣٨) : (لقد سمعت شيخنا أبا العباس المرسي رضي الله عنه يقول : رجال الليل هم الرجال ، وإن أولياء هذا الوقت ليؤيدون بشيئين : بالغنىٰ واليقين ؛ فالغنىٰ : لكثرة ما عند الناس من الإفلاس ، واليقين : لكثرة ما عند الناس من الشكوك) .

[التدبير وأقسامه]

بيانٌ للمُعتبرين ، وهِدايةٌ للمُستبصرينَ ؛ وهوَ أنَّ مَنْ خرجَ عنْ تدبيرِهِ لنفسِهِ . . كانَ اللهُ هوَ المتولِّيَ بحُسنِ التَّدبيرِ لهُ[1] .

والتَّدبيرُ علىٰ قسمينِ : تدبيرِ محمودٍ ، وتدبيرِ مذمومٍ .

فالتدبيرُ المذمومُ : هوَ كلُّ تدبيرٍ ينعطفُ علىٰ نفسِك ؛ لوجودِ حظِّها ، ليسَ للهِ فيهِ شيءٌ : كالتَّدبيرِ في تحصيلِ معصيةٍ ، أو في حظٍّ لوجودِ غفلةٍ ، أو طاعةٍ لوجودِ رياءٍ وسُمعةٍ ونحوِ ذلكَ ، فهذا كلُّهُ مذمومٌ ؛ لأنَّه إمَّا موجبٌ عقاباً ، وإمَّا موجبٌ حجاباً[2] .

---

(١) قال العلامة الإمام شيخ الإسلام زيني دحلان رحمه الله تعالىٰ في « تقريب الأصول » (ص٢١) : (فإذا كان الله مدبِّراً لأمورك ، مُتْقناً مُحْكماً لها ؛ وأنت عبده وهو سيدك . . وجب عليك أن تسلِّم له نفسك ولا تُدبِّر لها معه ، وهذا حال العبيد مع ساداتهم ؛ فإنهم لا يُدبِّرون مع ساداتهم ، بل ساداتهم يدبِّرون لهم ، ويتصرَّفون فيهم ، فالله العالم وأنت الجاهل ، وهو القادر وأنت العاجز ، فتدبيرك معه سوء أدب ، وعدم اكتفاء منك بتدبيره ، والعبد إن أساء الأدب مع سيده . . سقطت منزلته عنده ، وأيضاً الغالب علىٰ تدبيرك النظر إلىٰ حظ نفسك ، وتدبير الله سالم من الحظوظ ، فلا نفع لك إلا فيما وقع بتدبيره ، فسلِّم له ، وفوِّض إليه ، وانقَدْ لأحكامه . . أحسن لك من أن تساق كرهاً ؛ فإنك إنِ انقدتَ طوعاً . . نفذ حكمه وأنت مأجور في راحة ورضاً ، ولك منه الرضا ، وإلا . . فإنك تساق كرهاً ، وينفذ حكمه فيك ، وأنت مأزور في تعبٍ وسخطٍ ولك منه السخط إلا أن يتداركك بعفوه) نسأله العفو والعافية .

(٢) التدبير المذموم المنهي عنه : إنما هو قيام العبد لنفسه واعتماده علىٰ حوله وقوته ، وأما تدبيره لأموره التي يتوصَّل بها إلىٰ قُرب ربه مع التفويض إلى الله تعالى ، والاعتماد علىٰ حوله وقوته ، والتبري من حول العبد وقوته . . فمحمودٌ ؛ كالقيام بمصالح نفسه وعياله ونفقته عليهم ، مع حسن نيته في قصد التقرب إلى الله تعالى ، لا لجلب الحظوظ لنفسه ، والتلذُّذ بشهوات الدنيا .

ومَنْ عرَفَ نعمةَ العقلِ . . **استحيَا مِنَ اللهِ سبحانَهُ** أنْ يصرِفَ عقلَهُ إلىٰ تدبيرِ ما لا يُوصلُهُ إلىٰ قُرْبِهِ ، ولا يكونُ سبباً لوجودِ حبِّهِ[1] .

والعقلُ أفضلُ ما مَنَّ اللهُ بهِ علىٰ عبادِهِ ؛ لأنَّه سبحانَهُ خلَقَ الموجوداتِ ، وتفضَّلَ عليهَا بالإيجادِ ، وبدوامِ الإمدادِ ، فاشتركَتِ الموجوداتِ في إيجادِهِ وإمدادِهِ ، فلمَّا اشتركَتْ . . **أرادَ الحقُّ سبحانَهُ** أنْ يميزَ الآدميَّ عنهُمْ ؛ **فأعطاهُ العقلَ** ، وأيَّدهُ بهِ ، **وفضَّلَه بذلكَ على الحيوانِ** ، وأكمَلَ بهِ نعمتَهُ على الإنسانِ .

وبالعقلِ ووُفورِهِ ، وإشراقِهِ ونُورِهِ **تتمُّ مصالحُ الدُّنيا والآخرةِ** ؛ فصرفُ نعمةِ العقلِ إلىٰ تدبيرِ الدُّنيا ـ الَّتي لا قدرَ لها عندَ اللهِ تعالىٰ ـ **كفرٌ لنعمةِ العقلِ** .

وتوجُّهه إلى الاهتمامِ بإصلاحِ شأنِهِ في مَعادِهِ ، قائماً بشُكرِ المحسنِ إليهِ ، والمفيضُ من نورِهِ عليهِ . . **أحقُّ بهِ وأحرىٰ** ، وأفضلُ لهُ وأولى ، **فلا تَصرِفْ عقلَكَ** الَّذي منَّ اللهُ بهِ عليكَ في تدبيرِ الدُّنيا ، الَّتي هيَ كما أخبرَ عنها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم بقولِهِ : « **الدُّنيا جيفةٌ قذرةٌ** »[2] .

---

(١) ذكر المؤلف رحمه الله تعالىٰ في « التنوير في إسقاط التدبير » (ص ٥٥ـ ٦٣) الأمور التي تحمل علىٰ إسقاط التدبير ؛ وهي باختصار : **الأول** : علمك بسابق تدبير الله فيك ، **الثاني** : أن تعلم أن التدبير منك لنفسك جهلٌ منك بحسن النظر لها ، **الثالث** : علمك بأن القدر لا يجري علىٰ حسب تدبيرك ، **الرابع** : علمك بأن الله تعالىٰ هو المتولي لتدبير مملكته ، **الخامس** : علمك بأنك مِلْكٌ لله تعالىٰ ، **السادس** : علمك بأنك في ضيافة الله ، **السابع** : نظر العبد إلىٰ قيومية الله تعالىٰ في كل شيء ، **الثامن** : اشتغال العبد بوظائف العبودية ، **التاسع** : هو أنك عبد مربوب ، **العاشر** : عدم علمك بعواقب الأمور .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٨/ ٢٣٨) عن سيدنا علي رضي الله عنه من قوله ، **وتمامه** : (الدنيا جيفة ، فمن أرادها . . **فليصبر علىٰ مخالطة الكلاب**) .

وكمَا قالَ للضَّحَّاكِ : « ما طعامُكَ ؟ » قالَ : اللَّحمُ واللَّبنُ ، قالَ : « ثمَّ يَعودانِ إلىٰ ماذا ؟ » قالَ : إلىٰ ما قَدْ علمْتَ يا رسولَ اللهِ !! قالَ : « فإنَّ اللهَ قدْ جعلَ ما يخرجُ مِن ابنِ آدمَ مثلاً للدُّنيا »[1] .

والتَّدبيرُ المحمودُ : هوَ ما كانَ إلىٰ مَا كانَ تدبيراً إلىٰ ما يُقرِّبُكَ إلى اللهِ سُبحانَهُ وتعالىٰ[2] ؛ كالتَّدبيرِ في براءةِ الذِّمَمِ مِنْ حُقوقِ المخلوقينَ : إمَّا وفاءً ، وإمَّا استحلالاً ، وتصحيحِ التَّوبةِ إلىٰ ربِّ العالمينَ ، والفِكرةِ فيما يؤدِّي إلىٰ قمعِ الهوى المُردِي ، والشَّيطانِ المغوي .

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٥٢) ، والطبراني في « الكبير » (٨/ ٢٩٩) ، والبيهقي في « الشعب » (٥٢٦٦) عن سيدنا الضحاك بن سفيان الكلابي رضي الله عنه . وذكر الإمام ابن عبد الحكم في كتابه « سيرة عمر بن عبد العزيز » رحمهما الله تعالىٰ (ص٥٥) : (أن عمر كان يصلي العتمة ، ثم يدخل علىٰ بناته فيسلِّم عليهن ، فدخل عليهنَّ ذات ليلة ، فلما أحسنه . . وضعن أيديهن علىٰ أفواههن ، ثم تبادرن الباب ، فقال للحاضنة : ما شأنهنَّ ؟ قالت : إنه لم يكن عندهنَّ شيءٌ يتعشينه إلا عدسٌ وبصل ، فكرهن أن تشمَّ ذلك من أفواههن ، فبكىٰ عمر ثم قال لهنَّ : يا بناتي ؛ ما ينفعكن أن تَعشَّينَ الألوان ويُمَرَّ بأبيكُنَّ إلى النار ؟ قال : فبكين حتىٰ علت أصواتهن ، ثم انصرف) رضي الله عن سيدنا عمر بن عبد العزيز ، حقاً لقد أتعب من خلفه .

(٢) قال العلماء : التدبير معناه : النظر في عواقب الأمور ، وعواقب الإنفاق الذي يحترز به عن الإسراف والتقتير ؛ فإن كمال العيش شأن مدة العمر وحسن العيش فيه ؛ فالتدبير المذموم : ما كان لجلب حظوظ النفس ، وما كان الاعتماد فيه علىٰ حول العبد وقوته ، والمحمود : ما كان لجلب نفعٍ يقرب العبد من ربه ، مع اعتماده علىٰ حول الله وقوته ، لا علىٰ حول العبد وقوته ، فمتىٰ كان التدبير لجلب ما فيه حظٌّ للنفس أو فيه الاعتماد علىٰ حول العبد وقوته . . فهو مذموم ، وأما مختارات الشرع من الأوامر والنواهي وما يتوصَّل به إلى امتثال أمر الله تعالىٰ . . فالتدبير فيها محمودٌ لا مذمومٌ ؛ بشرط التبري من حول العبد وقوته ، والرجوع إلىٰ حول الله وقوته . انتهىٰ من « تقريب الأصول » (ص٢٣) .

فهذا كلُّه محمودٌ لا شكَّ فيهِ ؛ ولذلكَ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم : « فِكرةُ ساعةٍ خيرٌ مِنْ عِبادةِ سَبعينَ سنةً »[1] .

[أقسام التدبير للدنيا][2]

والتَّدبيرُ للدُّنيا علىٰ قِسمينِ : تدبيرُ الدُّنيا للدُّنيا ، وتدبيرُ الدُّنيا للآخرةِ .

فتدبيرُ الدُّنيا للدُّنيا : هوَ أنْ يُدبِّرَ في أسبابٍ جمعَهَا افتخاراً بها واستكثاراً ، وكلَّما زِيدَ فيها شيءٌ . . ازدادَ غفلةً واغتراراً ، فأَمَارةُ ذلكَ : أنْ تشغلَهُ عنِ الموافقةِ ، وتؤدِّيَهُ إلى المخالفةِ .

وتدبيرُ الدُّنيا للآخرةِ : كمَنْ يُدبِّرُ المتاجرَ ليأكُلَ منها حلالاً ، ولينعمَ

---

(١) أورده السيوطي في « الدر المنثور » (٢/ ٤١٠) ، والمتقي الهندي في « كنز العمال » (٥٧١٠) وعزياه لأبي الشيخ في « العظمة » عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) الله سبحانه هو الذي يدبر الأمر في السماء والأرض ، وهو بالغ أمره وغالب على أمره ، ذلكم الله سبحانه ؛ عوَّدك عافيته طويلاً ، وأدهشك لطفه كثيراً ؛ كيف تسيء الظن به ؟! قال الشاعر :

لا تُـدبِّـر لـك أمـراً ... فـأولـوا التـدبيـرِ هلكـى
سلِّـمِ الأمـرَ إلينـا ... نحـنُ أولـى بـك منكـا

وقال غيره أيضاً :

لا تُـدبـر لـك أمـراً ... إنمـا التـدبيـرُ شـاغـلْ
سلِّـمِ الأمـرَ إلـى اللـ ... ـهِ ودَعْ وصْمـةَ غـافـلْ
وارفَـعِ الأمـرَ إليـ ... ـهِ والـذي قُـدِّرَ حـاصـلْ
ولـدى الأمـريـنِ حقـاً ... ليـسَ إلا اللهُ فـاعـلْ
وخـذِ الهـادي إمـامـاً ... فهـو بـرهـانُ الـدلائـلْ

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

بها علىٰ ذوي الفاقةِ إفضالاً ، وليصونَ بها نفسَهُ عنِ النَّاسِ إجمالاً ؛ **فأمارةُ ذلكَ** : عدمُ الاستكثارِ والادخارِ ، والإسعافُ والإيثارُ .

فقَدْ تبيَّنَ مِنْ هذا : أنَّهُ ليسَ كلُّ طالبِ للدُّنيا مذموماً ، **بلِ المذمومُ** : مَنْ طلبَها لنفسِهِ لا لربِّه ، ولدُنياهِ لا لآخرتِهِ ، **فالنَّاس إذَنْ علىٰ قِسمينِ** : عبدٌ طلَبَ الدُّنيا للدُّنيا ، وعبدٌ طلبَ الدُّنيا للآخرةِ[1] .

وسمعْتُ شيخَنَا أبا العبَّاسِ المرسيَّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (**العارفُ** : لا دُنيا لَهُ ولا آخرةَ ؛ **لأنَّ دُنياهُ** لآخرتِهِ ، **وآخرتَهُ** لربِّهِ)[2] .

* * *

---

(١) ذكر المؤلف المباحث السابقة في « التنوير في إسقاط التدبير » (ص٩٥ـ ٩٨) ، **وللزاهد في الدنيا علامتان** ؛ علامة في وجدها ، وعلامة في فقدها ؛ **فالعلامة التي في وجدها** : الإيثار ، **والعلامة التي في فقدها** : وجود الراحة منها ، **فالإيثار** : شكر لنعمة الوجدان ، **ووجود الراحة منها** شكر لنعمة الفقدان ، وذلك ثمرة الفهم عن الله تعالىٰ والعرفان ؛ لأن الحق سبحانه وتعالىٰ كما قد ينعم عليك بوجودها . . **قد ينعم عليك بصرفها** ، بل نعمته في صرفها أتم ؛ **فقد تبيَّن من هذا** : أنه ليس كل طالب للدنيا مذموماً ، **بل المذموم** : من طلبها لنفسه ونيل حظوظها ، لا من طلبها لربه ، **والمذموم** : من طلبها لدنياه ، **لا من طلبها لآخرته** . انظر « تقريب الأصول » (ص٢٤ـ ٢٥) .

(٢) انظر « لطائف المنن » (ص ١٥٧) ، ونقل عنه أيضاً (ص ١٦٨) قوله : (**العارف** : من عرف شدائد الزمان في الألطاف الجارية من الله عليه ، وعرف إساءة نفسه في إحسان الله إليه ، **فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون**) .

[حال الصَّحابة الكرام مع الدنيا]

وعلىٰ هٰذا تُحمَلُ أحوالُ الصَّحابةِ رضي اللهُ عنهم والسَّلفِ الصَّالح ؛ فكُلُّ ما دخلُوا فيهِ مِنْ أسبابِ الدُّنيا . . **فهُمْ بذلكَ إلى اللهِ مُتقرِّبونَ** ، وإلىٰ رِضاهُ مُتسبِّبون ، لا قاصِدونَ بذلكَ الدُّنيا وزينتَهَا ، ووجودَ لذَّاتِها[1] ؛ **ولهذَا وصَفهُمْ الحقُّ سُبحانَهُ بقولِهِ تعالىٰ** : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ [الفتح : ٢٩] .

وما ظنُّكَ بقومٍ **اختارَهُمُ اللهُ**[2] **لصُحبةِ رسولِهِ** صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم ، ولمواجهةِ خطابهِ في تنزيلِهِ[3] ، فما أحدٌ مِنَ المؤمنينَ إلىٰ يوم القيامةِ **إلا**

---

(١) قال المؤلف رحمه الله تعالىٰ في « لطائف المنن » (ص ١٠٨) : (قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه : رأيت الصِّدِّيق في المنام ، فقال لي : « **أتدري ما علامة خروج حب الدنيا من القلب** ؟ » قلت : لا أدري ، قال : « **علامة خروج حب الدنيا من القلب** : بذلها عند الوجد ، ووجود الراحة منها عند الفقد » .
وقال الشيخ أبو العباس رضي الله عنه : رأيت عمر بن الخطاب في المنام فقلت : **يا أمير المؤمنين ؛ ما علامة حب الدنيا** ؟ قال : « خوف المذمة ، وحب الثناء » فإذا كان علامة حبها خوف المذمة وحب الثناء ، **فعلامة الزهد فيها وبغضها** : ألا يخاف المذمة ، ولا يحب الثناء) .

(٢) في (ج ، ط) زيادة : (بقوم يحبهم الله واختارهم) .

(٣) أخرج أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٥/ ٢١٠) عن عبدة بنت خالد بن معدان قالت : قلَّما كان خالد يأوي إلىٰ فراش مقيله . . إلا وهو يذكر فيه شوقه إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلىٰ أصحابه من المهاجرين والأنصار ، ثم يسميهم ويقول : (**هم أصلي وفصلي** ، **وإليهم يحنُّ قلبي** ، طال شوقي إليهم ، **فعجِّل ربي قبضي إليك**) حتىٰ يغلبه النوم وهو في بعض ذلك ، ولقد سمعنا هذا الخبر من فضيلة شيخنا العلامة حسام الدين فرفور حفظه الله تعالىٰ ونحن علىٰ مقاعد الدراسة مراراً وتكراراً ، جزى الله عنا علماءنا خير الجزاء .

وللصَّحابةِ في عُنقِهِ مِنَنٌ لا تُحصَىٰ ، وأيادٍ لا تُنسَى ؛ لأنَّهم هُمُ الَّذينَ حملُوا إلينا عَنِ النَّبي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم الحكمَ والأحكامَ ، وبيَّنوا الحلالَ منَ الحرام ، وفهموا الخاصَّ والعامَّ ، وفتحُوا الأقاليمَ والبلادَ ، وقهرُوا أهلَ الشِّرك والعِنادِ .

ويحقُّ قولُه صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم فيهِمْ : « أصحابي كالنُّجوم ؛ بأيِّهمُ اقتديتُمْ . . اهتديتُم »[1] ، وقد وصفهُمُ اللهُ في آيةٍ أُخرىٰ بأوصافٍ . . . إلىٰ أنْ قالَ : ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ [الحشر : ٨] دلَّ ذلكَ من قولِهِ سبحانَهُ : أنَّهم ما ابتغَوْا بما حملوهُ من الدُّنيا ولم يَقصدُوا بذلكَ إلا وجهَ اللهِ تعالى الكريم ، وفضله العظيم .

وقالَ سُبحانَهُ في آيةٍ أُخرى : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۞ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [النور : ٣٦ـ ٣٧] ، ولم ينفِ عنهُمُ الأسبابَ ولا التِّجارةَ ولا البيعَ ولا الشِّراءَ ، فلا يُخرجُهُمْ عنِ المِدْحةِ غِناهُمْ إذا قامُوا بحقوقِ مَولاهُمْ[2] .

---

(١) قال العلامة اللكنوي في « إقامة الحجة علىٰ أن الإكثار في التعبد ليس ببدعة » (ص٤٨) في تخريج هذا الحديث : (أخرجه الدارقطني في « المؤتلف » وفي كتاب « غرائب مالك » ، والقضاعي في « مسند الشهاب » ، وعبد بن حميد ، والبيهقي في « المدخل » ، وابن عدي في « الكامل » ، والدارمي ، وابن عبد البر ، وابن عساكر ، والحاكم وغيرهم بألفاظ مختلفة المبنىٰ متقاربة المعنى ، بطرق متعددة كلها ضعيفة ؛ كما بسطه الحافظ ابن حجر في « الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف » [٤/ ٩٤] لكن بسبب كثرة الطرق وصل إلىٰ درجة الحسن ، ولذلك حسّنه الصغاني ، كما ذكره السيد الجرجاني في « حاشية المشكاة » . . .) .

(٢) قال شيخ الإسلام زيني دحلان رحمه الله تعالىٰ في كتابه « تقريب الأصول » ←

قالَ عبدُ اللهِ بنُ عُتبةَ : كانَ لعثمانَ بنِ عفانَ رضيَ اللهُ عنهُ عندَ خزَّانِهِ يومَ قُتِلَ زنةُ مئةِ ألفٍ وخمسِ مئةِ دينارٍ ، وألفِ ألفِ درهم ، وتركَ ألفَ فرسٍ ، وألفَ مملوكٍ ، وخلَّفَ ضياعَهُ ببئرِ أريسَ وخيبرٍ ووادي القُرىٰ ما قيمتُهُ مِئتَا ألفِ دينارٍ .

وخلَّفَ عمرُو بنُ العاصِ ثلاثَ مئةِ ألفِ دينار ، وبلغَ ثمنُ مالِ الزُّبيرِ بنِ العوَّامِ رضيَ اللهُ عنهُ خمسينَ ألفَ دينار ، وتركَ ألفَ فرسٍ ، وألفَ مملوكٍ .

وغِنَىٰ عبدِ الرَّحمن بنِ عوفٍ رضيَ اللهُ عنهُ أشهرُ مِنْ أنْ يُذكَرَ[1] .

(ص٣٥ـ ٣٦) وهو يتكلم عن مسألة تفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر : (وهو مذهب ابن عطاء وأبي عبد الله الترمذي الحكيم رضي الله عنه . . .) ونقل كلاماً في غاية النفاسة يستحق المطالعة ، والمراد بابن عطاء هنا : الروذباري ، لأن المؤلف نقل هذا الكلام في « لطائف المنن » (ص ١٧٤) عن المذكورين وعن شيخه ، رحمهم الله أجمعين .

(١) وسبب هذا الغنىٰ : دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له ؛ فقد عنون الإمام البيهقي في « دلائل النبوة » (٦/ ٢١٨) فقال : (باب ما جاء في دعائه لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بالبركة فكثر ماله حتىٰ صُولحت امرأةٌ من نسائه من رُبع الثُّمن علىٰ ثمانين ألفاً) ، ثم أخرج عن سيدنا أنسٍ رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأىٰ علىٰ عبد الرحمن أثرَ صُفرةٍ فقال : « ما هذا يا أبا محمد ؟ » قال : تزوجتُ امرأةً علىٰ وزن نواةٍ من ذهب ، قال : « بارك الله لك ، أولِمْ ولو بشاة » ، وفي رواية أخرىٰ زاد : قال عبد الرحمن : (فلقد رأيتُني ولو رفعتُ حجراً . . لرجوتُ أن أُصيب تحته ذهباً أو فضةً) . وقال القاضي عياض رحمه الله تعالىٰ في « الشفا » (ص٣٩٩) : (ومات فحُفر الذهب من تركته بالفؤوس حتىٰ مَجَلَتْ فيه الأيدي ، وأخذَتْ كلُّ زوجةٍ ثمانين ألفاً ، وكُنَّ أربعاً ، وقيل : مئة ألف ، وقيل : بل صُولحت إحداهنَّ ؛ لأنه طلقها في مرضه علىٰ نيفٍ وثمانين ألفاً ، وأوصىٰ بخمسين ألفاً بعد صدقاته الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة ، أعتق يوماً ثلاثين عبداً ، وتصدَّق مرةً بعِيرٍ فيها سبع مئة بعير وردت

وكانَتِ الدُّنيا في أَكُفِّهِمْ لا في قُلوبِهم ؛ **صبَرُوا عنها** حينَ فُقِدَتْ ، **وشكرُوا اللهَ** حينَ وُجِدَتْ ، وإنَّما ابتلاهُمُ اللهُ سبحانهُ وتعالىٰ بالفاقةِ في أوَّلِ أمرِهِم **حتَّىٰ تكمَّلَتْ أنوارُهم** ، وتطهَّرتْ أسرارُهم ، **فبذَلَها لهُمْ حينئذٍ** ؛ لأنَّهم لو أُعطُوهَا قبلَ ذلكَ . . لعلَّها كانَتْ تأخذُ منهُمْ ، فلمَّا أُعطُوها بعدَ التَّمكينِ والرُّسوخِ في اليقين . . **تصرَّفوا فيها تصرُّفَ الخازنِ الأمين** ، وامتثلُوا فيها قولَ ربِّ العالمين : ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد : ٧] .

[الدنيا في أيديهم لا في قلوبهم]

فكانَتِ الدُّنيا في أيدِي الصَّحابةِ لا في قلوبِهِم ، **ويكفيكَ في ذلكَ** خروجُ **عمرَ بنِ الخطَّابِ** رضيَ اللهُ عنهُ عَنْ نصفِ مالِهِ ، وخروجُ **أبي بكرٍ** رضيَ اللهُ عنهُ عنْ مالِهِ كلِّه(١) ، وخروجُ **عبدِ الرَّحمنِ بنِ عوفٍ** رضيَ اللهُ عنْهُ عنْ سبعِ مئةِ بعيرٍ موقورةٍ بالأحمال(٢) ، وتجهيزُ **عثمانَ بنِ عفانَ**

عليه ، تحمل من كل شيءٍ ، فتصدَّق بها وبما عليها وبأقتابها وأحلاسها) رضي الله عنه وأرضاه .

(١) أخرج ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠/٦٣ـ ٦٤) ، والدينوري في « المجالسة » (٢٢٣٩) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالصدقة ، فقال عمر بن الخطاب : وعندي مال كثير ، فقلت : والله ؛ **لأفضُلَنَّ أبا بكر في هذه المرة** ، فأخذتُ نصف مالي وتركتُ نصفه ، فأتيتُ به النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « **هذا مالٌ كثير ، فما تركتَ لأهلك ؟** » قال : تركت لهم نصفه ، **وجاء أبو بكر بمالٍ كثير** ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ما تركتَ لأهلك ؟** » قال : تركت لهم الله ورسوله .

(٢) أخرج أحمد (٦/ ١١٥) ، والبزار (٦٨٩٩) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١/ ١٢٩) عن سيدنا أنسٍ رضي الله عنه قال : جاءت سبع مئة بعيرٍ لعبد الرحمن بن عوف ، عليها من كل شيء ، فتعجَّب أهل المدينة ، فقالت

رضيَ اللهُ عنهُ جيشَ العُسرةِ[1] . . . إلىٰ غيرِ ذلكَ مِنْ أفعالِهِمْ ، وسَنِيِّ أحوالِهِمْ ، رضوانُ اللهِ عليهِم أجمعينَ[2] .

فتضمَّنَتِ الآياتُ البيِّناتُ : التَّزكيةَ لظواهرِهِمْ وسرائرِهِم ، وإثباتَ محامدِهِمْ ومفاخرِهِم ؛ فقَدْ تبيَّنَ مِنْ هذا أنَّ التَّدبيرَ علىٰ قِسمينِ :

تدبيرِ الدُّنيا للدُّنيا ؛ كمَا هوَ حالُ أهلِ القَطيعةِ الغافلين .

وتدبيرِ الدُّنيا للآخرةِ ؛ كحالِ الصَّحابةِ الأكرمين ، والسَّلفِ الصَّالحين رضيَ اللهُ عنهُمْ أجمعين ، وجعلَنَا ممَّنِ اقتدَىٰ بهِمْ ، آمين .

❊ ❊ ❊

← عائشة رضي الله عنها : ما هذا ؟ قالوا : عيرٌ لعبد الرحمن بن عوف ، تحمل كل شيء ، فقالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قد رأيت عبد الرحمن وإنه يدخل الجنة حبواً » فبلغه ذلك ، فقال : يا عائشة ؛ ما حديثٌ بلغني ؟ فذكرتُهُ له ، فقال : فإني أُشهدكِ : أنها بأقتابها وأحلاسها وأحمالها في سبيل الله .

(١) أخرج الحاكم (٣/ ١٠٢) ، والترمذي (٣٧٠١) عن عبد الرحمن بن سَمُرة قال : جاء عثمان رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينارٍ حين جهَّز جيش العُسرة ، ففرَّغها عثمان في حِجر النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقلِّبها ويقول : « ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد هذا اليوم » قالها مراراً .

(٢) أخرج هناد في « الزهد » (٦١٩) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢/ ٤٧) عن أم ذرة وكانت تغشىٰ عائشة رضي الله عنها قالت : بعث إليها ابن الزبير بمالٍ في غرارتينِ ، قالت : أراه ثمانين أو مئة ألف ، فدعَتْ بطبقٍ وهي يومئذٍ صائمة ، فجلست تقسم بين الناس ، فأمست وما عندها من ذلك درهم ، فلما أمست . . قالت : (يا جارية ؛ هلمِّي فِطري) فجاءتها بخبزٍ وزيت ، فقالت لها أم ذرة : أما استطعتِ مما قسمتِ اليوم أن تشتري لنا لحماً بدرهم نفطر عليه ؟! قالت : (لا تعنِّفيني ؛ لو كنتِ ذكرتيني . . لفعلتُ) .

فصلٌ

في نداء الحق سبحانه لعبده

نذكرُ فيهِ مناجاةَ الحقِّ سبحانَهُ وتعالىٰ لعبدِهِ **علىٰ ألسُنِ هواتفِ الحقائقِ** في شأنِ التَّدبيرِ والرِّزقِ[1] :

أيُّها العبدُ : ألْقِ سمعَكَ وهوَ شهيد . . **يأتِكَ منِّي المزيدُ**[2] ، وأصْغِ بسمعِكَ فأنا لستُ عنكَ ببعيدٍ ، كنتُ بتدبيري لكَ قبلَ أنْ تكونَ لنفسِكَ ، **فكُنْ لنفسِكَ** بألا تكونَ لها ، وتوليتُ رعايتَهَا قبلَ ظهورِكَ ، وأنا الآنَ على الرِّعايةِ لها .

أنا المنفردُ بالخلقِ والتَّصوير ، **وأنا المنفردُ** بالحُكمِ والتَّدبير ، لم تُشارِكْنِي في خَلْقي وتصويري . . **فلا تُشارِكْنِي** في حُكْمي وتَدْبيري .

---

(١) **الهواتف** : جمع هاتف ؛ وهو صوتٌ يُسمع ممن لا يُرىٰ شخصه ؛ كسماع الخطاب من الحق سبحانه وتعالى ، أو من الملائكة ، أو من الجن الصالح ، أو من أحد الأولياء ، أو حتى الخضر عليه السلام ؛ **إمَّا مناماً أو يقظة** ، أخرج ابن حبان (٦٦٢٨) عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : (لما اجتمعوا لغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم . . اختلفوا بينهم ، فقالوا : والله ؛ ما ندري : **أنجرِّد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نجرد موتانا أو نغسله وعليه ثيابه** ؟ قالت : فأرسل الله عليهم النوم ، حتىٰ إنْ منهم من رجلٍ إلا ذقنه في صدره ، ثم نادىٰ منادٍ من جانب البيت ما يدرون ما هو : **أنِ اغسلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه قميصه**) ، ولما مات الإمام أحمد . . **هتفت بموته الهواتف** ، قال أبو زرعة : (كان يقال عندنا بخراسان : **الجن نعت أحمد بن حنبل** قبل موته ، وسمعوا قائلاً : مات رجل بالعراق ، فذهبت الجن كلها تصلي عليه إلا المردة) .

(٢) في النسخ : (يأتيك) ، والمثبت من (ط) ، وهو مجزوم بجواب الطلب .

أنا المدبِّرُ لمُلكي وليسَ لي فيهِ ظهير ، **وأنا المنفردُ** بحُكمِي ولا أحتاجُ إلىٰ وزير .

* * *

أيُّها العبدُ : مَنْ كانَ لكَ تدبيرُهُ قبلَ الإيجاد .. **فلا تُشارِكْهُ في المراد** ، ومَنْ عوَّدَكَ حُسنَ النَّظرِ منهُ لكَ .. **فلا تُقابلْهُ بالعِناد** .

وعوَّدتُكَ حُسنَ النَّظرِ منِّي لك ، **فعوِّدْني إسقاطَ التدبيرِ** منكَ معي ، أشكّاً بعدَ وجودِ التجربةِ ، وحيرةً بعدَ وجودِ البيان ، وضلالاً بعدَ وضوحِ الهدى ؟!وقدْ سلَّمْتَ لي قيامي بمَمْلكتِي وأنتَ من مملكتِي ، **فلا تُنازعْ في رُبوبيَّتي** ، ولا تُضادِدْ بتدبيرِكَ معَ وجودِ أُلوهيَّتي .

متىٰ أحوجْتُكَ إليكَ **حتَّىٰ تحتالَ عليكَ** ؟! متىٰ وكلْتُ شيئاً من مملكتي لغيري **حتَّىٰ أَكِلَ ذلكَ إليكَ** ؟! **متىٰ خابَ** مَنْ كنتُ لهُ مُدَبِّراً ، **ومتىٰ خُذِلَ** مَنْ كنتُ لهُ ناصراً ؟![(١)] .

* * *

أيُّها العبدُ : لِتشغلكَ خِدمَتي **عنْ طلبِ قِسمتي** ، وليمنعكَ حُسنُ الظنِّ بي **عنِ اتِّهامِ رُبوبيَّتي** ؛ لا ينبغي **أنْ يُتَّهمَ مُحسِنٌ** ، ولا أنْ يُنازَعَ مُقتدِرٌ ،

---

(١) أوحى الله تعالىٰ إلىٰ سيدنا موسىٰ عليه السلام : (يا موسى ؛ **خاطب المذنبين** باللطف واللين ، **وادعهم إليَّ** بالقول الجميل ، **ورغِّبهم** في النعيم المقيم ، **ولا تُغلظ عليهم** ؛ فلو شئتُ أن أعجل عقوبتهم .. **لما أمهلتهم طرفة عين** ، أعلمهم : أنه من تاب إليَّ .. **قبلته** ، ومن تمادىٰ .. **أمهلتُه** ، ومن عصاني .. **عذَّبتُه** ، يا موسى ؛ من ذا الذي قصدني صادقاً .. **فخيبته** ؟! أو لجأ إليَّ .. **فأسلمته** ، أو سألني .. **فمنعته** ، أو رجع إليَّ .. **فطردته** ، أو تاب إليَّ .. **وما قبلته** ، أو تضرع إليَّ .. **وما رحمته** ؟!) .

ولا أنْ يُضادَّ قهَّار ، ولا أنْ يُعترَضَ علىٰ حكيم ، ولا أنْ يُعالَ همٌّ معَ لطيف .

لقَدْ فازَ بالنُّجحِ مَنْ خرجَ عنِ الإرادةِ معِي ، ولقدْ دُلَّ علىٰ يسيرِ الأمرِ مَنِ احتالَ عليَّ ، ولقَدْ استوجَبَ النَّصرَ منِّي عبدٌ إذا تحرَّكَ . . تحرَّكَ بي ، ولقَدِ استمسكَ بأقوى الأسبابِ مَنِ استمسكَ بسَبَبي .

* * *

أيُّها العبدُ : نُريدُ منكَ أنْ تُريدَنَا ولا تُريدَ معَنا ، ونريدُ منكَ أنْ تختارَنَا ولا تختارَ معَنا ، ونرضىٰ لكَ أنْ ترضانا ولا ترضىٰ سِوَانا[1] .

وكما سلَّمتَ لي تدبيري في أرضِي وسمائِي ، وانفرادي فيهما بحُكمِي وقضائي . . سلِّمْ وجودَكَ لي فإنَّكَ لي ، ولا تُدبِّرْ معي فإنَّك معي ، واتَّخذْني وكيلاً ، وثِقْ بي كفيلاً . . أُعطِكَ عطاءً جزيلاً ، وأَهَبْكَ فخراً جليلاً .

ويحكَ ؛ إنَّا أجللْنَا قَدْرَكَ أنْ نشغلَكَ بأمرِ نفسِكَ ، فلا تُصغر قَدْرَكَ يا مَنْ رفعناهُ ، ولا تذلنَّ بحوالتِكَ علىٰ غيري يا مَنْ أعززنَاهُ .

ويحكَ ؛ أنتَ أجلُّ عندَنا مِنْ أنْ نشغَلَكَ بغيرِنا ، لحضرَتِي خلقتُكَ ، وإليها خطبتُكَ ، وبجواذبِ عِنايتي إليها جذبتُكَ ؛ فإنِ اشتغلْتَ بنفسِكَ . . حجبتُكَ ، وإنِ اتَّبعتَ هواهَا . . طردتُكَ ، وإنْ خرجتَ عنها . . قرَّبتُكَ ،

(١) قال المؤلف رحمه الله تعالىٰ في « لطائف المنن » (ص ١٦٠) : (سألت امرأة بعض الملوك فقالت : إنك قد أحسنت إلينا عام أول ونحن محتاجون لإحسانك إلينا هذا العام ، فقال : أهلاً بمن توسَّل لإحساننا بإحساننا !! وأعطاها وأجزل لها العطاء) ، هذا عطاء المخلوق . . فكيف عطاء الخالق سبحانه الذي لم ينقطع !!

وإنْ تودَّدْتَ إليَّ بإعراضِكَ عمَّا سوايَ . . **أحببتُكَ**[1] .

❊ ❊ ❊

أيُّها العبدُ : **ما آمَنَ بي** مَنْ نازعَني ، **ولا وحَّدَني** مَنْ دبَّر معي ، **ولا رضيَ بي** مَنْ شكا ما أنزلتُ بهِ إلىٰ غيري ، **ولا اختارَني** مَنِ اختارَ معي ، **ولا امتثلَ أمري** مَنْ لم يستسلِمْ لقهري .

لو طلبتَ التدبيرَ لنفسِكَ . . جهلْتَ ، **فكيفَ إذا دبَّرتَ لها** ؟! ولو اخترتَ معي . . ما أنصفتَ ؛ **فكيفَ إذا اخترتَ عليَّ** ؟!

❊ ❊ ❊

أيُّها العبدُ : يكفيكَ مِنَ الجهلِ أنْ تسكنَ لما في يدِكَ ، ولا تسكنَ لما في يدي ، أنا أختارُ لكَ أنْ تختارَني . . **أفتختارُ عليَّ** ؟!

يا مهموماً بنفسِهِ ؛ لو ألقيتَهَا إلينا . . **لاسْترحْتَ** ، ويحَكَ ؛ أعباءُ التدبيرِ لا يحملُهَا إلا الرُّبوبيةُ ، وليسَ يَقوىٰ عليها ضعيفُ البشريَّة .

ويحكَ أنتَ محمولٌ فلا تكُنْ حاملاً ، **أردْنَا راحتَكَ** فلا تكُنْ مُتعباً لنفسِكَ .

❊ ❊ ❊

---

(١) يروى : أن فتاة من الأعراب **كان إنسان يدَّعي صدق المحبة لها** ، ويظهر التودُّد والتقرُّب إليها ، وكان يتلطَّف إليها ، وقال لها : إني أحبُّكِ ، فقالت له : **إن لي أختاً أحسن مني** ، لو رأيتَها . . **لكنتَ فيها أرغب** ، ذات جمال وها هي ، **فالتفتَ** ، فلطمَتْه وقالت : **يا كذوباً في دعوى المحبة** ؛ لو كنتَ صادقاً . . **لم تلتفت إلىٰ غيري** !! فانظر واعتبر في هذه القصة . . يَبِنْ لك إفلاسُ أكثر الناس عن وجدان الحق ، **وأين دعوى الأُنس** لمن لا يقدر علىٰ فراق أدنى المحبوبات الدنيوية ؟ **فكن علىٰ وراثة إبراهيمية** ؛ حيث قال : ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء : ٧٧] .

أيُّها العبدُ : أمرتُكَ بخدمَتِي ، وضمِنْتُ لكَ بقِسمَتِي ، فأهملْتَ ما أمَرْتُ ، وشككْتَ فيما ضمنْتُ ، ولم أكتفِ لكَ بالضمانِ حتَّىٰ أقسمتُ ، ولم أكتفِ بالقَسَمِ حتَّىٰ مثَّلْتُ ، فخاطبْتُ عباداً يفهمونَ فقلتُ : ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۞ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ [الذاريات : ٢٢ـ ٢٣] ، وقدْ رزقْتُ مَنْ غفلَ عنِّي وعصاني ؛ فكيفَ لا أرزقُ مَنْ أطاعَني ودعاني ؟![١] .

ويحكَ الغارسُ للشَّجرةِ [هوَ] ساقِيها ، والممدُّ للخَلِيقةِ هوَ باريها ، منِّي كانَ الإيجادُ وعليَّ دوامُ الإمداد ، منِّي كانَ الخَلْقُ وعليَّ دوامُ الرِّزق ، أَأُدخلُكَ داري وأمنعُكَ إبراري ، أَأُبرزُكَ لكوني وأمنعُكَ وجودَ عَوني ؟! أَأُخرجُكَ إلىٰ وجودي وأمنعُكَ جُودي ؟!

لكَ هيئتُ مِنَّتي ، وفيكَ أظهرتُ رحمتي ، وما قنعتُ [لكَ] بالدُّنيا حتَّى ادخرتُ لكَ جنَّتي ، وما اكتفيتُ لكَ بذلكَ حتَّىٰ أتحفتكَ برؤيتي ؛

---

(١) حكى الأصمعي : أنه رأىٰ أعرابياً في سكك البصرة ، وسأله أن يقرأ عليه شيئاً من كتاب الله ، فقرأ من سورة (الذاريات) حتىٰ بلغ : ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات : ٢٢] ، فقام ونحر ناقته ووزعها وولىٰ نحو البادية يردد الآية ، ثم بعدها حججت مع الرشيد ، فدخلت مكة ، فبينما أنا أطوف بالكعبة . . إذ بصوت ضعيف ، فإذا بالأعرابي نحيلاً مصفراً ، فسلَّم عليَّ وقال : اتل كلام الرحمٰن ، فأخذت في سورة (الذاريات) ، فلما انتهيت إلىٰ قوله : ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ . . صاح الأعرابي : وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، ثم قال : وهل غير هذا ؟ قلت : نعم ، يقول تعالى : ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ [الذاريات : ٢٣] ، فصاح الأعرابي : يا سبحان الله ؛ من ذا الذي أغضب الجليل حتىٰ حلف ؟! ألم يصدِّقوه حتىٰ ألجؤوه إلى اليمين) ، ثم خرجت روحه . انتهىٰ باختصار من « الكشف والبيان » (٩/ ١١٥) .

فإذا كانَتْ هذهِ أفعالي فيكَ . . [فكيفَ][1] تشكُّ في إفضالي ؟!

اخترْني ولا تخترْ عليَّ ، ووجِّهْ قلبَكَ بالصِّدقِ إليَّ ؛ فإنْ فعلْتَ . . أريتُكَ غرائبَ لُطفي ، وبدائعَ جُودي ، وأُمتع سرَّكَ بشُهودي .

لقد ظهرتِ الطريقُ لأهلِ التحقيق ، وتبينَتْ معالمُ الهدىٰ لذوي التَّوفيق ، فبحَقٍّ سلَّمَ إليَّ الموقنون ، وببيانٍ توكَّلَ عليَّ المؤمنون ، علموا أنِّي خيرٌ لهم مِنْ أنفسِهِمْ لأنفسهم ، وأنَّ تدبيري لهم أحرىٰ مِنْ تدبيرِهم لها ، فأذعَنوا لرُبوبيَّتي مُستسلمين ، وطرحوا أنفسَهم بينَ يديَّ مُفوِّضين ، فعوَّضتهم عوضَ ذلكَ راحةً في نفوسهم ، ونوراً في عقولهم ، ومعرفةً في قلوبهم ، وتحقيقاً بقربي في أسرارهم .

هذا في هذهِ الدَّار ، ولهم عندي إذا قدموا عليَّ أن أُجِلَّ منصبَهم ، وأُعْليَ محلَّهم ، ولهم عليَّ إذا أدخلتُهم داري ما لا عينٌ رأتْ ، ولا أُذُنٌ سمعَتْ ، ولا خطرَ علىٰ قلبِ بشَرٍ .

* * *

أيُّها العبدُ : الوقتُ الَّذي أنتَ تستقبلُهُ لم أُطالبْكَ فيهِ بالخِدمة ، فلا تُطالبني فيهِ بالقِسمة ، فإذا كلَّفتُكَ . . تكفَّلْتُ لك ، وإذا استخدمتُكَ . . أطعمتُكَ .

واعلم : بأنِّي لا أنساكَ وإنْ نسيتَني ، وأنِّي ذكرتُكَ من قبلِ أن تذكرَني ، وأنَّ رزقي عليكَ دائمٌ وإنْ عصيتَني ، فإذا كنتُ لكَ كذلكَ في إعراضِكَ عنِّي . . فكيفَ ترىٰ أن أكونَ لكَ في إقبالِكَ عليَّ ؟!

ما قَدَرْتني حقَّ قَدْري إنْ لم تستسلِمْ لقَهري ، ولا رَعيتَ حقَّ بِرِّي إنْ

---

(١) ما بين معقوفين زيادة من (ط) .

لم تمتثلْ أمري ، **فلا تُعرِضْ عنِّي** ؛ فإنَّك لا تجدُ مَنْ تستبدله منِّي ، ولا تغترَّ بغيري . . **فإنَّ أحداً لا يُغنيكَ عنِّي** .

أنا الخالقُ لكَ بقُدرتي ، **وأنا الباسط** لكَ مِنَّتي ، فكما أنَّه لا خالقَ غيري . . **فكذلكَ لا رازقَ غيري** ، أأخلقُ وأُحيلُ علىٰ غيري وأنا المتفضِّلُ ؟! وأمنعُ العبادَ وجودَ خيري وأنا المنعِمُ ؟!

فثِقْ أيُّها العبدُ بي ؛ فأنا ربُّ العالمين ، واخرُجْ منْ مُرادِكَ إليَّ . . **أُبلغْكَ عينَ المراد** ، واذكُرْ سوابقَ لُطفي ، **ولا تنسَ حقَّ الوِداد**(١) .

* * *

(١) قال تعالىٰ : ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمر : ٥٣] ، قال سهل : (أمهل الله عباده تفضُّلاً منه إلىٰ آخر نفَسٍ ، فقال لهم : ﴿ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ ﴾ ، **فلو رجعتم إلىٰ بابي في آخر نفَسٍ . . لقبلتكم**) . قال الإمام القشيري رحمه الله تعالىٰ في « تفسيره » (٣/ ٢٨٨) : (لما قال : ﴿ يَٰعِبَادِيَ ﴾ . . **طمع المطيعون** في أن يكونوا هم المقصودين بالآية ، فرفعوا رؤوسهم ، **ونكَّس العصاة رؤوسهم** ، وقالوا : **من نحن حتىٰ يقول لنا هذا ؟!** فقال تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ ﴾ فانقلب الحال ؛ فهؤلاء الذين نكَّسوا رؤوسهم **انتعشوا وزالت ذلَّتهم** ، والذين رفعوا رؤوسهم **أطرقوا وزالت صولتهم** ، ثم أزال الأعجوبة عن القسمة بما قوَّىٰ رجاءهم بقوله : ﴿ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾ يعني : إن أسرفت . . **فعلىٰ نفسك أسرفت** ، ﴿ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ﴾ بعدما قطعت اختلافك إلىٰ بابنا ؛ **فلا ترفع قلبك عنَّا** ، ﴿ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ الألف واللام في « الذنوب » للاستغراق والعموم ، وجاءت : ﴿ جَمِيعًا ﴾ للتأكيد ؛ فكأنه قال : **أغفر ولا أترك ، وأعفو ولا أبقي**) .

مناجاته رضي الله عنه[1]

إلهي : أنا الفقيرُ في غِناي فكيفَ لا أكونُ فقيراً في فقري ، وأنا الجهولُ في عِلمي فكيفَ لا أكونُ جهولاً في جهلي !![2] .

* * *

إلهي : منِّي ما يليقُ بلُؤمِي ، ومنكَ ما يليقُ بكرمك[3] ؛ إن ظهرَتِ

---

(١) هٰهنا انتهى الكتاب ، وما بقي إلا مناجاة الكريم الوهاب ، ولقد ختم المؤلف رحمه الله تعالىٰ كتابه بالمناجاة ، كما فعل ذلك في آخر كتاب « الحكم العطائية » ، وقال بعض شرَّاحها : المناجاة علىٰ قسمين : قسم يقضي بالتعريض والتأهُّب ، وقسم يشهد بالتحقيق والتأدُّب ، وأكثر ما يظهر فضلها للتالي في وقت الأسحار وبعد صلاة الصبح ؛ فلها هناك سرٌّ عظيم وفتح جسيم ، فمن لازمها في ذينكِ الوقتينِ . . وجد بسطاً زائداً على العادة ، ولها خواص وأسرار يعرفها من جرَّبها من العبَّاد والزهَّاد ، والطالبين لمعرفة ربِّ العالمين . انظر « إيقاظ الهمم لشرح الحكم » (٢/ ٢٢٣) ، وأكثر التعليقات في شرح المناجاة مأخوذةٌ منه .

(٢) إنما ابتدأ مناجاته بالتحقُّق بالفقر . . لما يعقبه من سرعة الغنىٰ ، قال بعض الصالحين : (من الطويل)

تحقَّق بوصف الفقر في كلِّ لحظةٍ ... فما أسرع الغنىٰ إذا صُحح الفقرُ

وقال سهل بن عبد الله التُّسْتري رحمه الله تعالى : (ما أظهر عبدٌ فقره إلى الله تعالىٰ في الدعاء . . إلا قال له الحق : لبيك ، لكنه لا يستطيع سمع ذلك) انظر « إيقاظ الهمم » (٢/ ٢٢٥) .

(٣) إلهي : يظهر مني من الدناءة والخساسة واللآمة والمساوي ما يليق بلآمتي ودناءتي ، ويظهر منك من المبرَّة والإحسان ، والكرامة والامتنان ما يليق بكرمك الزاخر ، وكمال إحسانك الباهر ؛ فقابلِ اللهم إساءتنا بإحسانك ، وغطِّ مساوينا بوصف كرمك وامتنانك ؛ فإنك أهل التقوىٰ وأهل المغفرة .

المحاسنُ منِّي . . فبفضلِكَ ولكَ المِنَّة عليَّ ، وإنْ ظهَرَتِ المساوىءُ منِّي . . فبعدلِكَ ولكَ الحجَّةُ عليَّ[1] .

* * *

إلهي : كيفَ تكِلُنِي وقدْ توكَّلْتَ لي ؟! وكيفَ أُضَامُ وأنتَ النَّاصرُ لي ، أم كيفَ أخيبُ وأنتَ الحَفِيُّ بي ؟!

ها أنا أتوسَّلُ إليكَ بفقرِي ، وكيفَ أتوسَّلُ إليكَ بما هوَ محالٌ أنْ يصلَ إليكَ ؟![2] أم كيفَ أشكُو إليكَ حالي وهوَ لا يَخفىٰ عليكَ ؟! أم كيفَ أُترجِمُ بمَقَالي وهوَ منكَ بَرَزَ وإليكَ ؟! أم كيفَ تخيبُ آمالي وهيَ قدْ وفَدَتْ عليك ، أم كيفَ لا تحسنُ أحوالي وبكَ قامَتْ وإليكَ ؟![3] .

* * *

حكي عن بعض الناس أنه قال : إلهي : كم أعصيك وأنت تسترني ؟! فسمع من يقول : (لتعلم أني أنا أنا ، وأنت أنت) .

(١) قال أبو عمر الضرير : حدثني سهل قال : (رأيت مالك بن دينار في المنام بعد موته ، فقلت له : يا أبا يحيى ؛ بماذا قدمتَ على الله عزَّ وجلَّ ؟ قال : قدمتُ عليه بذنوبٍ كثيرةٍ ؛ محاها حسنُ ظني بالله عز وجل) انظر « الروض الفائق » (ص٤٤) .

(٢) إلهي : إن كان الأغنياء قد قدَّموا بين أيديهم الأموال . . فأنا أقدِّم إليك فقري في جميع الأحوال ، وإن كان الأقوياء قد قدَّموا إليك صالح الأعمال . . فأنا أقدم إليك التضرع والابتهال : (من الكامل)

ما لي سوىٰ فقري إليك وسيلة ... فبالافتقار إليك ربي أضرعُ
ما لي سوىٰ قرعي لبابك حيلة ... فلئن رُددتُ فأيَّ بابٍ أقرعُ

وأي نسبة لفقر العبد من غنىٰ مولاه ؟! فأغنني اللهم بك عن الاحتياج إلىٰ غيرك ؛ حتىٰ ألقاك بك لا بغيرك ، إنك علىٰ كل شيء قدير .

(٣) إلهي : حوائجي وفدت عليك ونزلت بساحة كرمك ، ورست علىٰ ساحل بحر جودك ، وحطَّتِ الأحمال علىٰ باب فضلك ، والتجأت إلىٰ حصن عزِّك ؛ فكيف ←

إلهي : ما ألطفَكَ بي معَ جهلي ، وما أرحمَكَ بي معَ قبيحِ فِعْلي ! ![1]
وما أقربَكَ منِّي وما أبعدَني عنكَ ، وما أرأفَكَ بي فما الَّذي يحجبُني عنكَ ؟![2] .

* * *

→ تخيب آمال الطامعين وباب كرمكم مفتوح ؟! أم كيف يحرم قاصدكم وبحر فضلكم وإحسانكم ممنوح ؟! أم كيف يُضام جاركم وجاه عزكم منيع ؟! أم كيف يخفر جواركم ونفوذ أمركم في الأشياء سريع ؟! وقد قيل : (من الكامل)

أيضام عبدٌ في حماكم قد نزلْ ... يا من لهم كل الأماني والأملْ

حاشا أن تردوا من نزل ببابكم ، وقصد حمىٰ جنابكم .

(1) إلهي : ما ألطفك بي مع عظيم جهلي ؛ حيث جهلتُ لطفك الخفي ، وطلبت لطفك الجلي ؟! ولو عاملنا الحق تعالىٰ بمقتضىٰ جهلنا . . لنزع لطفه الخفي عنَّا وتركنا مع مرادنا ؛ ولكنه سبحانه حليم ، فلم يعاملنا بمقتضىٰ جهلنا ، فلطف بنا مع عظيم جهلنا ؛ ولذلك تعجب الشيخ من شدة لطف الله بنا مع عظيم جهلنا ، وهذا كما قال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه : (إذا سألت الله العافية . . فاطلبها من حيث يعلم أنها لك عافية) ، فالعافية واللطف : هو الرضا والتسليم ، وسكون القلب عند مجاري الأقدار ، والرحمة : هي اللطف والمحبة والتقريب ؛ فالحق تعالىٰ يريد أن يقرب عبده إليه ، ويطوي مسافة البُعد بينه وبينه بما يسلط عليه ؛ من أذية الخلق ، والفقر والأمراض ، وغير ذلك مما يؤلم النفس ، ثم إن العبد يفرُّ منها ، ويسأل الله أن يبعده عنها ؛ لأجل جهله وقبيح فعله ، ولذلك ورد في بعض الأخبار يقول الله تعالى : (يا عبدي ؛ كيف أرحمك بدفع ما به أرحمك ؟!) أو كما قال .

(2) إلهي : ما أقربك مني بلطفك ورأفتك ، وعلمك وإحاطتك ، وما أبعدني عنك بوهمي وسوء أدبي ، أو : ما أقربك مني بأوصاف الربوبية ، وما أبعدني عنك بأوصاف العبودية ؛ فأوصاف الربوبية رفيعة القدر ، عظيمة الشأن ، وأوصاف العبودية خسيسة القدر ، دنيئة المقدار ، فلا مناسبة بينهما في القدر مع تلازمهما في المحل بتحقيق الوحدة ؛ فهما متلازمان في القيام ، متضادان في الأحكام .

إلهي : كلَّما أخرسَني لُؤْمي . . **أنطقَنِي كرمُك** ، وكلَّما آيسَتنِي أوصافي . . **أطمَعَتْني مِنَنُك**[1] .

إلهي : مَنْ كانَتْ محاسِنُهُ مساوِيَ . . **فكيفَ لا تكونُ مساوِيهِ مساوِيَ** ؟! ومَن كانَتْ حقائقُهُ دعاوِيَ . . **فكيفَ لا تكونُ دعاويهِ دعاوِيَ** !![2] .

* * *

إلهي : **كيفَ أعزِمُ** وأنتَ القاهِرُ ، **وكيفَ لا أعزِمُ** وأنتَ الآمِرُ ؟![3] .

---

(١) العبد إذا نظر أوصاف نفسه اللئيمة ، وأفعالها الذميمة . . **استحيا من الله أن يرفع إليه حاجة يطلبها** ، وخرس لسانه عن النطق بها ؛ لأنه يرىٰ من خساسة نفسه ولآمتها ما لا تستحق بذلك إلا العقوبة والطرد ، فإذا نظر إلىٰ سعة كرم الله وجوده وإحسانه وبره . . **انطلق لسانه بالسؤال** ، وطمع فيما له من سعة العطاء والنوال ، **والحياء** : هو شيءٌ يتولَّد بين رؤية النعماء ورؤية التقصير ، وفي الحكمة مكتوب : (من استحيا من الله وهو مطيع . . **استحيا الله منه وهو مذنب**) ، وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى : (يقول الله تعالى : **عبدي** ؛ إنك ما استحييتَ منِّي . . **أُنسي الناس عيوبك** ، **وأُنسي بقاع الأرض ذنوبك** ، **وأمحو من أم الكتاب زلاتك** ، **ولا أناقشك** بالحساب يوم القيامة) .

(٢) **محاسن الإنسان** لا تخلو من خلل ونقصان ، ولو لم يكن إلا نسبتها لنفسه وفعله ورؤيتها من قوَّته وحوله . . **لكان كافياً في خللها ونقصها** ، فتنقلب مساوي بعد أن كانت في الصورة محاسن ، وإذا كانت محاسنه مساوي . . **فكيف لا تكون مساويه مساوي** ؟! وكذلك حقائق العبد ؛ **وهي** : ما تحقَّق به من المقامات والمنازلات ، وأذواق العارفين ومواجيد المحبين لا تخلو من شوائب الدعوىٰ ومسارقة الهوىٰ لولا مسامحة المولى ؛ فإذا كانت حقائقه التي تحقَّق بها وذاقها لا تخلو من شوائب الدعوى ، فإذا نسبها لنفسه كانت كلها دعاوي . . **فكيف لا تكون دعاويه الفارغة دعاوي** ؟! فإذا علم العبد هذا . . **استحيا من مولاه** أن ينسب لنفسه شيئاً من المحاسن ، أو يثبت لها نوعاً من الحقائق ؛ **فربما يُفضح علىٰ رؤوس الخلائق** .

(٣) إن عزم العبد على الطاعة ليس هو بيده **حقيقة** ؛ لكنه مأمور به **شرعاً** ، فأراد ←

تَرَدُّدِي في الآثارِ . . **يُوجِبُ بُعْدَ المزارِ** ، فاجمعْنِي عليكَ بخدمةٍ تُوصِلُني إليكَ[1] .

كيفَ يُستَدَلُّ عليكَ بما هوَ في وجودِهِ مُفْتقِرٌ إليك ؟! أيكونُ لغيرِكَ مِنَ الظُّهورِ ما ليسَ لكَ ؛ حتَّىٰ يكونَ هوَ المُظهِرَ لك ؟!

متَّىٰ غِبْتَ حتَّىٰ تحتاجَ إلىٰ دليلٍ يدلُّ عليكَ ، **ومتَّىٰ بَعُدْتَ** حتَّىٰ تكونَ الآثارُ هيَ الَّتي تُوصِلُ إليكَ ؟![2] .

* * *

← المؤلف أن يدلَّ المريدين علىٰ مقام الجمع **بين الحقيقة والشريعة** ؛ لأن عزم العبد **مطلوب منه شريعة** ، ونتيجته **مسلوبة منه في الحقيقة** ، ولا يثبت بينهما إلا من ثبَّته الله ، فكيف أعزم على الطاعة وأعقد عليها وأنت القاهر لي ؛ فلا طاقة لي علىٰ فعلها وأنت تقهرني عنها ؟! **وهذه هي الحقيقة** ، وكيف لا أعزم عليها وأنت الآمر لي بها ؛ فإن لم أعزم عليها . . عذَّبتني ؛ **وهذه هي الشريعة** ، **فالواجب** : أن أعزم وأنظر ما تفعل ؛ فإن وفَّقتني للعمل . . **فأنت أهل التقوىٰ وأهل المغفرة** ، وإن لم توفقني . . **فأنت أهل العفو والمعذرة** .

(١) إنما أمر الله تعالىٰ بالطاعة والعزم عليها ؛ **لأنها سبب الوصول إليه** حسبما جعلها الحق تعالىٰ حكمةً وشريعةً ، **وهذه المناجاة** إنما تليق بأهل الاستشراف ، وأما مناجاة السائرين والواصلين والمتمكنين . . فهي : **إلهي** ؛ تنزهي في الأنوار . . يوجب قرب المسار ، **فاجمعني إليك** ، وهذه مناجاة الواصلين قبل الرسوخ والتمكين ، ثم بعدها : **إلهي** ؛ تنزهي في الأسرار . . يوجب وصل المسار ، **فاجمعني إليك بنظرة تقيمني بين يديك** ، وهذا غاية الجمع ؛ وهو تمكن النظرة ودوام شهود الحضرة ، ولا يذوق هذا إلا من سبقت له الخدمة ، وتداركته عناية الجذبة ، ولا يمكن الوصول إلىٰ هذا **إلا برفع الهمة عن الكونين** ، وخلع النعلين من الدارين ، قال بعضهم : **عُرضت عليَّ الدنيا** بزخرفها وزينتها فأعرضت عنها ، **فعرضت عليَّ الجنان** بقصورها وحورها وحللها فأعرضت عنها ، فقيل لي : لو وقفت مع الدنيا . . **لحجبناك عن الآخرة** ، ولو التفتَّ إلى الآخرة . . **لحجبناك عنَّا** ، فأرضَ بنا عما سوانا **وقسطك يأتيك من الدنيا والآخرة** .

(٢) **أهل الدليل** : يستدلون بالصنعة على الصانع ، وبالشاهد على الغائب ، **وأهل** ←

إلهي : عَمِيَتْ عينٌ لا تراكَ عليها رقيباً ، وخَسِرَتْ صفقةُ عبدٍ لم تجعَلْ لَهُ مِنْ حُبِّكَ نصيباً[1] .

إلهي : هذا ذُلِّي ظاهرٌ بينَ يديك ، وهذا حالي لا يَخفَىٰ عليك ، منكَ أطلبُ الوُصولَ إليك ، وبكَ أستدِلُّ عليك ، فاهدِنِي بنورِكَ إليكَ ، وأقِمْنِي بصدقِ العُبوديَّةِ بينَ يديكَ[2] .

* * *

العيان : صار الغيب عندهم شهادة ، والدليل عين المدلول ؛ فالقسم الأول : أهل علم اليقين ، والثاني : أهل عين اليقين أو حق اليقين ، القسم الأول : عوام ، والثاني : خواص أو خواص الخواص ، قال الشيخ أبو الحسن : أهل الدليل والبرهان عمومٌ عند أهل الشهود والعيان ، قدسوا الحق في ظهوره أن يحتاج إلىٰ دليلٍ يدلُّ عليه !!

(١) الظاهر : أن هذا إخبارٌ بأن كل عينٍ خلَتْ من مراقبة الحق تعالىٰ . . فهي عمياء ، وكل صفقة خلت من محبة الله . . فهي خاسرة ، ويكون العمىٰ في حقِّها معنوياً ؛ لأن الله سبحانه يقول : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا ﴾ [يونس : ٦١] فمن لم يعتقد هذا . . فهو كافر ، ومن اعتقده ولم يستحي من الله . . فهو جاهلٌ أعمى البصيرة ، ويحتمل أن يريد بالعين عين البصيرة ؛ فمن لم يستحي من نظر الحق وبارز مولاه بأنواع المعاصي . . فقد عميت عين بصيرته ، وسُئل بعضهم : بِمَ يستعين العبد علىٰ حفظ بصره ؟ فقال : (بعلمه بأن رؤية الحق تسبق بصره) .

(٢) هذا اعترافٌ منه ـ رضي الله عنه ـ بغاية الذل والانكسار ، وإظهارٌ لشدة الفاقة والاضطرار ، وانطراحٌ علىٰ باب مولاه ، في إظهار ذلِّه وبثِّ شكواه ؛ فلا شك أن الله سبحانه قد كساه حلَّة العز والافتخار ، وبهَّاه بين خلقه بالظهور والاشتهار ؛ حتىٰ صار كلامه تتحلَّىٰ به القلوب والأسماع ، ويعظم به التأثير والانتفاع ؛ وذلك ثمرة مَن تذلل بين يدي العزيز الحكيم الغني الكريم ؛ كما قيل : (من الطويل)

تـذلَّـلْ لمـن تهـوىٰ لتكسبَ عـزَّةً ... فكم عزة قد نالها المرء بالذلِّ

إلهي : علِّمْني مِنْ عِلْمِكَ المخزونِ[1] ، وصُنِّي بسِرِّ اسمِكَ المصُون ، وحَقِّقْني بحقائقِ أهلِ القُرب ، واسلُكْ بي مسالِكَ أهلِ الجَذْبِ[2] ، وأغْنِني بتدبيرِكَ عن تدبيري ، وباختيارِكَ عَنِ اختياري[3] ،

قال ذو النون المصري رحمه الله تعالى : (ما أعزَّ الله عبداً بعزٍّ هو أعزُّ له من أن يَدلَّه على ذلِّ نفسه ، وما أذلَّ الله عبداً بذلٍّ هو أذلُّ له من أن يحجبه عن ذلِّ نفسه) .

(١) العلم المخزون : هو العلم الموهوب ، الذي يفيض على القلوب من حضرة علام الغيوب ، لا يُنال بحيلة ولا اكتساب ، ولا يؤخذ من دفتر ولا كتاب ، وإنما يُعطىٰ من حضرة الكمال ؛ مع حكمة صحبة الرجال ، أو بمحض الفضل والنوال ، وفي الحديث الذي أخرجه السلمي في « الأربعين » (٣٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن من العلم كهيئة المكنون ، لا يعلمه إلا العلماء بالله تعالى ، فإذا نطقوا به . . لا ينكره إلا أهل الغرَّة بالله » ، وقال بعض التابعين : (أسرار الله تعالىٰ لا يُبديها إلا لأمناء أوليائه من غير سماع ولا دراسة) ، وكان الشيخ أبو العباس المرسي رحمه الله يقول : (شارَكْنا الفقهاء فيما هم فيه ، ولم يشاركونا فيما نحن فيه !!) .

(٢) العلم المصون : هو صيانة من رؤية الأغيار ، أو الوقوف مع الأنوار دون معرفة الواحد القهار ، واسمه المصون : هو اسم الله الأعظم ؛ الذي إذا دُعي به . . أجاب ، وإذا سُئل به . . أعطى ، وسرُّه : هو ظهور تصرفه فيما طلب به ، ثم إذا تحقَّق الصون من الأغيار . . دخل القلب في حضرة الأسرار ؛ وهي حضرة المقربين من السالكين والمجذوبين ، وحقائق أهل القرب : هي علومهم ومعارفهم وأذواقهم وكشوفاتهم ، وأهل القرب : هم المقربون ؛ سواء كانوا من أهل المراقبة الكاملة أو المشاهدة أو المكالمة ؛ فالقرب يتفاوت بتفاوت السير والتصفية : فيكون أولاً مراقبةً ، ثم شهوداً ووصولاً ، ثم محواً واضمحلالاً ، ثم بقاءً وتنزلاً ؛ وهذا يكون بالمجاهدة والمكابدة ، وهو مقام أهل السلوك من المحبين ، ويكون جذباً وعناية وهو مقام أهل الجذب من المحبوبين ، وقد يكون أولاً مجاهدة ، وآخراً جذباً وعناية ؛ وهو أعظم قدراً ، وأعم نفعاً ، وأنفع تربية .

(٣) الاستغناء بتدبير الله عن تدبير النفس ، وباختيار الحق عن اختيار العبد . . إنما يكون بعد الغَيبة عن النفس بشهود مدبِّر الأمور المتصرِّف فيها ؛ وهو الفاعل المختار ،

وأوقِفْنِي علىٰ مراكزِ اضطراري ، وأخرجني مِنْ ذُلِّ نفسي ، وطَهِّرْني مِنْ شَكِّي وشِرْكي قبلَ حُلولِ رَمْسِي[1] .

بكَ أستنصِرُ فانصُرْني ، وعليكَ أتوكَّلُ فلا تكِلْنِي ، وإياكَ أسألُ فلا تَحْرِمْنِي ، وفي فضلِكَ أرغَبُ فلا تُخيِّبني ، ولجنابِكَ أنتسِبُ فلا تُبعدْنِي ، وببابِكَ أقِفُ فلا تَطْرُدني[2] .

* * *

إلهي : إنَّ القضاءَ والقَدَرَ غلَبَنِي ، وإنَّ الهوَىٰ بوثائِقِ الشَّهوةِ أسرَنِي ، فكُنْ أنتَ النَّاصِرَ لي حتَّىٰ تنصُرَني وتنصر بي[3] ، وأغنِني بفضلِكَ حتَّىٰ أستغْنِيَ بفضلِكَ عَنْ طَلَبي[4] .

الواحد القهار ؛ لأنه هو المنفرد بالتدبير والاختيار ، والمشيئة والاقتدار ، وأما قبل الغيبة عنها بمعرفة سيرها . . فلا يتخلص العبد من كدر التدبير ، وظلمة التكدير .

(١) الشك والشرك : تعلُّق القلب بالأسباب ، وغفلته عن مسبب الأسباب ، ويكون مبدأ ذلك هيجان الشهوة عند استيلاء ظلمة الشك على القلب ، فيحلو له الهوى ، فيفزع إذ ذاك إلى الأسباب التي يتوصل بها إلىٰ بغيته لا يرىٰ غيرها ، فيشتبك من أجل ذلك في حبائل الشرك ، وطهارته منه بضده ؛ وهو نور التوحيد الذي يقذفه الحق تعالىٰ في قلبه ، فتطمئن بذلك نفسه وتسكن ، وإذا تطهر العبد من الشرك والشك . . تولاه الله بالهداية والتسديد ، والمعونة والتأييد ، وفي أخبار داوود عليه السلام : أن الله تعالىٰ أوحىٰ إليه : « يا داوود ؛ هل تدري متىٰ أتولاهم ؟ إذا طهَّروا قلوبهم من الشرك ، ونزعوا من قلوبهم الشك » .

(٢) إلهي : فلا تبعدني مِن حِماك وجوارك بسوء أدبي معك وأنت عفوٌّ حليم ، وببابك أقف وأتضرع ، وألزم ذلك الباب وأقرع فلا تطردني ؛ إذ ليس من شأن الكريم أن يطرد عن بابه العظيم ، أو يردَّ مَن أمَّ بحرَ جوده العميم .

(٣) كذا في النسخ ، وفي (ط) : (وتبصرني) .

(٤) لم تزل الأكابر تخاف من السابقة أو الخاتمة ؛ إذ لا يُدرَىٰ ما سبق به القضاء والقدر ، فكم أعزم على الطاعة والقضاء يغلبني ، وكم أفرُّ من المعاصي والقدر يقحمني ؟! فلا حيلة لي إلا رجاء حولك وقوتك ، فأغنني بفضلك حتىٰ أستغنيَ

أنتَ الَّذي أشرقْتَ الأنوارَ في قلوبِ أوليائِكَ ، وأنتَ الَّذي أزلْتَ الأغيارَ مِنْ أسرارِ أحبائِكَ ، أنتَ المؤنِسُ لهُمْ حيثُ أوحشَتْهُمُ العوالم ، وأنتَ الَّذي هديتَهُمْ حتَّى استبانَتْ لهُمُ المعالم[1] .

* * *

ماذا وجدَ مَنْ فقدَكَ ، وما الَّذي فقدَ مَنْ وجدَكَ ؟! ولقَدْ خابَ مَنْ رضِيَ دونَكَ بدلاً ، ولقَدْ خسِرَ مَنْ بغَىٰ دونَكَ مُتحوَّلاً[2] .

بك عن طلبي ؛ فإن العبد إذا تعمَّر قلبه بالله . . استغنىٰ به حتىٰ عن طلبه ، وربما دلَّهم الأدب علىٰ ترك الطلب ، وهذه هي السعادة العظمىٰ ، والولاية الكبرى ؛ كما قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه : (فالسعيد حقاً : مَن أغنيته عن السؤال منك) .

(١) هذا من المؤلف رحمه الله تعالىٰ تعريضٌ بالسؤال ؛ وهو أعظم من التصريح ، وكأنه يقول : إلهي : كما أشرقتَ الأنوار في قلوب أوليائك حتىٰ عرفوك ، وكما أزلْتَ الأغيار من قلوب أحبائك حتىٰ أحبوك ، وكما آنستَهم حيث أوحشَتْهُمُ العوالم ، وهديتَهم حتى استبانَتْ لهم المعالم . . فأشرِقْ أنوار المعارف في قلبي حتىٰ أعرفك ، وأزلِ الأغيار من قلبي حتىٰ أحبَّك ، وآنسني بك حيث أوحشتني العوالم ، واهدني إلىٰ طريق التحقيق حتىٰ تتبيَّن لي المعالم ؛ فأستغني بك عن كل شيء ، وأجدك عند كل شيء .

(٢) ماذا وجد مَن فقدَكَ ؟! ولو ملك الدنيا بحذافيرها . . فهو أفقر الفقراء ؛ كما قال الشاعر : (من البسيط)

لكـل شـيءٍ إذا فـارقْتَـه عِـوضٌ ... وليس لله إنْ فـارقـتَ مـن عـوضِ

قيل للشبلي : أيُّ الخسران أعظم ؟ قال : (من فاتته الجنة ودخل النار) ، فلما مات . . رُئي في المنام ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : لم يطالبني بالبراهين على الدعاوىٰ إلا علىٰ شيءٍ واحدٍ ، قلت ذات يوم : لا خسارة أعظم من خسران الجنة ودخول النار ، فقال لي : (وأي خسارةٍ أعظم من خسران لقائي ؟!) أي : شهودي ومعرفتي ، وما الذي فقد من وجدك ؟! لقد ملك الوجود بأسره ، واستغنىٰ غنىً لا فقر بعده آخر دهره ، لقد خاب وخسر من أحب شيئاً دونك ورضيه

كيفَ يُرجَىٰ سِوَاكَ وأنتَ ما قطعْتَ الإحسان ، وكيفَ يُطلَبُ مِنْ غيرِكَ وأنتَ ما بدَّلْتَ عادةَ الامتنان ؟![1] .

يا مَنْ أذاقَ أحبَّاءَهُ حلاوةَ مُؤانستِهِ فقامُوا بينَ يديهِ مُتملِّقين ، ويا مَنْ ألبسَ أولياءَهُ ملابسَ هيبتِهِ فقامُوا بعزَّتِهِ مُسْتعزِّين[2] .

* * *

أنتَ الذَّاكرُ مِن قبلِ الذَّاكرين ، وأنتَ البادىءُ بالإحسانِ مِنْ قبلِ توجُّهِ العابدين ، وأنتَ الجَوادُ بالإعطاءِ مِنْ قبلِ طلبِ الطَّالبين[3] ، وأنتَ

← بدلاً بك ، ولقد خسر من أوقفتَه ببابك ، ثم طلب باب غيرك ، وتحول إليه والتجأ إلىٰ غير جنابك ؛ فلا أخسرَ منه ، ولا أبخسَ صفقة من تجارته ؛ ترك باب الكريم ، والتجأ إلىٰ باب العبد اللئيم !! ولقد خسر من طلب تحولاً عن جنابك العظيم ، وبابك الكريم .

(١) كيف يُرجَىٰ سواك وأنت ما قطعتَ الإحسان ، ولا تقطعه أبداً عن الإنسان ، أم كيف يُطلب من غيرك وأنت ما بدلت عادة الامتنان ؟! بل امتنانك فائضٌ على الأنام ، وهو واصلٌ إليهم على الدوام ؛ عرفه العارفون ، وجحده الغافلون .

(٢) التملق : هو التلطُّف في بثِّ الشكوى ، والتودُّد بمساررة النجوى ، بين يدي الحبيب ، ومساررة القريب ، وهي من أعظم الرغائب وأفضل المطالب ، لا يعرفها إلا أهل الشوق والاشتياق ، فيا من ألبس أولياءه العارفين ملابس هيبته حتىٰ هابهم كلُّ شيء ، وخافهم كلُّ شيء ، ولم يخافوا من شيء ، وحيث ألبسهم لباس هيبته فقاموا بعزَّته مستعزين ، لما رفعوا همتهم عن الخلق . . أعزهم الله ، ولما رفعوا همتهم عن الدنيا . . أعزهم الخلق ؛ فإن الولي إذا أراد الله أن يرده إلىٰ خلقه لينفع به عباده . . ألبسه حلَّتين : حلة البهاء والجمال ؛ ليُقبل الناس عليه بالمحبة والوصال ، فيغنيهم الله به ، وحلة الهيبة والجلال ؛ ليمتثل أمره إذا أمر ، ويجتنب نهيه إذا نهىٰ ، وهاتان الحلتان يكساهما عند الرسوخ والتمكين .

(٣) أنت الذاكر لهم من قبل أن يذكروك ، فلولا ذِكرك إياهم . . ما ذكروك ، قال أبو يزيد رحمه الله تعالى : (غلطتُ في بداية أمري في أربعة أشياء : توهمتُ أني أذكره وأعرفه وأحبه وأطلبه ، فلما انتهيت . . رأيت ذِكره سبق ذِكري ، ومعرفته ←

الوهَّابُ لنا ثمَّ أنتَ لمَا وهَبْتَنَا مِنَ المستقرِضِين ؛ **فاطلُبني برحمتِكَ** حتَّىٰ أَصِلَ إليك ، **واجذبني بِمِنَّتِكَ** حتَّىٰ أُقبِلَ عليك[1] .

* * *

إلهي : **إنَّ رجائي** لا ينقطِعُ عنكَ وإنْ عصيتُك ؛ **كمَا أنَّ خوفي** لا يُزايِلُني وإنْ أطعْتُك[2] ، قَدْ دفعَتْنِي العَوَالمُ إليك ، وأوقفَنِي عِلمِي بكرمِكَ عليك ، **فكيفَ أَخيبُ** وأنتَ أملي ، **أم كيفَ أُهانُ** وعليكَ مُتَّكلي ؟![3] .

* * *

كيفَ أَستَعِزُّ وفي الذِّلَّةِ أركزتَنِي ، **أم كيفَ لا أَستَعِزُّ** وإليكَ قَدْ

سبقت معرفتي ، **ومحبته** أقدمُ من محبتي ، **وطلبه لي أولاً** حتىٰ طلبته) .

(١) **أنت لما وهبتنا من المستقرضين** ؛ فقد وهبت لنا النعم ، وأمرتنا بالسخاء والكرم ، **ووفَّقتنا لعطائها** ووعدتنا بالنعيم الجزيل عليها ، **فلله ما أعطىٰ وله ما أخذ** ، فإذا عرف العبد هذا . . **لم تبقَ له وسيلة يتوسل بها** إلا فضل الله وكرمه .

(٢) لما كانت السابقة مبهمة ، والخاتمة مجهولة . . **كان العبد بين خوفٍ ورجاءٍ** ولو بلغ ما بلغ ؛ **فإن القلوب بيد الله** يُقلِّبها كيف يشاء ، **والنواصي بيد قدرته** تقودها حيث شاءت ؛ **فكيف يصح للعبد** أن ينقطع خوفه إن أطاع ، أو يقلَّ رجاؤه إن عصى ؟!

(٣) قال بعض الصالحين المجيدين : (من الوافر)

إلهي لا تُعذِّبني فإنِّي	مقرٌّ بالذي قد كانَ منِّي
فما لي حيلةٌ إلا رجائي	بعفوك إن عفوتَ وحسن ظنِّي
وكم من زلةٍ لي في البرايا	وأنتَ عليَّ ذو فضلٍ ومنٍّ
إذا فكرتُ في ندمي عليها	عضضْتُ أناملي وقرعْتُ سِنِّي
يظنُّ الناسُ بي خيراً وإنِّي	لَشرُّ الناسِ إن لم تعفُ عنِّي
أجنُّ بزهرة الدُّنيا جنوناً	وأقطع طول عمري بالتَّمنِّي
ولو أنِّي صدقْتُ الزُّهدَ فيها	قلبْتُ لأهلها ظهْرَ المِجَنِّ

نَسَبْتَني ؟![1] كيفَ لا أفتقِرُ وأنتَ الَّذي في الفقرِ قَدْ أقمتَنِي ، أم كيفَ أفتقِرُ وأنتَ الَّذي بجُودِكَ أغنيتَنِي ؟![2] .

أنتَ الَّذي لا إلهَ غيرُك ، تعرَّفتَ لكلِّ شيءٍ فما جهلَكَ شيءٌ ، وأنتَ تعرَّفتَ إليَّ في كلِّ شيءٍ ، فرأيتُكَ ظاهراً في كلِّ شيءٍ ، فأنتَ الظَّاهرُ لكلِّ شيءٍ[3] .

* * *

---

(١) لا شك أن من دخل تحت خفارة العزيز . . كان عزيزاً بالله ، ذليلاً له ، وإليه أشار في هذه المناجاة : كيف أستعزُّ عليك وأنت في ذلِّ العبودية أركزتني - أي : أقررتني وأقمتني - أم كيف لا أستعز وإليك نسبتني ؟! أي : أم كيف لا أستعز في قلبي وروحي وسرِّي وإليك نسبتني ؟! لما أودعت في قلبي من سرِّ الخصوصية ونور المعرفة وقوة الحرية ، فقلتَ : يا عبدي ويا وليي ، ولا شك أن هذه النسبة توجب الافتخار على الوجود ، والتيه على كل موجود ؛ فذلُّ العارف يرجع إلى ظاهره عبودية ، وعزه يرجع إلى باطنه حرية ؛ بما شهد من أنوار الربوبية ، قال الشاعر : (من الوافر)

وممـا زادنـي شـرفـاً وتيهـا ... وكـدت بـأخمصـي أطـأ الثـريـا
دخولي تحت قولك : (يا عبادي) ... وأن صيَّـرت أحمـد لـي نبيـا

صلى الله عليه وسلم وشرف وعظم وعلى آله وصحبه أجمعين .

(٢) إن الفقر أخو الذل ؛ ولذلك قرنه به في هذه المناجاة ، فقال : كيف لا أفتقر إليك وأنفاسي بيدك وفقري إليك في كل لحظة ؛ في إيجادي وإمدادي ؟! قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فاطر : ١٥] وهذا هو الفقر إلى نعمة الإيجاد ، ثم قال تعالى : ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ [فاطر : ١٦] وهذا هو الفقر إلى نعمة الإمداد ، أم كيف أفتقر إلى غيرك وأنت الذي بجودك أغنيتني ؛ حيث كفيتني ما أهمني ، وتكفَّلت لي برزقي وما تقوم به بِنيتي ، وأغنيتني بمعرفتك حتى لا أحتاج إلى غيرك ؟!

(٣) أنت الذي لا إله غيرك ، تعرفت لكل شيء بما أظهرت له من نور جلالك وجمالك ، فصار مُسبِّحاً بحمدك وساجداً لك ، فما جَهِلك شيء ، فالكلُّ عارفٌ بك ومقرٌّ لك بالربوبية : إما طوعاً ظاهراً وباطناً ، وإما باطناً فقط لتظهر حكمتك .

يا مَنِ استوىٰ برحمانيّتِهِ علىٰ عرشه ، فصارَ العرشُ غيباً في رحمانيّته ؛ كما صارَتِ العوالمُ غيباً في عرشه ، **محقْتَ الآثارَ** بالآثار ، **ومحوتَ الأغيارَ** بمُحيطاتِ أفلاكِ الأنوار[1] .

يا مَنِ احتجبَ في سُرادقاتِ عِزِّهِ عَنْ أن تُدركَهُ الأبصار ، **يا مَنْ تجلّىٰ** بكمالِ بهائِهِ فتحقّقَتْ عظمتُهُ الأسرار ، **كيفَ تخفىٰ** وأنتَ الظّاهر ، **أم كيفَ تغِيبُ** وأنتَ الرّقيبُ الحاضر ؟ ![2] .

* * *

(١) محقت الآثار بالآثار ؛ **فالآثار الأولىٰ** : هي العوالم ، **والآثار الثانية** : هي العرش ؛ فقد امتحقت الأكوان كلها في عظمة العرش حتىٰ صارت كالعدم ، ومحوت الأغيار بمحيطات أفلاك الأنوار ، **والمراد بالأغيار** : هو العرش وما احتوىٰ عليه من الآثار ، أو تقول : هو كل ما دخل عالم التكوين من العرش إلى الفرش ، **وأفلاك الأنوار** : هي أنوار الذات والصفات ، فإذا امتحقت الأغيار وهي الآثار بأنوار عظمة الذات . . **بقيت الأنوار وانفرد** بالوجود الواحد القهار .

(٢) أخرج ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٤/ ٩١) عن محمد بن سلم الخواص الشيخ الصالح قال : رأيت يحيى بن أكثم القاضي في المنام ، فقلت له : **ما فعل الله بك** ؟ فقال : أوقفني بين يديه وقال لي : « يا شيخ السوء ؛ **لولا شيبتك . . لأحرقتك بالنار** » فأخذني ما يأخذ العبد بين يدي مولاه ، فلما أفقتُ . . قال لي : « يا شيخ السوء ؛ لولا شيبتك . . لأحرقتك بالنار » **فأخذني ما يأخذ العبد بين يدي مولاه** ، فلما أفقت . . قال لي : « يا شيخ السوء . . . » فذكر الثالثة مثل الأُولَيين ، فلما أفقت . . قلت : يا رب ؛ **ما هكذا حدثْتُ عنك** !! فقال الله تعالى : وما حدثتَ عنّي ـ وهو أعلم بذلك ـ قلت : حدثني عبد الرزاق بن همام ، حدثنا معمر بن راشد ، عن ابن شهاب الزهري ، عن أنس بن مالك ، عن نبيك صلى الله عليه وسلم ، عن جبريل ، عنك يا عظيم أنك قلتَ : « ما شاب لي عبدٌ في الإسلام شيبةً **إلا استحييتُ منه أن أُعذِّبه بالنار** » فقال الله : « صدق **عبد الرزاق** ، وصدق **معمر** ، وصدق **الزهري** ، وصدق **أنس** ، وصدق **نبيي** ، وصدق **جبرائيل** ، أنا قلت ذلك ، **انطلقوا به إلى الجنة** » .

←

واللهُ الموفِّقُ للصَّواب ، وبه نستعينُ ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ العَليِّ العظيمِ .

وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ النبي الأمي الطاهر الزكي وعلىٰ آله ، صلاة تحل بها العقد ، وتفرج بها الكرب ، ويزول بها الضرر ، وتهون بها الأمور الصعاب ، صلاة ترضيك وترضيه ، وترضىٰ بها عنا يا رب العالمين ، آمين[١] .

* * *

ولسان الحال ينشد : (من البسيط)

إنَّ الملـوكَ إذا شـابـت عبيـدهُـمُ — في رقِّهِمْ أعتقوهم عتقَ أحرارِ
وأنتَ يا خالقي أَولىٰ بذا كرماً — قد شِبتُ في الذنبِ فاعتقني من النارِ
وقد روىٰ عنكَ خيرُ الخلقِ من مضرٍ — اَلمصطفى المجتبىٰ من خيرِ أطهارِ
بـأنَّـك الله ربُّ العـرش قلـت لنـا — وقـولـك الحـق فـي نقـلٍ وأخبـارِ
أنا الذي مَن أتاني ليسَ يُشرك بي — أغفر له ما جنىٰ من قُبح أوزارِ
وإنني شبتُ في الإسلام يا أملي — فاغفر ذنوبي وأسبل حسنَ أستاري

اللهم ؛ أحسن ختامنا وعاقبتنا في الأمور كلها ، وتوفَّنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين ، وارزقنا شفاعة سيد المرسلين ، وشربةً من يده لا نظمأ بعدها يا أكرم الأكرمين ، نحن ووالدينا وأزواجنا وذرياتنا وأحبابنا والمسلمين ، والحمد لله رب العالمين .

(١) هذه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم زيادةٌ من النسخة (ط) .



خواتيم النسخ الخطية

محتوى الكتاب

* * *

* * *

* * *

* * *

* * *

* * *